الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 معهد الآثار

أهم القلاع والمدن الفاطمية ببلاد المغرب الأوسط من خلال كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (دراسة تاريخية أثرية)

296هـ -909 م/365هـ 975م

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

من إعداد الطالبة:
جميلة بونعجة

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور / صالح يوسف بن قربة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ د/ عائشة حنفي	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ د/ بن قربة صالح	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا و مقررا
د/ بن نعمان إسماعيل	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	عضوا
د / حليم سرحان	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	عضوا

السنة الجامعية: 1438هـ -1439هـ /2017م-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بكثير من الفخر والامتنان..... أتقدم بِأَسْمَى آيات الشكر والعرفان لأستاذي .....المشرف على بحثي .....

الأستاذ الدكتور صالح يوسف بن قربة....على اهتمامه البالغ ....وتوجيهاته القيّمة.......

وكذا حرصه الشديد..... لمرافقتي لأجل إنجاز هذا البحث.



شكر وتقدير

بكل تحية وإجلال وتقدير..... أنحني أمامك......

أيتها الغالية .....أخت لم تلدها أمي ..... فكلمة الشكر قليلة عليك .... على المساعدة والنصيحة..... التي قدمتها لي بكل تواضع ومحبة..... أستاذة حنفي عائشة..... تعجز الكلمات عن وصفك.... أيها الشريفة الكريمة النبيلة...... أدعو الله لك بدوام الصحة والعافية.....

وأن يزيدك نجاحا وتألقا .... ودمت ذخرا للعلم والمعرفة.

دون أن أنسى تقديم شكري الخالص لجميع أساتذتي بمعهد الآثار بجامعة الجزائر رقم 2....على ما بذلوه من مجهودات جبارة ...في سبيل فتح الدرب لنا .....لا يسعني إلا أن أقول ...بارك الله فيكم ....وجزاكم عنّا كل خير .....



إهداء

إلى والدتي ...

التي طالما دعمتني ..... وأرادت أن أكون

في الطليعة ......

حفظها الله من كل سوء ......

وحفظ كل الأمهات ......

يا رب .....



قائمة المختصرات

ت:تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة

ج:الجزء

ص:الصفحة

ط:الطبعة

م:التاريخ الميلادي

هـ: التاريخ الهجري

مقدمة

إن الدارس لتاريخ المغرب الإسلامي الأثري، يكاد ألا يعرف عليه شيئا على الإطلاق، إلا بعض المحاولات هنا وهناك التي أرادها بعض الباحثين خدمة لإقليمهم أوّلاً، وثانياً حُبًا للعلم بتخليد بصماتهم عبر التاريخ.

ومن منطلق الحرص على التحري والبحث العميق في حواضر مدننا الزاخرة، والضاربة جذورها في الزمن البعيد، بكل أحداثها الجيدة والسيئة لنا نصيب فيه، توارثناه عبر الأجيال.

وعليه أقول، أن حضارة الأمم لا تندثر أبدا، إذا واكبتها كوكبة من الكُتاب، والأُدباء، والمُؤَرِّخِين.

تعاقبت مراحل عدة على إقليم جغرافية المغرب الأوسط ، من اليونان ،إلى الرومان ، إلى الوندال ،إلى الفتح الإسلامي السمح .

جاءت إمبراطوريات بعد اندثار أخرى ، منها من خلّدت مآثرها ، ومنها من اندثرت دون ذلك ، لكنها تركت بصماتها آثارا شاهدة للعيان ، تقاذفها الزمن ، ولعبت بها الطبيعة كيفما شاءت ، وبعضها صمد ووقف شامخا ، ما زال يقارع الدهر ويَدُ الإنسان .

من بين هذه الحضارات والدول ، نجد الدولة الفاطمية التي اختار مؤسسوها بلاد المغرب الإسلامي، دخلوا إليه فرادى فأصبحوا جماعات ، ثم أمة يُفاخرون بين الأمم ، و الملوك والأمراء .

صراعات كثيرة ،عرفها المغرب الإسلامي عامة ، حتى بعد الفتوحات الإسلامية ، وانقسمت أقاليمه إلى إمارات كالأغالبة ، والأدارسة ، والرستميين ، متناحرة تارة ، وهادئة تارة أخرى ، شهد من خلالها الاستقرار

والرخاء أحيانا ، وأحيانا أخرى تخللته عواصف بطبيعة الحال ، كأي إقليم زاخر بالخيرات ، يطمع به كل حاسد لنعمة ، بإغراقه في الفتن والويلات .

وكان المغرب الإسلامي به كيانات سياسية أصلا في نهاية القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، برزت الدولة الفاطمية، والتي أَحْكَمَتْ قبضتها على معظم مناطق المغرب الإسلامي، ودحرت تقريبا كل الإمارات التي كانت متواجدة أنذاك.

عاش سكانه في كنف الدولة الأغلبية، على فترات من العيش الرغيد، وفترات من القهر والظلم، من جرّاء جَوْرِ الحُكام وبطشهم، وغَرْقِ الأمراء في البذخ والترف، تاركين شعوبهم، تحت وطأة الفقر والحرمان.

لا شك أن الظلم وسوء الأحوال يُوّلِدُ الفتنة ، ومنه ينتج عدم الاستقرار ، ناهيك عن الفقر والغزو من طرف الإمارات المجاورة ،ومن هنا وجد دعاة الإسماعيلية ، ومنهم أبو عبد الله الشيعي ، المناخ مؤاتيا لنشر الدعوة بأرض المغرب ، مغتنما الفرصة لضعف الخلافة العباسية ، وبُعدها عن الإقليم المغربي ، وكذا التضاريس الصعبة ، فضلا عن انهيار الدولة الأغلبية الحاكمة في ذلك العصر.

فكانت البداية الأولى لتأسيس الدولة الفتية، من المغرب الأوسط تحديدا ، وبدأت الدعوة الإسماعيلية تنتشر ، بين قبائل الإقليم كالنار في الهشيم.

من قبيلة كتامة الأم ، في مضارب بني سكتان ، إلى فروعها الممتدة شرقا وغربا ، وحتى بطونها في خارج الحدود ، فَرَاحُوا يُنْشِئُون العمائر،

وتحصين القلاع ، وتشييّد المدن ، وما قلعتي إيكجان بسطيف ،وتازروت بميلة ، ومدينة المحمدية المسيلة ، إلاّ نموذجاً .

وحتى الذين جاؤوا من بعدهم ، كانوا يحكمون تحت ظل خلافتهم مثل الزيريين ، فقد استفادوا منهم في التخطيط ، والبناء ، والتطوّر العمراني ، فأنشأوا مدينة أشير العاصمة التاريخية ، ومدينة الجزائر بني مزغنّة ، إلا مثالا حيا على بروز حضارة الفاطميين ، التي عرفها المغرب الأوسط ، وتشكلت بين سكانه ،وعبرت البحر بفضلهم ، وأقامت مجدا على أكتافهم .

فهذا العصر الفاطمي ، الذي عاشه القاضي النعمان ، وكان شاهد عيان ، لتلك الأحداث المتسلسلة من بداية الدعوة ، إلى قيام الدولة ، وحتى بعد انتقالها إلى مصر .

ففي حقيقة الأمر، أن موضوع البحث يخص أهم القلاع والمدن الفاطمية ، من خلال رسالة افتتاح الدعوة ، للقاضي النعمان ، شخصية القرن الثالث الهجري وبدون منازع، الذي يُعَدُ بحق، أحد الأركان المساهمين في بناء هذه الدولة.

أما رسالته افتتاح الدعوة ، فهو كتاب رائع وممتع ، ومن الناحية التاريخية متقدم جدا عن غيره ، وكم هي غزيرة تلك الأحداث والوقائع ، التي وردت في فصوله ، وكم هي دقيقة في الوصف والتأريخ ، وحتى الأحاديث التي دارت بين شخصيات ذلك الزمان ، فضلا عن ذكره للمدن والأمصار ، تمر عليك وكأنك تشاهد فيلما تاريخيا لشخصيات تراها ، وتشعر أنها ماثلة أمامك ، وتبقى راسخة في الأذهان .

فقد نقلها المؤلف ببراعة شديدة ، وحكمة ، وبأسلوب سردي، بكل التفاصيل دونما إغفال ، أو تعصّب ، أو انحياز.

فرسالة افتتاح الدعوة بحذ ذاتها ، وثيقة رسمية لتاريخ دولة ، نشأت من قبيلة ، فأصبحت إمبراطورية ، بلغ صيتها كل الأمم، وحكمت المغرب ، والمشرق، والحجاز، وحتى أرض الشام.

وعمرانها بالمغرب الأوسط ،عكس حضارة مضافة، في الإرث التاريخي الإسلامي للمنطقة ، رغم تهميشها عمدا ، من بعض أدعياء التاريخ في المشرق خاصة ، وستبقى خالدة على ثقافة سكانها ،يشهد لهم القاصي والداني على عزّة أنفسهم ، وشدة بأسهم .

إن ندرة المادة المتعلقة بالمغرب الأوسط ، ، خاصة من الناحية الأثرية ، وبالتحديد في فترة ما بين القرنين الثالث حتى الخامس الهجري ، الموافق للتاسع والحادي عشر ميلادي، ويمكن القول أن الدراسات الأثرية والفنية ، قليلة جدا ، وتقريبا كل الدراسات ، تركزت على الجانب التاريخي ، والسياسي للفاطميين .

ومن هنا ارتأينا في بادئ الأمر، أن نبرهن أن سكان المغرب الأوسط ، من القبيلة أقاموا دولة ، وطوّروا حضارة ، وصنعوا مجدا عبروا به البحر والمحيطات ، ولم نكن يوما تابعين ، بل كنا ولا زلنا لنا مطلق الحرية في اختياراتنا ، فتحمست للموضوع ، عندما عرضه علي أستاذي المحترم ، والمشرف على بحثي ، فقد كنت أقرأ دائما لبعض الكتاب المشارقة ، وقد قفزوا على تاريخ المغرب الإسلامي عامة ، والمغرب الأوسط خاصة ، ولا يُولُونَ

أيّ اهتمام لحضارة شعب، أسست لهم مُدُنهم وقُصُورُهم، ناهيك عن مساجدهم، وما مدينة القاهرة والجامع الأزهر إلا مثالا .

1 ـ الإشكالية :

لقد تمحورت اشكالية البحث ، حول المخلّفات العمرانية الفاطمية ، في المغرب الأوسط ، وما حوتها من آثار، والتي لا يزال يَلُفُّهَا بعض الغموض نظرا لاندثارها ، وتدخل ضمن إطار بعض التساؤلات المشروعة ، نظرا للأهمية التي يكتسيها طابع الدولة المذهبي ، في بيئة قَبَلِيَةٍ متعصبة ينحدر منها قبائل كتامة وبطونها ، أدرجناها في محاور رئيسية أهمها:

- ما هي العوامل الحضارية التي برزت في المغرب الأوسط عند قيام الدولة الفاطمية ؟

عرفت منطقة المغرب الأوسط قفزة نوعية ، في ظل الحكم الفاطمي وانتقالها من القبيلة إلى الدولة ، في إطار حضاري عمراني ، لا زالت بعض مخلّفاته شاهدة .

- فهل كانت عمارة عسكرية محضة ؟ أم تَعَدَتْهَا إلى مجالات أخرى ؟

- ما هي إسهامات الفاطميين في المجال العمراني ؟

- هل خلّد الفاطميون بصماتهم الحضارية واضحة في المغرب الأوسط ؟

- ما هي أهم المدن والحواضر التي أنشأها الفاطميون ؟

2 ـ منهج الدراسة:

فقد ركزت على منهجين رئيسيين هما:

كان اعتمادي على المحور النظري، والمحور الوصفي وقمت بمعالجة الآثار العمرانية بناءً على الوقائع والأحداث السياسية والعسكرية دون إغفال المعاينة الميدانية .

أ ـ المنهج النظري : فيما خص الأحداث والوقائع ، فقد اعتمدت على المصادر التي تحدثت عن تاريخ الدولة الفاطمية ، بكل جوانبها العسكرية منها، والسياسية ، في فترة بدايتها ، وحتى قيامها ، وكذا البحوث المتعلقة بالموضوع الإسماعيلي ، والنصوص التاريخية والأثرية ، من دراسات لأوصاف الرحالة الجغرافيين ، لمواقع التواجد الفاطمي في المغرب الأوسط ، دون إهمال الدراسات الحديثة ، التي تضمنت الفترة الفاطمية ، في المغرب الإسلامي بشكل عام ، والمغرب الأوسط بشكل خاص ، واجتهدت في ربطه بتشييد عمائرها ، ومدى التطور الذي وصلت إليه، من خلال النماذج الشاهدة ، كقلعة إيكجان .

ب ـ أما بالنسبة للمنهج الوصفي: فقد اعتمدت على مخلّفات الفاطميين ، من خلال بعض البقايا المعمارية الأثرية.

3 ـ دراسة تحليلية لأهم المصادر:

أ - المصادر التاريخية:

- **افتتاح الدعوة:** للقاضي النعمان: هو أبو حنيفة النعمان بن منصور بن أحمد بن حيون ، التميمي المغربي ،بطبيعة الحال هو الاعتماد الأساس في بحثي هذا ، والذي يعد من أهم المصادر الاسماعيلية التاريخية، التي دوّنت لمرحلة الدعوة الإسماعيلية عامة ، والمرحلة المغربية خاصة ، حيث كان شاهد عيان من بداية هذه الدعوة ، وبناء الداعي أبو عبد الله الشيعي لدار الهجرة ، بكل من إيكجان ، وتازروت ، وتطوّر هذه الدعوة ،حتى بلغت مرحلة قيام الدولة الفاطمية ، لما ورد فيه من أحداث ووقائع، قلّما نجدها في روايات أخرى ،حول العمران الفاطمي في بلاد كتامة ، وتاريخ تأليفه يعود لسنة 346هـ/958م.

ـ **المجالس والمسايرات :** للقاضي النعمان ، تحقيق الحبيب الفقي وأخرون ، (تونس ، المطبعة الحيدرية ، 1978) ويعتبر وثيقة هامة عن الدور المغربي للخلافة الفاطمية .

ـ **المناقب والمثالب :** أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت363هـ/973 م) ، تحقيق : ماجد بن احمد عطية ، (بيروت منشورات الأعلمي للطباعة .2002 م) .

ـ **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار:** للقاضي النعمان ، (ت 363هـ/973 م) ، تحقيق . محمد حسين الجلالي ، (بيروت ، منشورات الاعلامي ، 2006) ج 1

- **عيون الأخبار وفنون الآثار:** للداعي إدريس عماد الدين بن الحسن القرشي تـ 872هـ/1467م، وهي من أهم الروايات الشيعية الإسماعيلية ، بطبيعة الحال بعد روايات القاضي النعمان .

- **الكامل في التاريخ :** هو لمحمد بن محمد بن عبد الكريم، بن عبد الواحد الشيباني ،المعروف بابن الأثير ،المتوفى سنة 630هـ/1238م ، وأهمية هذا الكتاب تكمن في حديثه عن بلاد المغرب، من نواحي عمرانية ، ومذهبية ، كما أرّخ لأحداث سياسية ،خاصة منها في العهد الفاطمي .

- **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء :** لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، المتوفي سنة 845هـ /1441م.يعتبر بحق وثيقة تاريخية عن العصر الفاطمي بدوريه المغربي والمصري حيث يتناول احداث الفترتين منذ ان بدأت محاولات نشر الدعوة الاسماعيلية في كتامة الى نهاية عهد المستنصر بالله

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب :** لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي سنة 712هـ/1312م ، وهو أهم مصدر في تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، وورد في كتاب ابن عذارى تفاصيل دقيقة عن تاريخ الفاطميين .

- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر :** لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المتوفى سنة 808هـ/1406م، والكتاب عبارة عن موسوعة شاملة لتاريخ المغرب ، ومن بينه تاريخ الفاطميين .

ب - المصادر الجغرافية:

قيمة المصادر الجغرافية كبيرة جدا ، لاحتوائها على معلومات قيّمة ، التي أوردتها فيما خص الطرق والمسالك ، وكذا المسافات بين الأقاليم والمدن ، ناهيك عن المنشآت العمرانية ، التي تميزت بها المدن ومنها مدن المغرب الإسلامي عامة ، والمغرب الأوسط خاصة ، ومن أهم هذه المصادر ما يلي :

- **كتاب البلدان :** هو كتاب أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى سنة 284هـ/897م ،باعتباره أول جغرافي، لبلاد المغرب الأوسط ، وبه معلومات هامة جدا ،عن المدن التي أُحدثت في المغرب الأوسط ، وغير متوفرة في المصادر الأخرى.

- **كتاب صورة الأرض :** هو كتاب أبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي ، المتوفى سنة 368هـ /978م ، وقد كان في زيارة للمغرب أيام حكم الفاطميين ، وهذا الكتاب يعد من المصادر الأولية لأنه يعتبر شاهد عيان لكل ما رآه ، ومؤلفاته وفيرة ومتنوعة ،عن مدن المغرب الإسلامي وخاصة مدينة المحمدية أي المسيلة .

- **المسالك والممالك :** هو كتاب لأبي عبيد الله البكري ، المتوفي سنة 487هـ /1094م ، ويعتبر من المصادر المهمة ، لأنه أحاط بجغرافيا المدن وعمرانها ، فضلا عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية .

ج - المراجع:

– **كتاب دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية :** للدكتور لقبال موسى

ـ **كتاب النظم الإدارية للخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية خلال العصر الفاطمي :** للدكتورة مجاني بونة .

ـ **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد:** ط 1 منشورات الحضارة الجزائر 2009 .

Gautier(E .F) le passé de L'Afrique du nord – ; les siècles obscures, Paris Payot 1942

4 ـ صعوبات البحث:

يمكنني تلخيصها في ثلاثة أسباب رئيسية هي:

أولا : شحّ المصادر الأثرية ، المتعلقة بالأثار الفاطمية ،وخاصة في بلاد المغرب الإسلامي ، وإن وُجدت فهي بالتأكيد متفرقة بين المصادر، كإشارات أحيانا ، أو تلميحات في بعض الأحيان الأخرى ، وهناك مصادر جلّها تركز على الجانب التاريخي، والسياسي ، أكثر من الجانب الأثري .

ثانيا : التخريب الذي طال تقريبا ، كل الآثار الفاطمية الموجودة في بلاد المغرب الإسلامي عامة ، والمغرب الأوسط خاصة ، نتيجة عن العامل الطبيعي ، والعوامل البشرية ، جهلا منها لما تكتسيه ، من أهمية تاريخية وحضارية ، ومن الأمثلة على ذلك ، قلعة إيكجان ، حيث نُقِلت الصخور ، من طرف السكان لبناء المساكن والأسوار وحتى المقابر.

ثالثا : انصراف جل الباحثين ، والدارسين ،والمؤرّخين المحدثين، عن دراسة المغرب الإسلامي ، والخوض في تاريخ المشرق الإسلامي ، ونسبة كل الحضارة للمشرق، ، وفي بعض الأحيان نجد التقصير عمدا ، والتغاضي عن إخفاء الحقيقية ، ونَسِبِهَا إلى غير مكانها ، وهذا ما لاحظناه للأسف ، من هؤلاء ، لسبب مستتر ، دون وازع عن خلق ، ولا رادع من ضمير .

5ـ خطة البحث:

اعتمدنا في خطة بحثنا، وفقا لما اقتضته طبيعة الموضوع، وقد احتوى على مقدمة، ومدخل عام، وأربعة فصول، وخاتمة، أضف إليها ملاحق الخرائط والصور، وقائمة المختصرات، فضلا عن المصادر والمراجع المُعتمدة، وكذا الفهارس.

- **المدخل:** تضمن نبذة شاملة ،عن الدعوة الإسماعيلية التي اجتاحت معظم قبائل المغرب الأوسط ، ودخلت حتى بيوت الحكام ، مع إبراز الواقع السياسي للمنطقة قبيل القضاء على الدولة الأغلبية ،وقيام الدولة الفاطمية، وانتقالها إلى مصر.

ـ **الفصل الأول :** خصصناه للشخصية التاريخية ، القاضي النعمان ، دون إغفال رسالته افتتاح الدعوة موضوع البحث .

ـ **الفصل الثاني :** لقد أفردناه لدراسة الإطارين ، الجغرافي والتاريخي ، للمغرب الإسلامي عامة ، والمغرب الأوسط خاصة ،مع ذكر إشكالية المجال، وكذا التأكيد على الإقليم الكتامي فهو الأهم ، ويعتبر البيئة الحاضنة للإسماعيليين ، أما التاريخي فخصصناه لقيام الدولة الفاطمية.

ـ **الفصل الثالث :** تناولنا فيه بإسهاب، أهم القلاع والمدن الأثرية الفاطمية التي تحدث عنها القاضي النعمان ، في رسالته افتتاح الدعوة ، في المغرب الأوسط ، التي تمثل معالم العمارة الفاطمية ، من خلال الآثار الباقية والماثلة للعيان كقلعة إيكجان بمدينة سطيف ،بني عزيز حاليا ، ودار الهجرة

تازروت بمدينة ميلة ، وكذا الدراسة التاريخية ، والتخطيط العمراني للمحمدية المسيلة .

ـ **الفصل الرابع :** طوينا فيه صفحة الفاطميين ، بعد انتقالهم إلى مصر، وفتحتنا صفحة الزيريين حلفاءهم، وبداية التأسيس لعمارتهم، وإنشاء مدنهم، وأَوَلُهَا مدينة أشير عاصمة مُلْكِهِمْ.

إضافة إلى مدينة الجزائر بني مزغنة ، وذكرنا بعض التغيرات التي طرأت على مخطط قصبتها بعد الزيريين ، من طرف الأتراك، ثم الاحتلال الفرنسي فيما بعد، مع ذكر بعض الشوارع فيها، وقمنا بدراستها دراسة تاريخية من بعض الجوانب فقط .

ـ **الخاتمة:** كانت إجابة عن كل التساؤلات المطروحة في الإشكالية، مع استعراض لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

مدخل عام

لمحة شاملة ومختصرة عن أوضاع الخلافة الإسلامية في المشرق والمغرب قبيل قيام الدولة الفاطمية

تمهيد

1- نجاح التحالف الشيعي الكتامي
2- بناء أول عاصمة فاطمية ألا وهي المهدية
3- التخطيط باتجاه المشرق
4- الانتقال إلى مصر
5- المجتمع الفاطمي في مصر

تمهيد

كانت الخلافة العباسية التي امتدت رقعة دولتها من نهر السند شرقا ، إلى المحيط الأطلسي غربا ، كانت في عصرها الثاني تعاني مرحلة وهن واضطراب ، ويتعاقب في خلافتها عدد من الخلفاء الضعاف ، حيث خرج عدد كثير منهم من السلطة إما قتلا أو خلعا[1].

في تلك الأثناء ، كانت دولة الخلافة الفاطمية الفتية خصمها السياسي والمذهبي ، تنمو وتزدهر في المغرب الإسلامي ، وقد أفسح ضعف الدولة العباسية التي فقدت السيطرة الفعلية على الأطراف ، أفسح المجال أمام الدعوة الفاطمية ، لأن توسّع من نشاطها في أجزاء الخلافة ، لا سيما في ديار كتامة[2] في المغرب الإسلامي، وتحديدا في المغرب الأوسط ، التي وصل إليها الداعية الفاطمي أبو عبد الله الشيعي لنشر الدعوة الإسماعيلية [3].

هذه الحركة الإسماعيلية استطاعت أن تقيم دولة في أجزاء من المغرب الإسلامي في البداية ، وقد تأسست هذه الدولة الفتية استنادا إلى عوامل عديدة ، العامل الأول منها هو التنظيم : حيث قسموا العالم إلى جزر (أقاليم) وبكل جزيرة داعية ، وهؤلاء الدعاة يرتبطون بداعي الدعاة الذي يرتبط بالإمام[4] .

---

[1] شريط وثائقي، للجزيرة الوثائقية (بدايات ونهايات الدولة الفاطمية).

[2] كتامة: هي من اشهر القبائل الجزائرية الكبرى تسكن السفوح والسهول والجبال بين قسنطينة وبجاية ، يوجد منها بعض البطون بجبال الأوراس ، وهي من أشد القبائل بأسا ، وأطولها باعا في الملك .

[3] شريط وثائقي، للجزيرة الوثائقية (بدايات ونهايات الدولة الفاطمية).

[4] د/ أحمد الحلواني، أستاذ التاريخ الإسلامي في سوريا والجزائر، من خلال الجزيرة الوثائقية.

والعامل الثاني هو: العقيدة الدينية والإيمان بهذه العقيدة، أما العامل الثالث أستطيع أن أسميه الإرادة النضالية القوية، مع ضعف قوة أو سيطرة الخلافة استطاع أن ينتصر في المغرب الإسلامي عموما[1] .

فالدولة الفاطمية كانت من ناحية النخبة، هي نخبة مشرقية ومغربية، أبو عبد الله الشيعي، قدم من المشرق من السَلَمِيَة[2] من بلاد الشام[3] تحديدا ، لكن هذه الدولة اعتمدت بصفة كلية تقريبا على قبيلة بربرية، ألا وهي قبيلة كتامة[4].

1- نجاح التحالف الشيعي الكتامي:

فقد تحالف أبو عبد الله الشيعي مع قبيلة كتامة المغاربية، وبالتالي استطاع أن ينتصر على دولة الأغالبة ، وأن يقيم دولة شيعية إسماعيلية[5].

نجح الداعية أبو عبد الله في جمع قاعدة عريضة من الأنصار حوله ، استعان بهم للسيطرة على دولة الأغالبة ودخول عاصمتهم القيروان[6] سنة 296 للهجرة .

بهذا يمكن أن نقول أن الدولة الفاطمية دشنت عصر الدولة القبيلة في المغرب ، كما يمكن القول أيضا أن الدعوة الإسماعيلية قد نجحت أولا لأن

---

[1] د/ أحمد الحلواني، أستاذ التاريخ الإسلامي في سوريا والجزائر، من خلال الجزيرة الوثائقية.

[2] السَلَمِيَة: مدينة سورية تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الشرق من مدينة حماة في وسط سوريا. لهذه البلدة أهمية تاريخية حيث أنها كانت مقراً للدعوة الإسماعيلية الباطنية ومنها انطلق عبد الله المهدي حيث غادر السلمية إلى تونس ليصبح الخليفة الأول للدولة الفاطمية.

[3] بلاد الشام: هي المنطقة الممتدة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط وتمتد شرقا إلى منطقة الجزيرة السورية شرق نهر الفرات وتمتد شمالا من بلاد الروم (تركيا) حاليا إلى حدود مصر وجزيرة العرب جنوبا وتشتمل في الوقت الحاضر على سورية و فلسطين و لبنان و الأردن وأجزاءً من تركيا (ديار بكر واسكندرون وأضنة)، ويسمى سكان هذه المنطقة الشوام

[4] د/ناجي جلول، أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة منوبة من خلال الجزيرة الوثائقية.

[5] د/ أحمد الحلواني، أستاذ التاريخ الإسلامي في سوريا والجزائر، من خلال الجزيرة الوثائقية.

[6] القَيْرَوَان مدينة تونسية، تبعد حوالي 160 كيلومتر عن تونس العاصمة والقيروان المعروفة بعاصمة الأغالبة هي أول المدن الإسلامية المشيدة في بلاد المغرب،. يعود تاريخ القيروان إلى عام 50 هـ / 670 م، عندما قام بإنشائها عقبة بن نافع. وكان هدفه من هذا البناء أن يستقر به المسلمون ، ويعود أصل التسمية إلى الكلمة الفارسية (كيروان) والتي تعني المعسكر أو المكان الذي يدخر فيه السلاح. وتم تعريب هذه الكلمة لتصبح (القيروان) بحرف القاف..

الدولة الأغلبية[1]انتهى دورها التاريخي وترهلت ووصلت إلى فترة الشيخوخة.[2]

كما هو معروف أن أبو عبد الله الداعي أصله من العراق[3] ، وذهب بتكليف من الإمامة إلى اليمن وأعلنت الإمامة أنذاك أنها ستذهب إلى اليمن[4] وتؤسس خلافة فاطمية هناك لكن حدثت بعض المشاكل[5] .

المهم هو أن أبا عبد الله الداعي أُرْسِلَ من اليمن إلى الحجاز ، ليرافق ركب الحجيج المغاربة[6] ، إلى المغرب الأوسط أو الجزائر حاليا، فقابل فقابل وفدهم هناك، وذهب معهم إلى مضاربهم عند بني سكتان[7] تحديدا، فاستقر فاستقر بإيكجان وأصبح أمره عند الكتاميين مطاعا[8].

وبعد الدعوة وفتح المدن وتأمين الاستقرار للدولة ،وصله الخبر بأن إمامه موجود بسجلماسة ، فذهب إلى المدينة وحارب اليسع ابن مدرار زعيم الصفرية [9]، الذي كان يحكم سجلماسة ،واستخلص بإعلان أول إمامة شيعية في التاريخ ، وبايع الناس عبد الله المهدي[10].

[1] الدولة الأغلبية: قامت في افريقية من (184-296ه/800-909م)وكانت تشمل طرابلس وافريقية (تونس) وجزء من المغرب الاوسط هو اقليم الزاب وكانت دولة الاغالبة تابعة للدولة العباسية ، حسين مؤنس ،معالم تاريخ المغرب والأندلس ،ص 95.

[2] د/ناجي جلول، أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة منوبة من خلال الجزيرة الوثائقية.

[3] العراق: بالنسبة لمعظم الجغرافيين العرب، كابن حوقل، والمقدسيّ، فالعراق يمثل فقط ما يعرف بالوقت الحاضر بمنطقة جنوب العراق، والكلمة لم تشمل المناطق في شمال تكريت على نهر دجلة، وبالقرب من هيت على نهر الفرات.

[4] اليمن : مر تاريخها القديم لثلاث مراحل الأولى مرحلة مملكة سبأ والثانية فترة الدول المستقلة وهي مملكة حضرموت ومملكة قتبان ومملكة ومملكة معين والثالثة عصر مملكة حمير وهو آخر أدوار التاريخ القديم، Beeston ,A.F.L : Himyarite Monothéisme 1984, P.152

[5] د/سهيل زكار، نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب ،من خلال الجزيرة الوثائقية.

[6] المرجع السابق.

[7] قبيلة " بني سكتان "،هي إحدى فروع القبيلة الكبرى "كتامة " وهي أقوى القبائل البربرية وأشدها شوكة وأطولها باعا، بمنطقة بني عزيز وقد كانت هذه المنطقة ، مهدا لقيام الدولة الفاطمية إحدى أكبر الدول في التاريخ الإسلامي.

[8] شريط وثائقي للجزيرة الوثائقية (بدايات ونهايات الدولة الفاطمية).

[9] اليسع بن مدرار زعيم الصفرية: بني واسول أو بني مدرار سلالة أمازيغية إسلامية سيطرت على أجزاء من المغرب الأقصى واتخذت من سجلماسة عاصمة لها. كانت قائمة على مذهب الخوارج الصفرية. رغم أن الزعيم الروحي للإمارة هو أبو القاسم سمكو ، إلى أن أول حاكم فعلي هو عيسى بن يزيد الأسود الذي بويع في سجلماسة وحكمها مدة 15 سنة من 757 إلى 772م، مع وصول المزيد من القبائل المكناسية واستقرارها في سجلماسة وميل ميزان القوة لها فإنها لم تر أنه من اللائق أن يحكمها زنجي فقتلت عيسى بن يزيد الأسود وبايعت الزعيم الروحي لهذه القبائل أبو القاسم سمكو. استمرت دولة بني مدرار حوالي قرنين من الزمن حتى تغلب عليهم عبد الله المهدي الذي قتل آخر حكام بني مدرار، اليسع بن ميمون، سنة 296 هـ، إلاّ أن الحكم في يد بني مدرار استمر مع التبعية الاسمية للدولة الفاطمية حتى سنة 345 هـ.

[10] د/سهيل زكار، نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب ،من خلال الجزيرة الوثائقية.

مكث الإمام عبد الله المهدي في سجلماسة[1] أربعون يوما، ثم انتقل إلى إيكجان ومنها إلى رقادة[2] ، واستقر في قصر الصحن مُتخذاً رقادة عاصمة له ، ولُقِبَ بالمهدي أمير المؤمنين .

2- بناء أول عاصمة فاطمية ألا وهي المهدية:

شرع عبد الله المهدي في بناء عاصمة جديدة لدولته، في مكان حصين قرب البحر في مدينة عرفت باسمه " المهدية"[3] .

نظرا لاستراتيجية الدولة ، وأهمية البحر المتوسط ، عمل عبد الله المهدي شخصيا ، جولة على شاطئ البحر ووصل إلى منطقة فيها بناء من العصر الروماني هائل اسمه أَجَمْ[4] ، وإلى جانبه منطقة ممتدة بالبحر ، فوقع اختياره على هذا الموقع وبنى عليه مدينة المهدية ، بعد أن أغلق وحصّن المكان ، وردم قسم كبير من البحر[5] .

كان المهدي يملك بعض الخشية من محيطه ، خاصة أن لديه أعداء في المحيط يخالفهم مذهبيا ، ويبدو أنه كان يملك أيضا هواجس أمنية ، لم تكن القيروان ولا رقّادة فيما يبدو كافية لتلبية طموحاته الأمنية[6] .

---

[1] سجلماسة: تاريخيا فإن سجلماسة هي ثاني مدينة إسلامية تشيد بالمغرب الإسلامي بعد مدينة القيروان وهي عاصمة أول دولة في المغرب الكبير تكون مستقلة عن الخلافة بالمشرق وهي إمارة بني مدرار الخارجية الصفرية (خوارج مكناسة الصفرية). تذهب بعض المصادر التاريخية أن سجلماسة بنيت سنة 140 هـ/757م في قلب واحة خصبة كانت عبارة عن مراعي يؤمها عدد من الرحل لتبادل منتوجاتهم في إطار موسم تجاري سنوي، وهو موقع استراتيجي بالنسبة لمختلف مناطق شمال أفريقيا وبلاد السودان الغربي من جهة والمشرق الإسلامي

[2] رقادة: مدينة أسسها إبراهيم الأصغر سنة 264هـ ، تبعد عن القيروان بثمانية أميال جنوبا وهي اليوم أطلال .

[3] المهدية: أسسها (اختطها) عبد الله المهدي لتكون قلعة يعتصم فيها هو وجنده واهله وحشمه وامواله سنة 305ه/917م ،حصن منيع يقوم على على راس بارز في الساحل الشرقي لتونس شمال سوسة ،حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص 147 .

[4] أجم: موقع أثري روماني قديم، اختار المهدي هذا البناء من جهة البحر، لإقامة عاصمة ملكه في المغرب الأدنى، ألا وهي مدينة المهدية.

[5] د/سهيل زكار، نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب ،من خلال الجزيرة الوثائقية..

[6] د/ غزوان ياغي ، متخصص في الآثار الإسلامية ،من خلال الجزيرة الوثائقية.

فالمهدية من الداخل خُطت لتكون بداية ميناء حربي مهم، على اعتبار أن هذا الشخص كان يملك رؤية واضحة للدولة التي يطمح لإنشائها[1] .

فكان الميناء جزءا أساسيا وهَمّ في بناء هذه المدينة الجديدة، نُقِرَتْ الأعماق حتى تُنَاسُب إنشاء دار لبناء السفن، تتسّع لأكثر من مائة وخمسون سفينة، وهكذا مَهَدَ لدخول الفاطميين إلى البحر، والسيطرة على الجزر الموجودة بالمتوسط بالقوة[2].

كما لا ننسى أن الدولة الفاطمية، قامت في القرن الرابع الهجري، مما يعني أن حركة الملاحة الإسلامية للخط التجاري الكبير، الذي يربط بين المرية[3] من جهة ، والإسكندرية[4] من جهة أخرى ، كان خط التجارة العالمية ، وكانت المهدية تتوسط هذا الخط ، مما يعني أنها تتوسط طريق أعالي البحار الذي يمر بالجزر المقابلة للمهدية ، ومن البديهي أنّ من يسيطر على الموقع ، يسيطر بالتالي على حركة التجارة ، كما لا ننسى أن الفاطميين ، كانت لهم مطامع في المشرق الإسلامي ،كما في الأندلس ، والمهدية تتوسطهما[5].

إذاً فبناء المهدية في هذا المكان بالذات، هو عبارة عن استراتيجية وحكمة فذة ،بلغها عبد الله المهدي في ذلك الوقت، فالفاطميون كانت أساطيلهم العسكرية كبيرة جدا وقوية أيضا ، وربما المعارك التي خاضها الأسطول

---

[1] د/ غزوان ياغي ،المرجع السابق.

[2] د/ غزوان ياغي ، المرجع السابق.

[3] المرية: مدينة حديثة النشأة نسبياً مقارنة بباقي مدن إسبانيا أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة (344 هـ)، وجاء اسمها من وظيفتها إذ كانت تتخذ مرأى ومرصدًا لمدينة بجانة وهناك قول آخر في سبب تسميتها وهو أن المدينة سميت بالمرآية (من كلمة المرآة) لأن المدينة ومعالمها تنعكس على المياه من حولها وكأنها مرآة.

[4] الإسكندرية :تعتبر العاصمة الثانية لمصر وقد كانت عاصمتها قديما، وهي عاصمة لمحافظة الإسكندرية وأكبر مدنها، تقع على ساحل البحر البحر الأبيض المتوسط بطول حوالي 55 كم شمال غرب دلتا النيل،

[5] د/ناجي جلول، أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة منوبة من خلال الجزيرة الوثائقية.

الفاطمي ، لا سيما معركة المجاز بين صقلية[1] وإيطاليا[2] في قلورية[3] أو (كلقيريا) في هذه المنطقة ، تُعدُ من أعظم معارك التاريخ الإسلامي[4] .

3- التخطيط باتجاه المشرق:

لكن ولسبب ما لم يطمئن الفاطميون، إلى البقاء في تلك الوهاد الوعرة ، أي في المغرب ، ولم يعتبروا أنهم وصلوا إلى إقامة ملكهم في إفريقية ، إلى ذروة الأماني والغايات التي كانوا يحلمون بها ، لذلك ظلّت أعينهم تتطّلع إلى مصر ، التي اعتبروها طريقهم إلى تحقيق أحلامهم ، ولهذا لم يكفوا عن مراقبة سير الأحداث في مصر ، وانتظار الفرصة السانحة لغزوها مجددا[5].

وقد أتيحت لهم هذه الفرصة بعد وفاة كافور الإخشيدي[6] ، واضطراب أحوال الدولة ، والتنافس على السلطة ، ومطالبة كبار زعماء مصر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[7] بفتح مصر.

---

[1] صِقِلِّية :(بالإيطالية: Sicilia، تلفظ "سيشيليا")، هي أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، ومنطقة ذاتية الحكم في إيطاليا. الجزر الصغرى حولها مثل الجزر الإيولية هي جزء من صقلية. اسمها الرسمي هو منطقة الحكم الذاتي الصقلية.

[2] إيطاليا: الجمهوريّة الإيطاليّة (بالإيطاليّة: Repubblica Italiana) هي دولة تقع جزئيًا في جنوب أوروبا في شبه الجزيرة الإيطالية وأيضًا على أكبر جزيرتين في البحر الأبيض المتوسط: صقلية وسردينيا. تشترك إيطاليا في الحدود الشمالية الألبية مع فرنسا وسويسرا والنمسا وسلوفينيا. بينما يوجد داخل الأراضي الإيطالية دولتان مستقلتان هما مكتنفا سان مارينو ومدينة الفاتيكان، كما يوجد مكتنف كامبيوني ديتاليا في سويسرا.

[3] قلورية: قَلَوْرِيَة كالابريا (بالإيطالية: Calabria) إقليم في إيطاليا، يقع أقصى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية وتبلغ مساحته 15.082 كيلومتر مربع، وهو على شكل شبه جزيرة يحيط به شرقا البحر الأيوني وغربا البحر التيراني يحده من الشمال إقليم بازيليكاتا ويفصله عن صقلية مضيق ميسينا، عاصمته كاتنزارو، وتتكون من خمسة المقاطعات.

[4] د/سهيل زكار، نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب من خلال الجزيرة الوثائقية.

[5] شريط وثائقي للجزيرة الوثائقية (بدايات ونهايات الدولة الفاطمية).

[6] كافور الإخشيدي: أبو المسك كافور الإخشيدي لقبه الليثي السوري (292 - 357 هـ / 905 - 968 م)، كان من رقيق الحبشة وأصبح رابع حكام الدولة الإخشيدية في مصر والشام، كان الحاكم الفعلي لمصر منذ 946 بعد وفاة محمد بن طغج وأصبح كافور سنة 966 م واليا على مصر حيث حكمها ثم توسع إلى بلاد الشام دام حكمه لمدة 23 عاما وهو صاحب الفضل في بقاء الدولة الإخشيدية في مصر

[7] المعز لدين الله: هو معد المعز لدين الله، المعز أبو تميم معدّ بن منصور (المهدية حوالي 932 - القاهرة 975) هو رابع الخلفاء الفاطميين في إفريقية وأول الخلفاء الفاطميين في مصر، والإمام الرابع عشر من أئمة الإسماعيلية حكم من 953 حتى 975. وقد أرسل أكفأ قادة جيشه وهو جوهر الصقلي للاستيلاء على مصر من العباسيين فدخلها وأسس مدينة القاهرة بالقرب من الفسطاط، والتي تعتبر أول عاصمة للعرب في مصر: في عام 639 ميلادية، قاد عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب جيشًا إسلاميًا قدِمَ من الشام واستطاع هزيمة الرومان الشرقيين في مصر والاستيلاء عليها عام 641 م، وقام بإنشاء مدينة الفسطاط وأصبحت ولاية إسلامية تابعة للخلافة وقاعدة لانطلاق الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا.

كما فعل يعقوب ابن قُلَسْ[1] ، أحد كبار رجال الدولة في عهد كافور، (خريطة رقم 1) .

كانت مصر دون غيرها في منظر الفاطميين ، هي المركز الأصلح لتحقيق أهدافهم ، وفيها تستطيع الخلافة الفاطمية أن تقيم ملكها السياسي وإمامتها الدينية على أسس قوية ومتينة[2].



خريطة رقم 1: الدولة الإخشيدية في مصر والدولة الفاطمية في المغرب عن الأطلس

[1] يعقوب ابن قُلَسْ: أحد كبار رجال الدولة في عهد كافور أيام الدولة الإخشيدية في ذلك الوقت ، ويعد أحد المقربين منه.
[2] شريط وثائقي للجزيرة الوثائقية (بدايات ونهايات الدولة الفاطمية).

4- الانتقال إلى مصر:

وما إن وطئ الفاطميون أرض مصر حتى بدأت حقبة جديدة في ملكهم ،من تشييد المدن كالقاهرة ، والمساجد كالأزهر وغيرها من الدور الفخمة ، وتنظيم الدواوين ،وجعلوا في كل ولاية لدولتهم ديوانا خاصا بها ،وكذلك اهتموا بتنظيم البريد ونقل الرسائل بين الولايات بواسطة الحمام الزاجل ،كما طوروا نظام الشرطة والحسبة والقضاء ووضعوا نظاما إداريا وعلميا دقيقا لتوطيد حكمهم ونظموا الأمور المالية تنظيما دقيقا وصكوا عملتهم بالدينار الذهبي والفضي وكان المعز لدين الله الفاطمي أوّل من وضع نظاما للبحرية ، وانتهج على منواله من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين .

كما اهتم الفاطميون بالزراعة والري، وشق الطرق والجسور، وقياس منسوب النيل، كما تقدمت في عهدهم صناعة السفن والورق والزيت، والحفر على الخشب، وقد اهتموا أيضا بحماية الطرق التجارية البرية منها والبحرية والمواصلات المائية عبر النيل[1]. أما الجانب الديني فكان بدايته من الجامع الأزهر[2] .

5- المجتمع الفاطمي في مصر

تألف مجتمع الدولة الفاطمية من شرائح اجتماعية متعددة ، وقد تمتعت المرأة عندهم بمكانة رفيعة ، وأثرت بعضهن في الحياة السياسية مثل ست الملك [3]، شقيقة الحاكم بأمر الله[4] ، واحتفلوا بالأعياد الدينية ، مثل المولد

---

[1] د/ غزوان ياغي ، متخصص بالآثار الإسلامية من خلال الجزيرة الوثائقية.

[2] المرجع السابق.

[3] ست المُلك :هي الأخت الكبرى للخليفة الحاكم بأمر الله سادس الخلفاء الفاطميين والإمام الإسماعيلي السادس عشر منذ 1021 وحتى 996.

[4] الحاكم بأمر الله: (985 - 1021) الخليفة الفاطمي السادس، حكم من 996 إلى 1021،ولد في مصر وخلف والده في الحكم العزيز بالله الفاطمي وعمره 11 سنة, ويكنى بابي على وهي كنية أخذها بعد ميلاد ابنه علي الذي تلقب بالظاهر لإعزاز دين الله حينما تولى الخلافة بعد اختفاء أبيه, ويعتبر البعض أن الحاكم كان آخر الخلفاء الفاطميين الأقوياء.

النبوي الشريف ، وعيد رأس السنة الهجرية [1]، وشجعوا كذلك على العلم والأدب ، كما برزت في عهد الفاطميين شخصيات علمية وطبية من أشهرها علي ابن الرضوان [2]، وابن الهيثم[3].

خلاصة

كان عهد المعز عهد توطيد ودفاع عن الملك الفتي ، وكان يريد لجيشه فتح الشام ، كما فتح مصر ، فكان له ما أراد ،فدعا له بنو حمدان[4] في حلب[5] ، وامتدت مملكته الشاسعة من أواسط المغرب إلى شمال الشام ، وبسط الخليفة الجديد حكمه على الحجاز من أرض الحرمين أي مكة والمدينة ،وكذلك اليمن[6]،لكن خطر القرامطة[7] ظل حائما في الأفق.

كما أننا لا يجب أن ننسى أن الدعوة الإسماعيلية ، نشأت في السَلَمِيَةَ في بلاد الشام ، وبالتالي التوجه الطبيعي يكون لمركز الانطلاق للهيمنة عليه ، وبلاد الشام ذات أهمية في التاريخ العربي والإسلامي ، ومن ثم لا

[1] د/سند عبد الفتاح، أستاذ التاريخ الإسلامي، بجامعة عين شمس، من خلال الجزيرة الوثائقية.

[2] علي ابن الرضوان: ولد أبو الحسن علي بن رضوان المصري بن علي بن جعفر عام 988 في مدينة الجيزة المصرية، كان من كبار الأطباء وعلماء الفلك والفلاسفة في الإسلام وفي عصره. نشأ ابن رضوان في بيئة فقيرة، فقد كان أبوه يعمل فراناً ولذا اضطر إلى العمل في صغره ليوفر نفقات تعليمه وما يحتاج إليه من كتب تعينه على الدراسة.

[3] ابن الهيثم: هو أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم (354 هـ/965م-430 هـ/1040م) عالم موسوعي مسلم، قدم إسهامات كبيرة في الرياضيات والبصريات والفيزياء وعلم الفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية والإدراك البصري والعلوم بصفة عامة بتجاربه التي أجراها مستخدمًا المنهج العلمي، وله العديد من المؤلفات والمكتشفات العلمية التي أكدها العلم الحديث ، مصطفى نظيف: الحسن بن الهيثم، بحوثه وكشوفه البصرية ـ سلسلة تاريخ العلوم عند العرب ، مركز دراسات الوحدة العربية

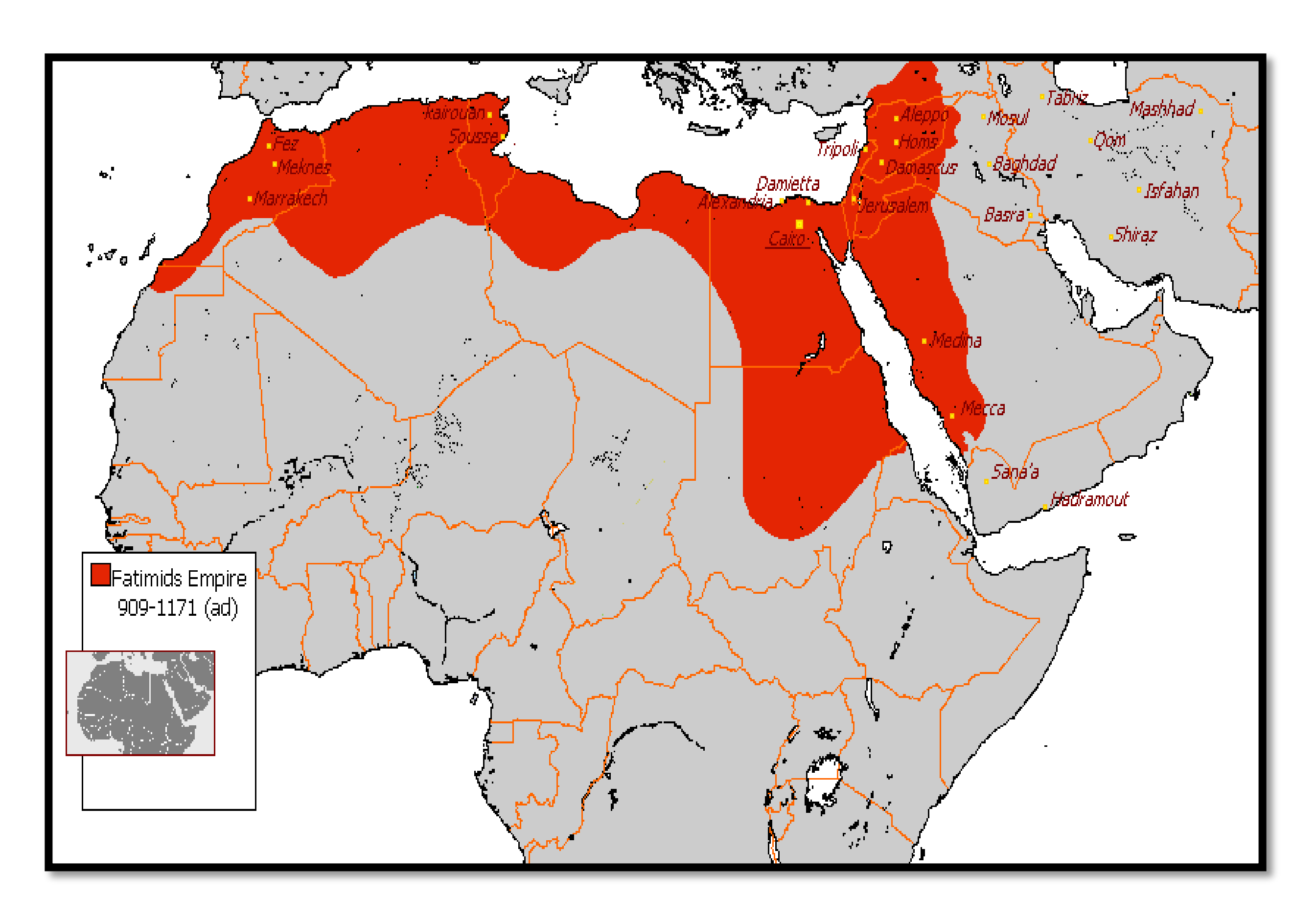
[4] بنو حمدان: هم حكام الدَّولَةُ الحَمَدَانِيَّةُ أو الإِمَارَةُ الحَمَدَانِيَّةُ أو دَوْلَةُ بَني حَمدَان، وتُعرفُ اختصارًا وفي الخِطاب الشعبي باسم الحَمَدَانِيُّون، هي إمارة إسلاميَّة شيعيَّة أسَّسها أبو مُحمَّد الحسن بن أبي الهيجاء الشهير بِلقب «ناصر الدولة» في مدينة الموصل بِالجزيرة الفُراتيَّة، وامتدَّت لاحقًا باتجاه حلب وسائر الشَّام الشماليَّة وأقسامٌ من جنوب الأناضول. مُصطفى، شاكر (1993). موسوعة دول العالَم الإسلامي ورجالها، الجُزء الأوَّل (الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار العلم للملايين. صفحة 352.

[5] حلب: فتحت مدينة حلب بقيادة خالد بن الوليد عام 637 ميلادي، لتشكل جزءاً من الدولة الأموية ومن بعدها العباسية. وفي عام 944 غدت عاصمة الدولة الحمدانية تحت حكم سيف الدولة الحمداني، عاشت المدينة عصراً ذهبياً أيام الأمير سيف الدولة وكانت أحد الثغور الهامة للدفاع عن العالم الإسلامي في وجه المد البيزنطي، انضوت المدينة تحت حكم صلاح الدين في عهد الدولة الأيوبية منذ عام 1183.في 24 كانون الثاني لعام 1260، تم احتلال المدينة من قبل المغول تحت قيادة هولاكو بالتعاون مع حاكم أنطاكية بوهيموند السادس.

[6] د/سهيل زكار، نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب من خلال الجزيرة الوثائقية.

[7] القرامطة: نسبة للدولة القرمطية التي انشقت عن الدولة الفاطمية وقامت إثر ثورة اجتماعية وأخذت طابعا دينيا. انشأ القرامطة دولتهم في محافظة الأحساء الحالية في شرق السعودية. يعدها بعض الباحثين من أوائل الثورات الاشتراكية في العالم. اشتهر القرامطة أساسا بفضل ثورتهم ضد الخلافة العباسية.

تكتمل الخلافة الإسلامية بدون أن تضم المشرق الإسلامي إلى مغربه[1]، (خريطة رقم 2).



خريطة رقم 2: الإمبراطورية الفاطمية في أقصى اتساعها (عن الأطلس).

[1] د/ أحمد الحلواني، أستاذ التاريخ الإسلامي في سوريا والجزائر من خلال الجزيرة الوثائقية.

الفصل الأول

الفصل الأول

القاضي النعمان وآثاره الفكرية والعملية

I. القاضي النعمان الشخصية العادية
II. القاضي النعمان وآثاره الفكرية
III. القاضي النعمان وآثاره العملية

تمهيد :

إن الدراسات المتعلقة بالشخصيات التاريخية ، والفكرية والعلمية في هذا العصر، لم تعد ترجمة لجهود الرجال وإنجازاتهم ، وإبراز الجانب البطولي فيهم ، إنما أصبحت دراسة ، وبحث حقائق ليس من السهل الوقوف عليها، في المصنّفات العامة والمتخصصة ، وهو منهج ميز الثقافة العربية الإسلامية ، منذ أن وطدت دعائمها خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ، حيث يأتي جلها في هذا السياق كالسير والتراجم ، والطبقات التي هي كتب علم ، وتاريخ ، واجتماع ، واقتصاد ، وغير ذلك من العلوم والفنون.

أضف إليها صفة أخرى، خصّت منهج المصنّفين العرب والمسلمين ، في السير والتراجم ، وهي أنهم لم يهتموا بتحقيق تواريخ ميلاد العلماء ، والشخصيات التاريخية ، بقدر ما اهتموا بتواريخ وفاتهم ، إلّا لأن وفاة المترجم لديهم مشهورة لاشتهارهم بعلمهم ، وعطاءهم ، في حين أنهم لم يكونوا كذلك عند ميلادهم ، ولأن تاريخ وفياتهم يمثل ملامح مرحلة تاريخية ، في شتى مناحي الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والعلمية.

من هنا فإن التطرق لحياة المؤرّخين تأخذ أهمية خاصة ،لأن كل واحد منهم هو نتاج مرحلة تاريخية معينة، في حياة الأمة العربية والإسلامية ، وفي سيرتهم ونتاجهم دليل واضح على ديمومة حياة الأمة ، وحَرص عُلمائها من المؤرّخين وغيرهم ، على الاستمرار في جهودهم العلمية، ونتاجاتهم الفكرية ، بغية المساهمة في ديمومة النهضة العلمية والفكرية للأمة، وعطائها المستمر عبر العصور المتتالية.

وتأتي في سياق بحثنا الذي يتناول كتابا لأحد الشخصيات ، ألا وهو القاضي النعمان، وجهوده التي كان لها دور كبير في مرحلة متميزة ، من تاريخ بلاد المغرب الإسلامي ، والتي أغفلها الكثير من الكتاب ، والمؤرخين القدامى والمحدثين ،بحكم عوامل مختلفة أهمها المذهبية ، وهذا ما دفعنا لمعرفة هذه الشخصية التاريخية ، التي تجمع أعمالها ملامح عصرها ـ هو بلورة جوانب التطور الحضاري، العربي الإسلامي ببلاد المغرب.

بناءً على ما تقدم ، وأخذاً بنصيحة أستاذنا الكريم والمحترم ، والمُشرف على بحثنا ، والذي حفّزنا على اختيار واحد من مؤلفات القاضي النعمان ألا وهو كتاب " افتتاح الدعوة " ليكون موضوع مذكرتنا، ومن خلاله التعرّف على العمران الفاطمي في بلادنا ، إذ يُعَد هذا المُؤرّخ المغربي واحدا من أبرز المفكرين العرب المسلمين في القرنين (3و4هـ/9و10 م) ، نبغ في مجالات علمية عديدة كعلوم الدين، والحديث، والفقه، فضلا عن النحو والأدب، والحساب، وعلم التاريخ.

والمُلَاحِظ لمؤلفات القاضي النعمان ،وطبيعة موضوعاتها، ومدى الانتشار الذي حققته آنذاك ، يلمس بوضوح الجهد الكبير الذي بذله المؤلف والمنزلة الرفيعة ، والشهرة الواسعة التي نالها .

وقد ارتأينا أن نوافيه حقه كاملا غير منقوص، فقد عرّجنا على حياة هذه الشخصية في عجالة، بثلاثة عناوين اعتمدتنا عليها وهي كالآتي :

بحيث تناولنا اسمه ولقبه ونسبه، ثم مولده وصفاته، ومذهبه وأسرته، إقامته، رحلاته وأخيرا وفاته، وهذا كله ضمن العنوان الأول، في حين تناول العنوان الثاني آثاره العلمية والفكرية، بدءا من نشأته الأولى

وتحصيله العلمي، وكيف تتلمذ على يد شيوخه ؟ كما تضمن أيضا زيارته لمصر.

ونظرا لإمكاناته العلمية ، وثقافته الواسعة ،من خلال اطّلاعه على عدد كبير من المصادر، وتسجيل ملاحظاته الشخصية ،فان ذلك ساعده على وضع مُؤلفات عديدة في مجالات مختلفة ، وخاصة في الفقه الإسماعيلي و حتى في التاريخ .

ونستطيع القول أننا توصلنا إلى بعض أسماء مؤلفات القاضي النعمان ، و كثيرا منها أُهْمِلَ عمدا أو أصبح في حكم المفقود.

ومن جانب أخر، فإن المكانة العلمية التي بلغتها هذه الشخصية ، وطول باعه في التأليف والتصنيف، جعله محط أنظار أصحاب المذهب الإسماعيلي ، فصاروا يرحلون إليه من كل حدب وصوب ، ولم يكن القاضي النعمان بمعزل عن أحداث عصره ، بل شارك في مناصب إدارية ، وعلمية ، ودينية عديدة ، سواء في المغرب أو في مصر ، وهذا ما أدرجناه ضمن العنوان الثالث للقاضي النعمان وآثاره العملية .

I. القاضي النعمان الشخصية العادية (ت 363هـ/973م)

1- اسمه ولقبه ونسبه:

كما هو معروف أن صدر مؤلفات النعمان، تبدأ دائما بذكر اسمه عليها[1]، بنفس الأسلوب الذي جاء في كتب التراجم والسير، والتي تعرضت لحياة القاضي النعمان بن حيون[2]، كما أضيف إليه لقب التميمي المغربي القيرواني[3] نسبة لمدينة القيروان . وقد طغى لقب القاضي النعمان على كل الألقاب ،وهذا يرجع للمنصب الإداري الذي كان يشغله وهو القضاء.

كما أنه كان مُقْرِئاً فَنَسَبُوهُ إلى الحرفة، فأصبح يدعى أبو حنيفة المقرئ[4] ، وكذا الشيعي[5] ، وابن محمد الداعي[6]وابن الفياض[7]، نسبة لوالده ، وبالمشرّع الإسماعيلي[8]، تبعا للشرائع الفقهية الإسماعيلية التي دَوّنَهَا، وزادوه

---

[1] القاضي النعمان : ابو حنيفة النعمان بن منصور بن احمد بن حيون (ت 363هـ/973 م) ، شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، تحقيق . محمد حسين الجلالي ، (بيروت ، منشورات الاعلامي ، 2006) ج 1 ، ص 17 ؛ والمجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي وأخرون ، (تونس ، المطبعة الحيدرية ، 1978) ص 8 .

[2] أبو يوسف محمد الكندي (ت350هـ/961 م) ، كتاب الولاة والقضاة ، تحقيق : فست كوست ، (بيروت ، مطبعة الاباء اليسوعيين ،1908) ، ص 586 ؛ ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ/1282 م) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تقديم عبد الرحمن المرعشي ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي) ، ج 3 ص 206 ، ابو الفضل احمد بن علي ابن حجر العسقلاني : (ت852هـ/1448م) رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق : حامد عبد المجيد وأخرون ، (القاهرة ،المطبعة الاميرية)، ج 2 ، ص 406 .

[3] أبو يوسف محمد الكندي، الولاة والقضاة، ص 586.

[4] سمي بذلك نسبة الى مدينة القيروان التي ولد بها القاضي النعمان وكانت القيروان من مدن افريقيا المهمة التي اختطها عقبة بن نافع سنة (55هـ) . شهاب الدين ابو عبدا لله، ياقوت الحموي : ، معجم البلدان ، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990) ج 4 ص 420 .

[5] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 3 ، ص 207 ؛ حسن ابراهيم حسن وأخرون ، المعز لدين الله ، (القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية ، 1963) ، ص 258.

[6]) مصدر نفسه . ج 3 ، ص 208 . وسبب تسميته بالداعي لانه كان يجلس لقراءة كتب الحكمة التأويلية . لمزيد من التفاصيل انظر :حسين ، محمد كامل ، أدب مصر الفاطمية ، (القاهرة ، دار النهضة ، 1970) ، ص 66 .
انظر وفاته لاحقا .

[7] محمد بن علي ،ابن شهر أشوب ، (ت 588هـ / 1193 م) معالم العلماء ، (النجف المطبعة الحيدرية ،)1961 ، ص 26. وسبب تسميته بالفياض كما يقول ابن خلكان : " ان والد النعمان قد عمر طويلاً ويحكي اخبار كثيرة نفيسة ولهذا لقب بالفياض وابنه لقب ابن الفياض ". وفيات الاعيان ، ج 3 ، ص 207.

[8] عبد النبي الكاظمي، تكملة الرجال، تحقيق: السيد صادق بحر العلوم (النجف، 1925)، ج2، ص 563.

لقب قاضي قضاة الدولة الفاطمية[1]، نظرا للمنصب الذي كان يشغله ، إضافة إلى ذلك كانوا يدعونه بسيّدنا القاضي ، وسيدنا الأجّل، والقيرواني[2] .

تُرَجَحْ عروبته[3] فهو يُلَقَبْ بالتميمي القيرواني ، و أنه بربري من قبيلة كتامة[4] كما يرى (ابن تغري بردي 874 هـ / 1469 م).

كما يشير النعمان إلى نفسه على صدر كتبه بأنه تميمي الأصل[5] ،غير أن المصادر لا تؤكد ادعائه رغم اتفاقها على ذكر نسبه إلى حيون كجد أعلى للعائلة ، ولابد أن يكون له شأن في القبيلة حيث عُرِفَ بها المؤلف[6].

2 - مولده :

فقد كانت في المغرب الإسلامي شخصيات فكرية بارزة ،كأسد بن الفرات،(ت213هـ/827م)،والإمام سحنون،(ت240هـ/854م)،وابن أبي زيد القيرواني[7](ت386هـ/996م) والطبيب ابن الجزار[8] (ت395هـ/1004م) والمؤرّخ عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1405م)[9] ،والمترجم القاضي النعمان ،صاحب رسالة افتتاح الدعوة (ت363 هـ/973م)هو أحد الشخصيات

---

[1] المؤلف النعمان المغربي، الهمة في اتباع آداب اتباع الائمة ، تحقيق : محمد كامل حسين ، ص 5

[2] سمي بذلك نسبة الى مدينة القيروان التي ولد بها. ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبدا لله ياقوت ، معجم البلدان ، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990) ج 4 ص 420 .

[3] القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص 8 .

[4] ابن تعزي بردي : جمال الدين ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية) ج 4 ، ص 116.

[5] القاضي النعمان : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 6 .

[6] القاضي النعمان : المصدر السابق ،ج 1 ، ص 8.

[7] ابن أبي زيد القيرواني هو عبد الله أبو محمد بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، ولد بالقيروان بتونس سنة 310 هـ الموافق ل922م، وهو من أعلام المذهب المالكي. وقد لُقِّب بـ "مالك الأصغر"، وكان إمام المالكية في وقته، وأشهر مصنفاته كتاب الرسالة، وتوفي سنة 386 هـ الموافق ل996م، وعمره 76 سنة

[8] هو الطبيب أبو جعفر أحمد بن إبراهيم أبي خالد القيرواني المعروف بابن الجزار القيرواني وهو أول طبيب مسلم يكتب في التخصصات الطبية المختلفة مثل طب الأطفال وطب المسنين، ولد في مدينة القيروان بالبلاد التونسية في حدود سنة 285 هـ/898 م لأسرة اشتهر أفرادها بالطب وتوفي فيها عام 369 هـ/979 م، و قيل أنه توفي عام 400 هـ/ 1010

[9] ابن خلدون :هو عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (1332 - 1406م)، ولد في تونس وشب فيها وتخرّج من جامعة الزيتونة، ولِيَ الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس ثم انتقل إلى مصر حيث قلده السلطان برقوق قضاء المالكية. ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف فكانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي من أشهرها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)

العلمية التي كان لها شأن كبير ، في بلاد المغرب الإسلامي ،في أبهى عصور الحضارة الإسلامية .

ولذلك كان من الطبيعي أن يُلاحظ على نشأته ،اختلاف كبير من قبل المؤرّخين والباحثين ،لا سيما وأن النعمان قام بأدوار عدة ، منها السياسية والاجتماعية والعلمية في نشأة وتطور الخلافة الفاطمية ، إبّان الدور المغربي، وهكذا نرى أن الذين تصدّوا للكتابة عن هذه الشخصية قديما وحديثا ، اختلفوا حتى في التفاصيل الجزئية، عن حياته، مثل الخلاف في تاريخ ميلاده ومكانه، وعلى نشأته الأولى ـ أي قبل دخوله في خدمة المهدي سنة 312هـ/924م أو 313هـ /925م.

إن العصر الذي وُلد فيه النعمان ، ونشأ في بلاد المغرب صادف الاختلاف السياسي والمذهبي ، وساد فيه المذهب السني[1] ،بالإضافة إلى المذهب الخارجي (الصفري والإباضي)[2] قبل ظهور القاضي النعمان وبعده ، لذلك فإن المصادر السنّية مثل ابن حجر العسقلاني ،وابن خلكان ، ومصادر الخوارج لم تُعِرْ هذا الرجل اهتماما ، الذي خالفها في الاعتقاد المذهبي ، ولم تتعرض لنشأته ، ولم تهتم أيضا بتاريخ ولادته ،ولا حتى مكانها ،وسلك نفس النهج من جاء بعده ، فبقي الجزء الأول من حياته غامضا ،غير أن هذا لم يمنع بعض الباحثين ، والمؤرّخين المحدثين ،من محاولات التخمين ، والاستنتاج ، لتحديد معالم حياته وأسرته .

[1] أهل السنة والجماعة :هم المجتمعون على السُّنَّة المتفقون على قول واحد في أصول الاعتقاد، والسُّنة لغةً الطريقة والسيرة،[3] وتكون بمعنى بمعنى المستحب أو بمعنى: الحديث النبوي، قال ابن منظور: «وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز؛ ولهذا يقال: في أدلة الشرع: الكتاب والسنة أي: القرآن والحديث».

[2] الصفرية :هي فرقة من الخوارج ظهرت في المغرب الأقصى وسيطرت عليه، أبرز قادتها ميسرة المطغري. قامت لهم دولة في سجلماسة تدعى دولة بني مدرار، ينسب الأشعري ،والشهر ستاني هذه الفرقة إلى زياد بن أصفر. بينما يقول المقريزي: إنّهم أتباع زياد بن الأصفر ويضيف، ربّما يقال: إنّهم أتباع النعمان بن الصفر، وقيل: بل نسبوا إلى عبد الله بن صفار، ويقال لهم أيضاً: الزيادية...ويقال لهم أيضاً: النُكّار من أجل أنّهم ينقصون نصف علي وثلث عثمان وسدس عائشة.

ومهما يكن الأمر، فإن المؤرّخون قد اتفقوا على وفاة القاضي النعمان في سنة(363 هـ/973م)[1]، و لم يذكر أحد منهم على تاريخ ولادته ، مما أدى إلى إعمال مجرد الظن والحدس، في نص ذكره المؤلف في كتابه المجالس) الذي يعتبر حافلا بالتواريخ الهامة في الدعوة الإسماعيلية ، فقد قال : (وخدمت المهدي بالله[2] من أواخر عمره تسع سنين وشهورا وأياما)[3] .

وبمأن المهدي هو أول الخلفاء الفاطميين توفى في (322 هـ /934م) ، فيكون تاريخ خدمة المؤلف إياه في أواخر عام (312 هـ/924م) في عمر تؤهله للخدمة ، ويصعب تحديد ذلك ، وإذا قدّرنا عمره آنذاك أنه كان في العشرين من العمر، فتكون ولادته في حدود سنة(292 هـ/904م)[4].

وقد رجح (محمد كامل حسين) ولادة النعمان قائلاً " إننا نعلم أن القاضي النعمان اتصل بالإمام عبد الله المهدي بالمغرب ، ونعلم أن المهدي أسس دولته سنة 296 هـ /908 م .

واعتماداً على هذا الاعتقاد يكون النعمان في سن الطفولة ". ويتابع (محمد كامل حسين) القول: إن جميع المؤرّخين اتفقوا على أن وفاة النعمان سنة (363هـ/973 م) وأنه شارك في القضاء بمصر إلى أن توفي، فيكون قد عمر أكثر من مئة عام ، ولعل من يعمر دهراً كاملاً لا يصلح للقضاء.

وفي حقيقة الأمر، أن جلّ المؤرّخين رجحوا تحديد تاريخ ولادة القاضي النعمان، إلى أواخر القرن الثالث الهجري دون تحديد السنة[5].

---

[1] انظر وفاته لاحقا

[2] المهدي بالله :هو عبيد الله بن الحسين يُعتَبرُ مؤسسَ سلالةِ الفاطميين، وهي الدولة الشيعيّة الوحيدة التي حكمت عموم المسلمين على غرار الخلافة الأموية والعباسية، وأسّستْ حُكُمَ الفاطميون في كافة أنحاء مُعظم شمال أفريقيا.

[3] النعمان ،المجالس : ص 69.

[4] القاضي النعمان : شرح الاخبار ، ج1 ، ص 20.

[5] السبحاني جعفر ، موسوعة طبقات الفقهاء ، (قم ، مطبعة الاعتماد ، 1997) ، ص 492 .

3- صفاته :

تقريبا كل المصادر تُجْمِعْ على صفات خاصة للقاضي النعمان ، ومن أهمها وصف ابن خلكان[1] الذي قال عنه أنه أحد الأئمة الفضلاء وأنه كان في غاية الفضل ، وزاد صاحب هداية العارفين في وصفه ، أنه كان وافر الحشمة عظيم الحرمة، ونقل الذهبي عن المسبحي قوله ،بأنه كان من أهل الفقه والدين والنبل ،كما أن صفة الأجّل السابقة الذكر، تُبَيِنُ المكانة التي كان يحظى بها القاضي النعمان، وصفة الأوحد التي كانت تدل على أنه وحيد زمانه، فيما ألف من كتب، وقنّن من قوانين فقهية في فقه الإسماعيلية.

4 ـ أسرته :

لقد كان للقاضي النعمان ، اهتماما كبيرا بالعلم والمعرفة عامة ، وبالدعوة الفاطمية خاصة ، وقد ساهم في إثراء الحياة العلمية في سائر البلدان عموماً ، كما أنه من عائلة عريقة ومتدينة ، فوالده كما يذكر ابن خلكان [2] : (كان والده أبو عبد الله محمد قد عمر، ويحكي أخباراً كثيرة نفيسة حفظها ،وعمره أربع سنين، وتوفي في رجب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وصلى عليه ولده أبو حنيفة ... ودفن في باب سلم، وهو أحد أبواب القيروان، وكان عمره مائة وأربع سنين) ، ولعل والده كان داعية من دعاة الفاطميين حسب ما تنص عليه عبارة ابن خلكان[3] بقوله : "أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي".

ونستنتج من هذه الرواية أن والده عمر طويلا ، وكان راوي أخبار نفيس، وإن له إلمام بالتاريخ ، وهو على ما يبدو ما ورثه عليه ابنه النعمان،

[1] ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان يكنى "أبو العباس" مؤرخ وقاض وأديب يعد من اعلام مدينة دمشق، وهو صاحب كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان وهو أشهر كتب التراجم العربية، ومن أحسنها ضبطا وإحكاما.

[2] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 2 ، ص 166 .

[3] ابن خلكان ،المصدر نفسه، ج 3، ص 206.

وأنه كان ذكيا جدا ، وله استعدادات ومؤهلات نفسية وعقلية ناضجة لِتَلَقِي العلوم ، إلى جانب هذا ، كان حافظا مُلِما بمعارف شتى .

5 ـ مذهبه :

بمأن للمذاهب أهمية كبيرة ،في تحديد ميول واتجاهات وأفكار أصحابها، واعتماد هذا المذهب أو ذاك ورائه عوامل عديدة، أبرزها التنشئة الأسرية ، وفي دراسة مذهب القاضي النعمان وهو اسماعيلي ما يوضح ذلك ، إذ يجد الباحث نفسه أمام مسألة رئيسية، وتتمثل بتحوّل القاضي النعمان من مذهبه المالكي، الذي نشأ عليه منذ بداية حياته ،وحتى نهاية العقد الثاني من عمره ،عندما تحول إلى المذهب الإمامي.

وهنا ترد إشارة عند ابن خلكان بالنسبة لهذه المسألة ، يذكر فيها : " وكان مالكي المذهب ، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية ،وصنّف كتاب ابتداء الدعوة للعبيديين [1] .

ونستنتج أن ابن خلكان تحدث عن تحوّل النعمان ،إلى مذهب الإمامية الاثني عشرية ، والمعروف عن القاضي النعمان وطبيعة مؤلفاته، أنها كانت اسماعيلية ، وعند الرجوع إلى هؤلاء أي مؤرّخي الاثني عشرية ، نجدهم يؤكدون أن النعمان كان مالكي المذهب ، ثم تحوّل إلى الشيعة الاثني عشرية ،ثم انتقل إلى الاسماعيلية الفاطمية.

رجحت بعض الآراء إلى القول، بأن القاضي النعمان كان حنفيا ، قبل اعتناقه المذهب الإسماعيلي الفاطمي ، فتباينت المصادر التاريخية بشأنه ، وهناك ميل إلى أن رواية ابن خلكان هي القريبة من الواقع ، لأن المالكية كانت منتشرة بكثرة في شمال إفريقية وكذا الأندلس ، وأن طلبة الإمام مالك ساعدوا

[1] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 3 ، ص 206 .

بانتشارها في المنطقة ، في حين أن المذهب الحنفي ،كان انتشاره محدودا دينياً بين المسلمين في هذه المناطق المذكورة ألفا، وعليه فإن النعمان كان على مذهب أهل بلاده[1] أي أنه كان مالكيا.

والذي يهمنا مما تقدم وإِنْ اخْتَلَفَتْ الأسباب هو : أثر التحوّل المذهبي، عند القاضي النعمان على تحصيله العلمي ومؤلفاته، فلابد وأن رافق ذلك، دراسة مقارنة بين المذهبين، وهو ما تطلب بطبيعة الحال زيادة في طلب العلوم، ولاسيما في مذهبه الإمامي ، حتى وصفه ابن خلكان[2]، بأنه كان في نهاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه، وعالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء ، و اللغة والشعر الفحل ،والمعرفة بأيام الناس مع العقل.

6ـ إقامته:

إن المصادر فيما يخص إقامته أو مساكنه تبدو شحيحة ، فلا تكاد تذكر شيئا عنها ، ولا عن مكانها وصفاتها إلا بعض الإشارات التي تفيد في هذا الموضوع ، ويبدو من خلال ما أوردته أن النعمان أقام في ست إقامات تختلف في المكان والزمان وهي كالآتي :

أولا: كانت إقامته بسوسة، حيث عمل والده إماما للصلاة، وأين يمكن أن يكون قد وُلد اعتمادا على ما أورده الخشني.

ثانيا : القيروان عندما بدأت ملامح نجاح الدعوة الإسماعيلية ، وقيام الدولة الفاطمية ، وقد يكون أيضا سكن رقّادة في هذه المرحلة الأولى، من نجاح الدعوة الإسماعيلية .

---

[1] الأمين حسين، مستدركات أعيان الشيعة، بيروت دار التعارف، 1997، ج 2، ص 339.
[2] ابن خلكان ، وفيات الاعيان (طبعة دار الثقافة) ، ج5 ، ص 415 .

ثالثا : المهدية وهذا بعد أن دخل النعمان في خدمة المهدي سنة 312 أو313هـ/924أو925م، وتأسيس المهدية والانتقال إليها سنة 308هـ/920م، حيث بقي فيها، إلى أن عُيّن قاضيا على طرابلس سنة 334هـ/945م ، وفي المهدية بدأ نجمه في الظهور، حيث يفدينا هو نفسه عن طبيعة خدمته للمهدي.

رابعا: طرابلس التي سكنها، وأقام بها منذ أن كان قاضيا عليها، إلى أن استدعاه الإمام المنصور إلى المنصورية سنة 337هـ/948م.

خامسا : المنصورية (صبرة) بعد تأسيها من طرف الخليفة المنصور ، واتخذها عاصمة جديدة للدولة، إثر القضاء على ثورة أبي يزيد صاحب الحمار ، فدعا القاضي النعمان من طرابلس ، وولاّه القضاء بها كقاضي "للدولة أو للقضاة " وذلك سنة 337هـ/948م ، ويذكر النعمان أنه كان له بها مسكن ضيّق لا يتسع لأفراد عائلته .

سادسا : مصر القديمة أو الفسطاط ، بعد فتحها من طرف القائد جوهر الصقلي ، والتي لا يعرف عنها إلا القليل ، أو القاهرة وذلك بعد ما انتقل إلى مصر مع الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، حيث ورد في المصادر أن النعمان كان يغدو من مصر القديمة ـ الفسطاط ـ إلى القاهرة المعزية ويعود.

7ـ رحلاته : في الحقيقة لم نجد لرحلات القاضي النعمان ذكرا ، سوى رحلته من بلاده إفريقية إلى مصر، وكان هذا بصحبة الخليفة المعز، حيث بقي فيها إلى أن توفي[1].

[1] ابن خلكان ،، وفيات الأعيان ،ج 3،ص 206.

8 ــ وفاته:

إن وفاة العظماء أمر له دلالته ، ومغزاه في حركة التاريخ ، وقد أدرك علماؤنا المسلمون هذه الدلالة ، وهذا المغزى فأرّخ معظمهم لهؤلاء العظماء ، بتاريخ وفاتهم منهم ابن خلكان في " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، والذهبي في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ووفاة النعمان لم تكن بالحدث العابر ، بل هي نهاية مرحلة من الاجتهاد العلمي ، والتأصيل للمذهب الإسماعيلي بسمات مغربية منها البساطة ، والبعد عن التعقيد ، وبداية مرحلة أخرى، تحوّلت فيها هذه السمات إلى سمات مدرسة فقهية ، وفكرية ،بعد أن طُعِمَتْ بآراء واتجاهات فلسفية متعددة المصادر .

وإذا كان جُلُ المؤرّخين القدامى والمحدثين ، والدارسين اختلفوا في تحديد ميلاد النعمان ومكانه ، فإنهم اتفقوا على تاريخ وفاته ومكانها، لكنهم اقتصروا على ذكر تاريخ وفاته مجردا من أي تفاصيل ، والمعروف انه رحل إلى مصر مع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة 362هـ 972م ،حيث توفي النعمان أبا حنيفة القيرواني ، بعد عام من وصوله أي في جمادى الثانية ، سنة (363هـ/973 م)[1] بمصر ، عن عمر يناهز (104) سنة[2].

[1] الكندي ، الولاة والقضاة ، ص 586 ؛ ابن اشهر اشوب ، معالم العلماء ، ص 116 ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 3 ، ص 207 ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج 1 ، ص 205 ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ج 2، ص 207 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 22 ، ص 675 ،المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج 1 ، ص 277 ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب (القاهرة : دار احياء) ، ج 3 ، ص 47

[2] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 3، ص 206 .

II. القاضي النعمان وآثاره الفكرية

لايزال هناك غموض في ترجمة القاضي النعمان، عند ذوي الاختصاص ناقصة، فلم يعرفوا كيف أخذ عن الشيوخ في القيروان ، ولكن ذكر بعض المؤرّخين مكانته عموما، ومنهم الداعي إدريس[1] (ت 872هـ/1467م) بأنه كان ذا مكانة علمية رفيعة جداّ قريبة من الائمة، وأنه كان دعامة من دعائم الدعوة.

ويقول ابن خلكان[2] نقلاً عن المسبحي (ت420هـ/1029م) في تاريخه :" كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه"، ويضيف الذهبي[3](ت748هـ/1348م) بقوله :" كان وافر الحشمة ، عظيم الحرمة ، في أولاده قضاة وكبراء. "

والحقيقة هي أن القاضي النعمان ،اشتملت حياته على أدوار بارزة، كان لها الأثر العميق في تكوين شخصيته، ثقافيا وفكريا ،كما كان ارتكازه على قواعد مهمة، طغت على سيرته، منها اتباع نهج الأئمة الفاطميين، والاستفادة منهم علميا بما كانوا يتمتعون به .

فضلا عن الخصال التي اتصفوا بها وأرادوا تحميلها للتابعين لنهجهم ، كما قال الداعي إدريس : " إنما ألف ما ألف ، وجمع ما جمع ، وصنّف ما صنّف ، مما أخذه من أئمته الذين عاصرهم ،ولم يؤلف تأليفا ،ولا جمع كتاباً ،حتى عرضه عليهم شيئاً فشيئاً ، فأثبتوا الثابت منه والصحيح ... ، ومن بحرهم اخترق وبهم عرف ما عرف، وبفضلهم ألف وصنّف واعترف"[4].

[1] الداعي ادريس عماد الدين ، عيون الاخبار و فنون الاثار فيما روي عن الائمة والاطهار،ج6،ص202.
[2] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 3 ، ص 206 .
[3] الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج 1 ، ص 205 .
[4] الداعي ادريس ، عيون الاخبار ، ج 6 ، ص 202 .

ومن هنا نقول، أن المكانة العالية التي بلغها القاضي النعمان ،عند الخلفاء الفاطميين ميّزته عن غيره ، وأظهرت بأنه أخذ العلم على أيديهم ، فهم كانوا بالنسبة له بمثابة أساتذته ، والقائمون على تربيته وتنشئته ،هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فقد تحدث الداعي إدريس[1] عن ذلك:" كان القاضي النعمان بن محمد مع الأئمة الذين عاصرهم المكان المكين ، والمنزلة التي يقل فيها المماثل والقرين".

ومن ناحية أخرى ،فهي القدرات الفكرية والعقلية ، التي تجلّت آثارها ،من خلال تنوّع المؤلفات والمصنّفات الفقهية و التاريخية ، فضلا عن كونه متكلماً مؤرّخاً وصاحب حجة بالغة ، عمل بالقضاء طيلة حياته ، وعليه عوّلت الدولة كثيراً من احتياجاتها الدعائية ، فكان ملازما للخليفة في مجالسه ومسايراته ، والمُنَظِّر للدعوة الإسماعيلية ، والمُثَبِتُ لقواعدها ومناهجها ،عن خلُق جم وفضائل شخصية لا تحصى[2].

لقد كان النعمان صاحب تشريع، في الدولة الفاطمية بمصر بأحكامه الفقهية ، التي أَثْرَتْ المذهب الإسماعيلي ،نظرا لتأثيره الكبير في الحياة الفكرية ، كما اعْتُبِرَتْ مؤلفاته من المناهج القوية والمُؤَثِرَة ،التي دعّمت هذا المذهب.

وقد أشارت بعض المصادر ،أن الخليفة المعز لدين الله قال عن النعمان:" من يؤدي جزء من مائة مما أداه النعمان أضمن له الجنة بجوار ربه"[3].

[1] المصدر نفسه، ج 6، ص 202.
[2] يوسف نجم الدين ، الائمة الفاطميين ، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية ، الدور الثاني ، المهدية ، (تونس : وزارة الشؤون الثقافة ، 1977 م) ج 6 ، ص 271 .
[3] السيد بحر العلوم ،الفوائد الرجالية ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، ، (طهران مكتبة الصادق ، 1313 هـ) ، ج 4 ، ص 5 .

وإلى يومنا هذا، ما زالت كتبه من أقوى الكتب عند الإسماعيليين، والتي أصبحت عمدة كل باحث، في المذهب الإسماعيلي والأصل الذي يستقي منه علماء المذهب.

وقد أفاد الدعوة الإسماعيلية بكثرة مؤلفاته ، في الفقه والمناظرة والتأويل ،والعقائد والسير والتاريخ والوعظ ، ومن الثابت أن النعمان ألّف ما يفوق عن الخمسين كتاباً ، بقى منها اليوم نحو عشرون كتابا ، وضاع الباقي، و تنقسم مؤلفاته إلى ثلاثة أصناف منها ،صِنْفْ خَصّه لمناقشة الأمور الفقهية ، صِنْفْ خَصّه لبعض الأحداث التاريخية لأطراف العالم الإسلامي ، وأخيرا صِنْفْ خَصّه لِأُمُور مختلفة.

- **مؤلفات النعمان الفقهية :**

1 - تأويل الدعائم :

هو كتاب فقهي، موضوعاته عبارة عن مناهج الفقه الإسماعيلي من مختلف الجوانب ، فيما خص الطهارة والصلاة فضلا عن الأخلاق الفاضلة ، واعتمد فيه المؤلف على آيات القرآن الكريم ، والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام[1].

2ـ كتاب دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام :

هو من مؤلفات النعمان وأشهرها ، يحتوي على جزأين يتضمن الجزء الأول العبادات مثل الإيمان ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة إلى آخره.. لكن الجزء الثاني المتكوّن من خمسة وعشرون فصلا في المعاملات، حسب روايتها عن أهل البيت.

[1] النعمان : تأويل الدعائم ، تحقيق : عارف عامر (دار الاضواء ، 1995) .

ويذهب البعض إلى أن سبب تأليف هذا الكتاب، يعود إلى رغبة النعمان في إظهار وشرح المعاملات، التي وردت عن ائمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه واله ،على ما اخْتَلَفَ فيه الرُواة [1].

والسبب الثاني في تأليفه للكتاب، يقال أنه كان بإيعاز من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (ت 365هـ/975 م)[2].

3ـ الرسالة المذهبية في العقائد الاسماعيلية-:

وهي عبارة عن رسالة مذهبية في مختلف الأحكام، والتأويل، وفي الوقت نفسه إجابة عن مسائل كثيرة لبعض الحدود[3].

4 ـ الأرجوزة المختارة :

هو عبارة عن كتاب مضمونه يتناول موضوع الإمامة[4].

5 ـ أساس التأويل :

تضمن هذا الكتاب، قصص كثيرة عن الأنبياء عليهم السلام ، المذكورين في القرآن الكريم ،وهناك أيضا ذكر قصة الإمام علي عليه السلام، وقتاله لأهل البصرة وهو مفيد جدا وفيه معارف كثيرة[5].

6 ـ كتاب الاقتصار :

مضمون الكتاب الأحكام الفقهية، التي هي عبارة عن أحاديث أهل البيت عليهم السلام، في رواياتهم عن النبي صلى الله عليه واله وسلم[6].

---

[1] القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ج 1 ، ص2 .

[2] القاضي النعمان : ابو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت363هـ/973 م) ، شرح الاخبار في ذكر فضائل الائمة الاطهار ، تحقيق : محمد حسين الجلالي ، (بيروت : منشورات الاعلمي ، 2006 م) ، ج 1 ، ص 6.

[3] النعمان : الاقتصار ، تحقيق عارف تامر ، خمس رسائل اسماعيلية ، (سوريا ، منشورات دار الانصاف ، 1956) .

[4] النعمان : الأرجوزة المختارة للقاضي النعمان / تحقيق وتعليق إسماعيل قربان حسين بوناوالا مونتريال كندا (معهد الدراسات الاسلامية , 1970م) ص27.

[5] النعمان : أساس التأويل ، تحقيق : عارف تامر ، (بيروت ، دار الثقافة ، 1956) .

[6] القاضي النعمان : الاقتصار ، تحقيق ، محمد وحيد ميرزا ،(دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، 1957) .

- **المؤلفات التاريخية:**

1ـ شرح الأخبار في فضائل الائمة الأطهار:

يعتبر من أهم المؤلفات ، حيث استعرض فيه القاضي النعمان حياة الائمة ،واستهله بالإمام الأوّل إلى الإمام جعفر الصادق عليهما السلام .

كما توسع فيه كثيراً، وفصل الحديث عن الإمام علي عليه السلام بكل ما ينتسب إلى حياة هذا الصرح الإسلامي العظيم ،وهذه الشخصية الكبيرة[1].

2ـ المجالس والمسايرات :

لقد تضمن تاريخ الخليفة الأول المهدي الفاطمي (ت 322هـ/933 م) إلى غاية تاريخ الخليفة الرابع وهو المعز لدين الله، (341-365 هـ /952-975 م) ، ويعتبر من أهم المصادر الإسماعيلية، في تاريخ الخلفاء الفاطميين ، به معلومات أدبية وعقائدية، إضافة إلى الطابع التاريخي.

وترجع أهمية الكتاب إلى أن القاضي النعمان، دَوّنَ أحداثه وهو شاهد عيان عليها ،وذكرها الثقات أصحابه، وخاصة تلك الأحداث التي جرت في مجالس الخلفاء الفاطميين[2].

3ـ المناقب والمثالب :

مضمون كتاب المناقب والمثالب، هو تفاضل بين فضل هاشم جد رسول الله صلى الله علية واله وولده ، ومنهم عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه واله، ومالهم من المناقب في الجاهلية والاسلام وهو مطبوع[3].

---

[1] ا النعمان ، شرح الاخبار ، ج 1 ، ص 87.

[2] القاضي النعمان : ابو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت363هـ/973 م) ،المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي ، وابراهيم شبوح والحمد اليعلاوي ، (تونس ، المطبعة الرسمية ، للجمهورية التونسية) .

[3] القاضي النعمان ، المناقب والمثالب ، تحقيق : ماجد بن احمد عطية ، (بيروت منشورات الاعلمي للطباعة .2002 م) .

هناك مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية ،"لكتاب المناقب والمثالب " ، "مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية "، يعود تاريخها إلى سنة 1950 ، وقد ذكره إدريس عماد الدين القرشي فقال عنه :" إنه في جزأين ، وعن موضوع الكتاب قال إنه في ذكر الآباء ومناقبهم يعني أهل البيت ، وضعة الأعداء ومثالبهم ، فإن ذلك مما ينبغي أن يعرفه الأبناء والأولياء ويبكت (التقريع والتعنيف) المخافون والأعداء ، وينشر في الأنام على الأيام "[1]

وهو كتاب متوسط الحجم ذُكِرَ في قائمة هدية العارفين ،[2] وفي قائمة إيفانوف ، كما اعتبره الكرماني من ضمن الكتب الجامعة لظاهر العبادة والواجب قراءتها[3].

أما المصادر التي أخذ عنها النعمان ، فهي معروفة ، كمغازي الواقدي ، وتاريخ الأشراف للبلاذري ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، وتاريخ الطبري ، والسيرة لابن هشام[4].

وقد ألف هذا الكتاب في مرحلة اشتد فيها الصراع، بين الخلافة الفاطمية بالمغرب، وبين الأمويين في الأندلس، فهو يفاضل بين البيتين الهاشمي والأموي، وفي الوقت نفسه دعوة إلى آل البيت، وتحذير لكل من يحاول أن يقف عكس مجرى التاريخ لأن التيار سيجرفه، وأن الصيرورة الكونية، والحوادث التاريخية، وتاريخ الأنبياء والرسل ، كل ذلك سار في هذا الاتجاه ،أي اتجاه آل البيت كما ثبت بنص الآية" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) "[5].

---

[1] إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار، ص 566
[2] اسماعيل باشا البغدادي ،هدية العارفين ، ج 2 ، ص 495
[3] الكرماني راحة العقل ،
[4] الذهبي ، سير أعلا م النبلاء ، 150/16
[5] سورة آل عمران، 33، 34

وركز النعمان على ذلك في مقدمة " المناقب والمثالب " فإنه يشير ضمنيا إلى مسألة النسب ،التي كانت مطروحة بحدة منذ أن قامت الدولة الفاطمية .

ولعل الكتاب يدخل في الإجابة عن هذه المسألة الحيوية بالنسبة للفاطميين ، وللدعوة الإسماعيلية ، وهو بهذا يرد على الناكرين لنسب الفاطميين في سياق تاريخي ، ويرى النعمان بأن عداوة بني أمية للعترة الطاهرة عداوة قديمة متأصلة ، وأحقاد جاهلية ، والهدف من تأليفه أنه بَيّنَ فيه بداية العداوة بين بني هاشم وبني أمية وتفرعاتها، مع ذكر شرف آباء الرسول صلى الله عليه وسلم ،ومن عاداهم من بني أمية وأسلافهم.

كما كانت له وقفة ،في وصف مناقب الفاضل ومثالب المفضول، مع ذكر الشاهد والدليل ، وتتبع تطورات تلك الأحداث إلى وقت تأليف هذا الكتاب ، باختصار من القول ، وإيجاز مع ذكر ما هو مشهور ومعروف في كتب السير ، والأنساب ، والأخبار الصحيحة[1].

4 ـ كتاب الهمة في آداب اتباع الائمة :

وهو كتاب يتضمن موضوع الإمامة، حيث يوضح النعمان صورة شاملة لمنصب الإمامة،وطابعها العقائدي[2].

---

[1] النعمان ، المناقب والمثالب

[2] القاضي النعمان ، الهمة في آداب اتباع الائمة .

5 ـ رسالة افتتاح الدعوة:

تعتبر رسالة افتتاح الدعوة، حقبة تاريخية للدولة الفاطمية في المغرب ،أي منذ بداية ظهورها سنة 296هـ/909 م ، وأهم ما ميّز هذا الكتاب هو مضمونه في إبراز الدعوة الدينية والدولة السياسية، التي كان فيها النعمان داعي الدعاة وقاضي القضاة ،وقد ساهم بتصنيفه وتأليفه لمؤلّفات فقهية وسياسية، دعمّت أركان السلطة وأحكمت قبضتها ،لهذا نجد الفاطميون يتخذونه مرجعاً لهم اعتنوا به ويعودون إليه[1].

وهذا ما جعلنا نختاره موضوعا لبحثنا، سنعود إليه بالتفصيل لاحقا.

- **مؤلفات أخرى متنوعة:**

1 ــ كتاب الإيضاح :

إنه كتاب مفقود من مؤلفات القاضي النعمان، والمذكور في مقدمة كتابه الاقتصار الذي قال عنه :"... فرأيت جمعه وتصنيفه وبسطه وتأليفه على ما أدته الرواة في كتاب سميته الإيضاح. و أوضحت فيه مسائله وبسطت أبوابه وذكرت ما أجمعوه عليه واختلفوا فيه على ما أداه الرواة إلينا ، لم أعد قولهم ، وبينت الثابت من ذلك بالدلائل والبراهين ، فبلغ زهاء ثلاثة ألاف ورقة[2]، وأضاف :" وأنا إن مد الله في عمري أو مل تفريخ أصوله ليكون مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه مما نزل ، فيؤخذ إن شاء الله تعالى"[3].

[1] القاضي النعمان : ابو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت363هـ/973 م) ، رسالة افتتاح الدعوة ، رسالة في ظهور الدولة العبيدية ، تحقيق : وداد القاضي ، (بيروت ، دار الثقافة ، 1970) .
[2] القاضي النعمان ، الاقتصار ، ص 9-10.
[3] المصدر نفسه، ص 10.

2 ـ كتاب الشيعة :

من تأليف القاضي النعمان، وبعض المصادر التاريخية تقول أن تأليفه جاء بطلب من المعز لدين الله، ولم تتوفر عنه معلومات، سوى ما ذكره محقق شرح الأخبار، وأشار إلى النسخ الخطية المتعددة وأماكنها[1].

3 ـ مختصر الأثار فيما رُوِيَ عن الأئمة الأطهار :

يعتبر مصنّف القاضي النعمان، الذي ألفه بأمر من الخليفة المعز الفاطمي ، ويبدو أنه مختصر لكتاب الدعائم، حوى الكتاب على مواد منها الرغائب في طلب العلم ، الطهارة ، الوضوء ، الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، والحج[2].

ويُعْرَفْ هذا الكتاب باسم آخر يسمى كتاب الدينار فحديث النعمان عن بعض كتبه قال عن كتاب وضعه باسم " كتاب الدينار : سألني بعض القضاة والحكام والطلبة بسط كتاب مختصر من قول أهل البيت عليهم السلام يقرب معناه ، ويسهل حفظه ، وتخف مؤونته ، فابتدأت شيئاً منه وقدرت أن الكتاب إذا كمل قام على من يريد استنساخه بدينار فما دونه ، وسميته كتاب الدينار وذكرت ذلك وبسطت افتتاحه ، ورفعت ما ابتدأته منه إلى الخليفة المعز لدين الله وطالعته فيه وسألته قرأته عليه وسماعه منه ليكون مأثوراً عنه وكتبت مع ما رفعته منه إليه رقعة ذكرت فيها ذلك له ، فوقع إلي بخط في ظهرها: " بسم الله الرحمن الرحيم " صانك الله يا نعمان ، وقفت على الكتاب وتصفحته ، فرأيت ما اعجبني فيه من صحة الرواية وجودة الاختصار لكن فيه كلمات تعتاص على كثير من اوليائنا معرفتها فاشرحها بما يقرب منه افهامهم فيسوي

---

[1] القاضي النعمان : شرح الاخبار ، ج 1 ، ص 48 .
[2] القاضي النعمان : شرح الاخبار ، ج 1، ص 57 .

في معرفته والاحاطة بعلم الفاظه الشريف والمشروف ، فانه يجيء طريفاً قريب المأخذ وسمه (كتاب الاختصار لصحيح الاثار عن الائمة الأطهار) فإن ذلك أشبه به من كتاب الدينار . لأن فيه من علم أولياء الله ما يحث على كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلاً عن أموالهم، وهذا الاسم يصنع من قدره عند ذوي النعم ويرون أنهم يصلون إليه وإلى ما هو اجل منه يبذل اليسير من حطام دنياهم... الخ[1].

ويمكن لنا أن نعتبر، أن القاضي النعمان هو الذي وضع هذه العلوم ، والتي سمّاها الفاطميون بعلوم أهل البيت عليهم السلام.

4 ـ كتاب اختلاف أُصول المذاهب :

هو كتاب وصف ما وضع بالحديث عن أهل البيت، عليهم السلام كما يتضمن الحديث عن الإسماعيلية بعد ذلك، من خلال عرض لأقوال المخالفين بعد استيعاب للدلائل التي قدمها هؤلاء، فذكر جملة أقوالهم، ثم أجاب عليها.[2]

5 ـ كتاب التوحيد :

تضمن هذا الكتاب إثبات حقيقة توحيد الله، ونفي التشبيه عنه، كما تم عرضه على الخليفة المعز لدين الله الفاطمي[3].

6 ـ كتاب تقويم الأحكام[4]

[1] القاضي النعمان ، الهمة في آداب اتباع الائمة ، ص 6.
[2] القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ج 1 ، ص 43 .
[3] المصدر نفسه، ج 1، ص 49.
[4] لا تتوفر معلومات عن هذا الكتاب سوى نسخة الخطبة (القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ج 1 ، ص 53 المقدمة) .

7 ـ كتاب ذات البيان :

وكان عبارة عن رد، على ابن قتيبة صاحب كتاب عيون المعارف، لبعض الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، وبعض القضايا والأحكام ، ويظهر أن القسم الأوّل منه مازال مخطوطاً محفوظاً، في مكتبه الدعوة بخط الداعي شمس الدين[1].

8 ـ كتاب الراحة والتسلي :

رغم نسبته الى النعمان ،إلا أن أسلوبه يكاد يختلف عن النهج الذي سلكه القاضي النعمان في أغلب مؤلفاته، مما يدعوا للشك والريبة في نسبته إليه.

هو مؤلف من سبعة فصول، منها القدرة والاستطاعة، وكيفية الوحي، مع إبراز الفرق بين الخالق والمخلوق، معرفة المحتاج إلى المكان، ومعرفة ثواب العقل وعقابه، في معرفتك به على الكمال وانتقالك إليه[2].

9 ـ كتاب الطهارات[3].

10 ـ قصيدة في الإمام الحسين (عليه السلام)[4].

11 ـ كتاب مفاتيح النعمة[5].

تُعَدُ تفسيرا للآية الكريمة من قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ"[6].

12 ـ منهاج الفرائض[7].

---

[1] المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 54.
[2] القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ج 1 ، ص 54 .
[3] المصدر نفسه ، ،ج1 ، ص 55 .
[4] المصر نفسه ،ج1 ، ص 56 .
[5] المصدر نفسه، ج1، ص 58.
[6] سورة التوبة ، اية 11 .
[7] القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ج 1 ، ص 62 .

13 ـ الينبوع :

هو عبارة عن مجلد واحد، يتضمن على ما احتواه الجزء الثاني من كتاب دعائم الإسلام[1].

14 ـ كتاب **يوم وليلة في الصلاة المفروضة :**

هو عبارة عن أجوبة، لأسئلة فقهية سأله عنها خطاب بن وسيم، مقدم زاوية وحاكمها[2].

15 ـ كتاب الانفاق والاختراق :

حتى في القرن السادس الهجري، كان هذا الكتاب موجودا، وهو يتضمن مواضيع فقهيه، منقول عن الأئمة الأطهار في الحلال والحرام والقضايا والأحكام[3].

وهناك عدة عناوين لكتب أخرى نذكر منها:

كتاب البلاغة الأكبر والناموس الأعظم في أصول الدين[4]، كتاب كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه واله ، كتاب التعقيب والانتقاء.

كما أن هذه الكتب لا توجد عنها معلومات حول أماكن وجودها، والمرجح أنها مقتطفات من كتبه الأخرى الموجودة، وأكثرها مفقودة وبعضها في خزائن أهل الدعوة[5].

---

[1] المصدر نفسه، ج 1، ص 63.
[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 63.
[3] النعمان ، المصدر السابق، ج 1، ص 65.
[4] القاضي النعمان ، كتاب الهمة ، ص 65.
[5] المصدر نفسه، ص 5.

III. القاضي النعمان وآثاره العملية

1ـوظائفه:

إن قدرة الأفراد لا تظهر فيما يتعلّمونه أو يكتبونه فحسب ، بل فيما يقومون به من أعمال ، وما يحققونه من نجاح أثناء ممارسة أعمالهم ، وكذا ما يظهرونه من حسن تدبير ، ودقة تسيير ، والنعمان أحد هؤلاء الرجال الذين جمعوا معظم هذه الصفات ، في مجموع الوظائف والولايات التي أسندت إليه وهي على التوالي :

أ- أمين مكتبة:

مع العلم أن المكتبات، هي إحدى المؤسسات الهامة في المجتمع ، فهي إلى جانب وظيفتها التقليدية، قامت في الحضارة الإسلامية بدور المعاهد العلمية الجامعية ، ومراكز البحوث المتخصصة ، وقد ضاهت المساجد في مختلف المجالات العلمية والدعوية ، ولذلك فإن الدولة كانت توليها اهتماما خاصا ، فتعمل على تنظيمها وتطويرها ، واختيار من يتولونها ومن هؤلاء كان النعمان بن محمد الذي تولى وظيفة أمين مكتبة "بيت الحكمة الأغلبية " في رقّادة ، والتي فيما يبدو أن الفاطميين ورثوا رصيدها ، ونظامها ،وطريقة إدارتها ، وهي الوظيفة التي توّلاها مبكرا في العهد الفاطمي واستمر في أداءها أيام المهدي، والقائم، والمنصور، ومما كان يقوم به هو جمع الكتب العامة والخاصة بالمذهب الشيعي الإسماعيلي[1].

وقد أثمرت جهود النعمان، في تأسيس مكتبة إسماعيلية، تضاهي المكتبة الأغلبية.

[1] النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص 80

ب- إمام خطيب ومرشد:

إن الخطابة في الجوامع والمساجد، لم تكن متيسرة للجميع ،والطريق الوصول إليها طويل وشاق ، لا سيما في مجتمع مزدهر حضاريا ، ويحتضن برفق الصراعات المذهبية ، والفكرية التي يبدو أنها بلغت أشدّها في هذا العصر، في حاضرة المغرب الإسلامي .

مدينة القيروان التي جذبت إليها نخبة ، من رجال العلم والفكر في المغرب الإسلامي ، ومن ثم تَوَلِي هذا المنصب في حواضره الكبرى، أصبح مقتصرا على ذوي العلم والمعرفة ، ومن شُهِدَ لهم بالتفوّق في مختلف العلوم ، ومن بينهم القاضي النعمان ، وقد أوردت المصادر أنه توّلى إمامة الصلاة ، والخطابة يوم الجمعة نيابة عن الخليفة ، سواء في جامع القيروان ، أو جامع المنصورية ، وذلك منذ أن دُعِيَ من طرابلس ليتوّلى منصب القضاء ، وقد قال عن ذلك : خلع علي المنصور وقلدني وأمرني بالمسير من يومي - يوم قدومه من طرابلس – إلى المسجد الجامع بالقيروان[1] ، وإقامة صلاة الجمعة فيه ، والخطبة، إذا لم يكن يومئذ بالمنصورية جامع ".

ويمكن القول أن النعمان ،كان المعلم الثاني بعد الخليفة، لا سيما في عهد المعز لدين الله .

ج- نقل أخبار الحضرة:

شغل النعمان وظيفة نقل أخبار الحضرة، في أواخر عهد الخليفة المهدي[2] (297-322هـ/909-934م) واستمر في عمله حتى في عهد الخليفة

---

[1] البكري ، المغرب، ص 24
[2] القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص 79.

الثاني القائم بأمر الله [1](322-334هـ/934-945م) ، ونجهل تفاصيل هذه الوظيفة ، وربما تكون مجرد الخدمة أو المراقبة.

د- خطة الخبر:

يعرف هذا التنظيم بعدة تسميات، منها خطة الخبر الذي له صلة وثيقة بديوان البريد ، بل هو جزء منه ، وديوان الرسائل ، وهو الدائرة الرسمية التي تشرف على مراسلات الخليفة، مع الولايات والأمصار والدول[2]، وقد كانت الدول والإمارات الإسلامية، تهتم بهذا الديوان ، فتطور كثيرا ، كما اهتم به الفاطميون في مرحلتي الدعوة وقيام الدولة ، ويأتي اختيار النعمان لإدارة شؤون هذا الديوان، في سياق هذا الاهتمام المبكر ، بحيث لم يأت اختياره عرضا ، بل جاء بعد دراسة وتثبت من شخصية النعمان، التي تؤهله لتولي هذا المنصب الخطير .

هـ ـ الوراقة:

وقد ذكر النعمان وظيفته هذه قائلا :" وكنت أخدم المنصور بالله بعض أيام المهدي بالله وأيام القائم كله...... وكانت خدمتي إياه في جمع الكتب له واستنساخها"[3].

و ـ القضاء :

لقد كان الفاطميون يستندون إلى تشريع خاص ، مأخوذ من فقه المذهب الإسماعيلي ،والذي طُبِقَ في المغرب ، فتولى القضاء الأعلى من يُفْتَرَضُ

---

[1] نفس المصدر ، ص 80 .
[2] القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة ، ج 1 ، ص 91.
[3] القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات، ص80.

معرفتهم بقواعد وتشريع المذهب الإسماعيلي، الذي هو من الفقه الجعفري ،والذي يرجع بدوره في إسناده إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وعلى رأسهم قاضي كبير يسمى قاضي القضاة[1]، وكانت مهمته أن يخطب في المساجد الكبرى ، وتعيين من ينوب عنه في الأمصار، ويعزل كل من يستحق ذلك ، وينقل من تقتضي المصلحة في نقله إلى مكان أخر ، و يضع نظاما للقضاة الآخرين ، للسير عليه في الحكم بين الناس ، وأُسُسًا يستطيعون بموجبها الحفاظ على مكانتهم ، وأخذ الحق للمظلومين من الظالمين[2]. كما اتخذ لنفسه مهمة تعيين القضاة الأخرين ،في المناطق والألوية، على قاعدة إصدار حكامهم وفق القواعد الفاطمية[3].

وفي عهد الفاطميين ،كان النعمان ممثلا أعلى للقضاء في المغرب ، فقد نصبه عبد الله المهدي قاضياً لدولته[4]، وقد توطدت العلاقة بين النعمان والخليفة القائم بأمر الله فتولى قضاء طرابلس الغرب في عهده، وعندما بني المنصور مدينة المنصورية، كان النعمان من الأوائل بتوليه القضاء مع سائر مدن إفريقية، ويقول النعمان في كتابه المجالس والمسايرات عن ذلك : " لما أرحلني المنصور بالله عن مدينة طرابلس الى الحضرة المرضية وافق وصولي اليها غداة يوم الجمعة فخلع علي ، يوم وصولي وقلدني وأمرني بالسير من يومي الى المسجد الجامع بالقيروان واقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة اذ لم يكن يومئذ بالمنصورية جامع ، وامر بجماعة من بوابي القصر الاعظم بالمشي بين يدي بالسلاح الى ان صليت وانصرفت ، ثم خرج توقيعه

---

[1] ثامر عارف ، المعز لدين الله الفاطمي ، ص 184 .
[2] المصدر نفسه، ص 186.
[3] المصدر نفسه، ص 184.
[4] ثامر عارف ، المعز لدين الله الفاطمي ، ص 184.

من غد الى ديوان الرسائل بان يكتبوا لي عهداً بالقضاء بمدن المنصورية والقيروان والمهدية وسائر مدن افريقيا واعمالها[1]".

وعنما تولى المعز الخلافة، تقرب منه كثيرا وأصبح النعمان قاضي قضاة الفاطميين، وكان المعز يجالسه ويسايره بعد أن كان مستوحشاً منه، قبل توليه الخلافة[2].

عطفا على ما سبق ،نجد أن القاضي النعمان كان عالماً ذا مواهب عديدة ، كثير التأليف ولم يصل الباحثين الكثير عن حياته الشخصية ، ولعل ذلك راجعاً إلى أنه وقف نفسه للعلم، وعلى تأليف الكتب العديدة، التي بلغ مجملها أكثر من خمسة وخمسون كتاباً ،في مختلف العلوم والمعارف الدينية والتاريخية والفلسفية.

لقد كان النعمان مستشار المعز القضائي ،ومساعده في كل المسائل الخاصة بالدعوة الإسماعيلية، بعد أن نال ثقته ، فوضع أساس القانون الفاطمي، المبني على الشريعة الإسلامية، وقد سار أبناءه على نهجه ، واختصوا أيضاً بما كان يتمتع به أبوهم من مكانه رفيعة ، فقد خدمت أسرته الدعوة بإنتاجها الغزير في هذا المجال ، فكان ذا أثر على مجرى التفكير العام ،وعلى الحياة العلمية، ليس في مصر فقط بل في كافة البلدان الإسلامية.

[1] القاضي النعمان ، الهمة في آداب اتباع الائمة ، ص 3 .
[2] القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص 51 .

✓ **رسالة افتتاح الدعوة :**

موضوع البحث

تناول فيه تاريخ الدولة الفاطمية في فترة الدور المغربي، منذ بداية ظهورها سنة (296هـ/909 م) ، وأهم ما تضمنه الكتاب أنه يكتب عن دعوة دينية ودولة سياسية، كان يمثل فيها الداعي والقاضي، أيّدها بما صنّف وألف من مؤلفات فقهية، وسياسية، أدارت السلطة وتحكمت بأدواتها، فلا عجيب أن اتخذها الفاطميون مرجعاً يعتنون به ويرجعون إليه[1].

رسالة " افتتاح الدعوة" تعدّ وثيقة تاريخية معاصرة للأحداث التي تضمنتها ، وقد ورد ذكر هذا الكتاب في المصادر القديمة والحديثة على حد سواء ، فقد ذكره ابن خلكان باسم كتاب " افتتاح الدعوة للعبيديين " [2] كما ذكره الداعي إدريس وابن العماد الحنبلي [3] ، وتصدر قائمة هدية العارفين باسم " افتتاح الدعوة " [4] وورد في قائمة إيفانوف بنفس الاسم الأخير[5].

فهي بحد ذاتها قصة متكاملة ، عن الحركة الإسماعيلية في بلاد المغرب ،كما يقول موسى لقبال ، فقد اعتمد النعمان في تأليفه على وقائع عاشها أو رويت له [6]، ونُقِلَ عنه نصوصا وفصولا كاملة ، وقد أفادت البحث في استجلاء رؤية القاضي، إلى حقيقة وأبعاد بعض الأحداث التي عاصرها ، كمقتل الداعي أبي عبد الله، والثورات، وعلاقات الدولة الفاطمية الداخلية والخارجية، ولذلك جاءت نصوصها شهادات حية، لِشَاهِدِ عيان.

---

[1] القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص 69 وص 93 و ص94، ص117 و ص 121.
[2] ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5، ص 415.
[3] ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج 3 ، ص47 .
[4] اسماعيل باشا البغدادي ،هدية العارفين ، ج 2 ، ص495 .
[5] انظر كتاب افتتاح الدعوة ،الجزء المترجم إلى الفرنسية .
[6] موسى لقبال ، دور كتامة ، ص16.

وتعدّ مادة علمية مصدرية ، لكثير من الباحثين والمؤرّخين، لا للمذهب الاسماعيلي فقط ، بل لكل المذاهب وللتطورات التاريخية ،التي شهدتها بلاد المغرب في هذا العصر خاصة، ولبلاد الاسلام عامة .

وكانت نهاية تأليف القاضي النعمان لكتابه "افتتاح الدعوة " سنة 346 هـ /957 م ، وقام بتحقيقه كل من وداد القاضي ونشرته دار الثقافة ببيروت سنة 1970 .

وبعدها تلاها فرحات الدشراوي ، ونشره ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر ، والشركة التونسية للتوزيع سنة 1986 م ، وقد قام المحقق بإعداد مقدمة تحليلية ، وترجم فصوله إلى اللغة الفرنسية .

✓ **أهم ما جاء في رسالة افتتاح الدعوة:**

يعد كتاب " افتتاح الدعوة " للقاضي النعمان نصا تاريخيا بأتم معنى الكلمة معاصرا للأحداث التي أوردها ، لا يتجاوز نصف القرن ، بل عاش جزءا كبيرا منها فعاينه ، وسجّله ، كما تذهب إلى ذلك كل من وداد القاضي ، وفرحات الدشراوي .

من الواضح أن رسالة " افتتاح الدعوة " ،هو النص الأصلي للرواية التاريخية المتعلقة، بظهور الدعوة الفاطمية بالمغرب ، حيث نقلها أو اعتمدها معظم المؤرخين اللاحقين، أمثال ابن عذاري (البيان المغرب) ، وابن الأثير (الكامل) ، والمقريزي (اتعاظ الحنفاء) ، والنويري (نهاية الأرب) ، وابن خلدون (العبر) ، وابن الخطيب (أعمال الأعلام) ، وابن حماد (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) ، وابن أبي زكريا (كتاب السير في أخبار الأئمة) [1]،

[1] حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج 8، ص466.

ويعتبر الكتاب أيضا من أجمل نماذج النثر في ذلك العصر ، وربما كان الأحسن ما كُتب في المذهب الإسماعيلي.

كما تتضمن رسالة "افتتاح الدعوة "في معظمها بداية الدعوة الإسماعيلية ، وقيام الدولة الفاطمية في المغرب ،على يد الحلواني وأبي سفيان ، ثم أبي عبد الله الشيعي انطلاقا من بلد كتامة بالجزائر ، لتتحول إلى قوة تهزم الجيوش وتفتح البلاد ، فَدُكَتْ قِلاع الدويلات المغربية السنية ، والخارجية ، حيث مهدت الطريق لِقُدُومِ عبد الله المهدي ، ودخول رقّادة سنة 297 هـ / 909 م.

ويحتوي الكتاب على اثنين وأربعين فصلا ، كل فصل يبتدأ فيه بكلمة " ذكر " بالإضافة إلى مقدمة قصيرة مركزة ، بَيّنَ فيها موضوع الكتاب وهدفه وهو : أمر الدعوة بأرض المغرب إلى المهدي ، وابتداءه فيها ، وهجرته إليها ، وقيامه منها ، وظهوره بأسبابها[1]، كما يشير إلى تأليف كتاب في معالم المهدي.

في بداية الأمر استهل القاضي النعمان، عرض فصول كتابه انطلاقا من بداية الدعوة في اليمن ، والقائم بها أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زيدان الكوفي الذي يسمى المنصور باليمن كما أتيح له من النصر[2].

ويعتبر ظهور الدعوة باليمن بداية التأريخ لضعف وزوال العباسيين[3]، ويتابع رصد أخبار أبي القاسم بن فرح بن حوشب في الفصلين الأول والثاني ، ويحدد في الفصل الثالث تاريخ قدوم الحلواني وأبي سفيان إلى المغرب سنة 245 هـ / 859 م ، والسبب الذي أرسلا من أجله ، وهو نشر الدعوة

---

[1] النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص2.
[2] النعمان افتتاح الدعوة ، ص2.
[3] المصدر نفسه، ص 3.

الإسماعيلية التي يسميها النعمان " علوم الأئمة " وهي إشارة عقدية واضحة [1] ، كما يشير إلى أن هناك عددا آخر من الدعاة، وصلوا المغرب بعد هذين الرجلين[2].

وجاء الفصل الرابع إلى الفصل الخامس عشر، رصدا لنشاط الداعي أبي عبد الله منذ التقائه بحجيج كتامة بمكة، إلى أن تمكن من تحويل كتامة إلى نصر فعال في احتضان الدعوة ونشرها، والإشارة إلى سياسة المهدي في كتامة[3].

وقد أظهر القاضي النعمان قضايا تاريخية مهمة، منها انتشار التشيع بالمغرب خاصة بإفريقية ، حيث يعد احتضان السكان له، رد فعل على سياسات الحكومات المحلية ، كما أنه يحمل في طياته أفكارا، تدعو إلى الحرية لا سيما الفكرية.

وانتشر التشيع حتى في عائلة الحاكمين أنفسهم[4] ، وورد في هذا الجزء كثير من الأشعار التي ترجمت لحركة الدعوة ، وتوقعات نجاحها ، وقيام الدولة وتاريخها ، التي كشفت على المستوى الأدبي والحضاري الذي وصلته بلاد المغرب ، وعلى تسخير الشعر لخدمة أغراض الدولة ،إلى جانب وضع أحاديث في ذلك ،منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما تبين أن المناظرات كانت تعكس الحس الحضاري العربي الإسلامي ، حيث أن كثيرا ما كانت تحل محل المواجهة العسكرية ، وهو أسلوب من أساليب الدعوة التي كان هدفها في المرحلة الأولى – السرّية –

[1] النعمان ،افتتاح الدعوة ، ص 26 .
[2] المصدر نفسه ، ص 30.
[3] المصدر نفسه ،ص 30، ص 132.
[4] النعمان ،افتتاح الدعوة ، ص 52 .

ببلاد المغرب تكوين جماعة إسماعيلية موّحدة وقوّية ، والنعمان ينبّه في هذا الجزء إلى قضية مهمة ، تتمثل في تسرب كبير من ذوي المصالح والطامعين الطامحين إلى الحزب المنتصر ، وقد تنبّه أبو عبد الله إلى ذلك إلّا أنّه اتبع ما يوجبه الحق وتنصلح به أمور الخلق ، فجعله قاعدة أمره[1].

وقد توصل بتنظيماته الإدارية حتى البادية والأرياف عندما قسم منطقة كتامة إلى مواضع، وجعل عليها مُقدّمين ودعاة و مشايخ [2].

وكان كثير التشبه بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالسلف الصالح، أثر بالغ في المجتمع القبلي الذي يرفض الظلم، ويسعى دوما إلى المحافظة على استقلاله[3].

وتضمن كتاب النعمان في الفصل السادس عشر إلى الثلاثين الحروب التي خاضها أبو عبد الله على رأس جيوش كتامة ضد الأغالبة ، وفتحه للكثير من المدن ، وقد أفادنا النعمان بتفاصيل كثيرة ، لا سيما عن أسماء القبائل ورجالها وبعض نساءها ، وعن مواضع جغرافية هامة ، والوقائع ، والمعارك ، والحوادث التي أدت إلى هزيمة الأغالبة وسقوط دولتهم .

وعن الفصل الواحد والثلاثين والثاني والثلاثين يتعرض النعمان إلى سقوط حكم الأغالبة ومصير العائلة الحاكمة (الأغالبة) رغم استعانة هؤلاء بالعباسيين الذين لم يستطيعوا فعل شيء سوى إرسال بعض الخطابات التي تدعوا السكان إلى مقاومة التشيّع .

وفيما خصّ الفصول، من الثالث والثلاثين إلى الثاني والأربعين ، فقد تناول فيها قدوم المهدي إلى المغرب ، ووصوله إلى سجلماسة ، وسجنه هناك

[1] النعمان ،افتتاح الدعوة ، ص119
[2] المصدر نفسه، ص124
[3] المصدر، نفسه، ص 129

، ثم دخول الداعي أبي عبد الله إلى عاصمة الأغالبة ، وتخليص سيده الذي جاء إلى رقّادة وأعلن عن قيام الدولة الفاطمية.

والذي يهمنا من استعراض مادة كتاب افتتاح الدعوة ،هو ربطه بدراسة الآثار الفاطمية ووصفها ،والتي ذكرها القاضي النعمان في كتابه، وهذا الموضوع هو ما سنتناوله في الفصل الثالث ،الذي خصصناه للحديث ،عن أهم القلاع والمدن كمظاهر عمرانية فاطمية، في بلاد المغرب الأوسط .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

✓ الإطار الجغرافي والتاريخي

I. الإطار الجغرافي العام

II. الإطار التاريخي العام

✓ الإطار الجغرافي والتاريخي

I. الإطار الجغرافي العام:

قبل أن نخوض في مسألة انتشار الدعوة الإسماعيلية[1]، في بلاد المغرب الإسلامي، علينا أوّلا إلقاء نظرة على الواقع الجغرافي العام، في ذلك الوقت.

فوجود المغرب الإسلامي بموقع استراتيجي ممتاز، في قارة إفريقيا ويشتمل على مجموعة بلاد الشمال الإفريقي المختلفة ،هو أرض واحدة: فمن غرب الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي، و من بحر العرب إلى السودان[2]، يشتمل على وطن واحد لم يعرف التقسيم[3] (خريطة رقم 3).

فالدول التي تأسست في المغرب الأقصى ،شملت المغرب كله أو معظم أجزائه، و كذلك ما تأسس في المغرب الأوسط ، وصل إلى المغرب الأدنى ، و ما نشأ في المغرب الأدنى ، قد امتد إلى المغرب الأوسط و الأقصى[4] أي لم تحافظ إمارات المغرب ،على مناطق جغرافية محدودة، في كل قسم من أقسام المغرب الإسلامي .

وفي العصور الإسلامية ، كان المؤرّخون يقسّمون المغرب إلى الأقاليم التالية ،من الشرق إلى الغرب.

---

[1] الإسماعيلية : إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الاثني عشرية. يشترك الإسماعيلية مع الاثنا عشرية في مفهوم الإمامة، إلا أن الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشيعة بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق

[2] السودان : دولة في شمال شرق إفريقيا تحدها من الشرق إثيوبيا وإريتريا ومن الشمال مصر وليبيا ومن الغرب تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى ومن الجنوب دولة جنوب السودان واضح إن سودان عند اليعقوبي يشمل منطقة الساحل في أفريقيا ، وجاء في مقدمة ابن خلدون بأن كلمة (السودان) كلمة مرادفة للزنوج .

[3] حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس ،ص 25

[4] محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير ، ج2، ص33.

أولا إقليم برقة[1]، ثم إقليم طرابلس[2]، إضافة إليهما إقليم فزان[3]، وهو ما يكوّن الجمهورية الليبية حاليا، و كان هذان الإقليمان منفصلان سياسيا خلال العصور الإسلامية، ومدينة برقة إما تابعة لمصر[4]، أو غير واضحة التبعيّة السياسية[5].

أما مدينة طرابلس فبدورها، تدخل في نطاق ما كان يسمّى باسم بلاد إفريقية، وليس هناك ما يمس وحدة القطر الليبي و أصالته التاريخية، إن الكثير من البلدان العربية الراهنة تتكوّن من أجزاء ، لكل جزء منها تاريخه ، أو له اتجاه مستقل في الماضي، قبل تحقيق الوحدة في العصر الحديث، ويليها من جهة الغرب بلاد إفريقية ، و كانت في العصر الوسيط تضم إقليم طرابلس ، من تاورغا[6] قرب سرت [7]على ساحل المتوسط إلى صبرة ، ومن ثَم إقليم إفريقية و هو يقابل تونس حاليا ، على امتداد إفريقية تشمل الجزء الشرقي من الجزائر حاليا أما نهر شلف[8] ،يصب في البحر المتوسط [9]بمحاذاة مدينة وهران[10]،والجزء الشرقي من بلاد الجزائر الحالية .

[1] برقة :هي الجزء الشرقي من ليبيا الحالية، ،"تأسست برقة في منتصف القرن السادس ق.م. وقد أخذت اسمها الإغريقي من إقليم تابع لها يسمى بركايا Barcaia

[2] إقليم طرابلس: هي منطقة تاريخية في الشمال الغربي من ليبيا. كانت سابقا ولاية ثم محافظة في ليبيا (إلى جانب برقة وفزان).

[3] إقليم فزان : هي منطقة تاريخية في الجنوب الغربي من ليبيا الحالية. معظمها أراض صحراوية لكن تكثر بها الجبال الصخرية، المرتفعات والأنهار الجافة والوديان في الشمال. كما تكثر بها الواحات المنتشرة في الصحراء الكبرى

[4] مصر: قاد عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب جيشًا إسلاميًا قدِمَ من الشام واستطاع هزيمة الرومان الشرقيين في مصر والاستيلاء عليها عام 641 م، وقام بإنشاء مدينة الفسطاط وأصبحت ولاية إسلامية تابعة للخلافة وقاعدة لانطلاق الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا أنظر الكامل في التاريخ لابن الأثير.

[5] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 25 .

[6] تاورغا: هي مدينة ليبية تقع شمال ليبيا، عمر وتاريخ منطقة تاورغاء يرجع إلى أكثر من 5000 سنة قبل وبعد الميلاد و مند أكثر من 500 سنة عمرت بلدة تاورغاء شعوباً مختلفة من رومان وبربر (هوارة ولواتة) وعرب سمالوس والأعراب الفاتحين والمرابطين وعرب مهاجرة وقد وجدت آثار هذه الأقوام من قصور مثل قصر قداس وقصر زرزر

[7] سرت: مدينة ليبية ،ذكر عدد من الرحالة والجغرافيين مدينة سرت كابن حوقل الذي قال عنها في القرن العاشر الميلادي: "وسرت مدينة ذات سور صالح منيع من طين وطابية وبها قبائل من البربر .

[8] نهر شلف :وادي شلف إلى مليانة ومنها إلى تنس ثلث مراحل ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر المالح ،واسم شلف أيضا ،مدينة جزائرية ،عمّرت من طرف قبائل زناتة ومغراوة، حكمت بالتوالي من طرف بنو رستم، بني عبيد، بنو زيري، بنو حمّاد، المرابطين، الموحّدين ثمّ أخيرا من طرف بنو زيّان.

[9] حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 26

[10] وهران : مدينة وهران بعد تأسيسها كانت محل نزاع بين أمراء قرطبة الأمويين والفاطميين، فقد دام الصراع حول المدينة من سنة 910 حتى سنة 1082م، حيث خضعت لهؤلاء تارة ولأولئك تارة أخرى. Ibn Khaldoun, Histoire des Berbères

سُمي إقليم الزاب[1]اعتبارا بأنه كان جزءا من ولاية إفريقية[2]، فالمغرب فالمغرب الأوسط، يبدأ من مجرى بجاية حتى شرق المملكة المغربية ،من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي[3]، قرب نهر ملويّة.[4]

شمل المغرب الأوسط معظم الجمهورية الجزائرية حاضرا، متكوّن من هضاب وجبال وسهول ساحلية ، ووفرة الأراضي الزراعية ،لأن الكثير من جبال وهضاب هذا الإقليم خضراء ،أو منقوشة كما يقول العرب كما أنه قطر مرتفع ومعتدل المناخ ، كثير الغابات و المراعي.

وتاريخيا فالمغرب الأوسط مقسم إلى قسمين: شرقي و يسمى إقليم تاهرت[5] ويتميز بالجبال و الغابات ، وغربي يسمى إقليم تلمسان[6] ،ويتميز بالمراعي و السهول ، كسهل متيجة[7] ، وإقليم السيق[8] السهلي الساحلي جنوب وهران ،و إقليم البابور، والبيبان[9] ، و الونشريس [10]، وكلها أقاليم جبلية وعرة

[1] قال ابن خلدون: وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب وأولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلي وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس، أهمها (بسكرة وطولقة)

[2] افريقية :تشمل إفريقية أساسا شمال الجمهورية التونسية وشرق الجزائر وغرب ليبيا تريبوليتانا ومركزها القيروان، ومن الدول التي حكمت هذه المنطقة دولة الأغالبة ودولة الموحدون والفاطميون وبنو غانية وبني حماد وفي بعض الأحيان تحكم هذه الدول كل إفريقية وفي بعض الأحيان أجزاءً منها فقط.

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص27

[4] نهر ملوية :يقع بين (المغرب الاوسط والمغرب الاقصى) فهو يفصل بين المغرب الاوسط والمغرب الاقصى ويجتمع مع وادي صاع ويصبان معا في البحر المتوسط .

[5] وتاهرت :اسم كان يطلق على مدينتين في المغرب الأوسط (الجزائر)، تاهرت القديمة، المدينة الرومانية التي وصفها ابن حوقل بأنها مدينة قديمة أزلية، وتعرف اليوم بتيارت بعمالة وهران، وتاهرت الحديثة (تاقدمت اليوم) التي بناها عبد الرحمن بن رستم، مؤسس الدولة الرستمية، وهي على بعد عشرة كيلومترات غرب تاهرت القديمة.

[6] تلمسان :هي عبارة عن مدينتان في واحدة متجاورتان ومسورتان وبينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة ، والحديثة إختطها المرابطون وسموها تاقرارت ، أما القديمة فسميت بأقادير وكانت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة أنظر البكري المصدر السابق ص 96.

[7] سهل متيجة :السهل مسطح بدرجة انحدار خفيفة من الجنوب نحو الشمال لتصل إلى مستوى 50 متر عن سطح البحر. درجة الميل تصل كحد اعلي إلى خمسين 50 متر بين مدينة احمر العين و اخفض نقطة في بحيرة حلولة بالقرب من سيدي راشد.

[8] اقليم السيق :اسمها القديم في العهد الإسلامي مدينة سيق نظرا لكثرة السواقي فيها وبعد الاستقلال أصبح اسمها من جديد سيق. هي مدينة تابعة لولاية معسكر كانت في القديم تابعة لولاية وهران.

[9] البابور والبيبان :هي سلسلة من الجبال في شمال الجزائر ، وهي جزء من سلسلة الأطلس التلي ، تقع في منطقة القبائل الصغرى ، أطلق عليها الأتراك اسم أبواب الحديد لوعورة مسالكها وحدة قممها و هيبة مخانقها ، وتقع شرق جبال جرجرة ويفصلها عنها نهر الصومام .

[10] والونشريش :سلسلة جبال في شمال غرب الجزائر ،وتمتد بين شرق وادي الشلف وشمال وادي منى إلى الغرب والجنوب هضبة سرسو، تمتد إلى ولاية المدية، عين الدفلى، تيسمسيلت، الشلف، غليزان، تيارت.

المسالك ، وكذا إقليم الحضنة [1]وهو إقليم جريد يتوسطه شط الجريد ، وإقليم الهقار[2] في الجنوب ، وهو إقليم صحراوي[3].

أما إقليم تلمسان فيتميز بجباله ، وسهوله ومراعيه الواسعة ، وقد كانت تلمسان دائما مركزا حضاريا و قاعدة علمية ، ومن جهة الغرب نجد المغرب الأقصى ، الذي يعرف اليوم بالمملكة المغربية ، ويشمل جبال الأطلس، و يضم كذلك سلسلة من السهول الساحلية، بين الجبال وساحل المحيط الأطلسي.

تشق هذه السهول ،أنهار أو وديان تنحدر من جبال الأطلس غربا إلى المحيط ، وهي من الشمال إلى الجنوب وادى لوكس [4]، ويصب عند مدينة العرائش[5] ،ووادي سبو[6] بفروعه الكثيرة، وقواعده الشهيرة مثل فاس[7] ومكناس[8] ، ثم وادي أبو الرقاق [9]،وهو نهر مزدوج يصب في البحر بمصب واحد ، وعلى ضفته الشرقية عند المصب مدينة سلا[10] ، وعلى ضفته الغربية

---

[1] اقليم الحضنة :هي مدينة المسيلة حاليا ،تلقب بعاصمة الحضنة التي كانت عبارة عن مملكة بربرية مستقلة في عهد الرومان ولقبت بهذا الاسم لاحتضانها بين سلسلتي الأطلس التلى والأطلس الصحراوي.

[2] اقليم الهقار :يقول ابن بطوطة الذي اجتاز اقليم الهقار إن سكانه كانوا يضعون حجابا على الوجه ،رحلة ابن بطوطة تحفة النظار ،ج 4 ص ص 444 وما بعدها .

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص 27.

[4] وادي لوكس : يقع في شمال المغرب الأقصى جنوب مدينة طنجة ، ويذكره البكري عند الحديث عن الطريق من مدينة طنجة إلى مدينة فاس فاس ، أبو عبد الله بن عبد العزيز المرسي البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ،ص 109-110 .

[5] العرائش :مدينة على ضفة المحيط في المكان الذي يصب فيه نهر لوكس في المحيط ويقع قسم منها على ضفة النهر والجزء الآخر على ساحل المحيط .

[6] وادي سبو : نهر قرب طنجة من أرض البربر ويحاذي فاس من الجهة الشرقية ويأتي مكناس من جنوبها ، ياقوت الحموي ،معجم البلدان ج 3 ، ص186 ، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ص 244-247.

[7] فاس : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأصل مدنه قبل أن تختط مراكش ، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين ، وقد تصاعدت العمارة في جنبيها حتى بلغت مستواها من رأسه ،وقد تفجرت كلها عيونا تسيل الى قرارة واديها ،ويطلق على المدينتين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ، وقد اختطت في عصر الأدارسة 191هـ/808م ،ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 4 ص 230 ، البكري المصدر السابق ،ص 115.

[8] مكناس : مدينة في المغرب في بلاد البربر على البحر الأعظم (المحيط) بينها وبين مراكش أربعة عشرة مرحلة (وتقع مكناس شمال غرب مراكش) وهي مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء ،اختط احداهما يوسف بن تاشفين أمير الملثمين والأخرى قديمة وأكثر شجرها الزيتون ومنها إلى فاس مرحلة واحدة، -تقع مكناس في الطريق بين فاس وسلا على شاطئ البحر (المحيط) فيه مرسى المراكب.

[9] أبو الرقراق: نهر يمر على مدينة الرباط من الشرق ويصب في المحيط عند مدينة سلا ، الحسن الوزان ،وصف إفريقيا ،ص 207-209 .

[10] سلا :مدينة على ساحل المحيط ،فالبحر يقع شمالها والنهر يقع في غرب سلا ،يأتيها النهر من جنوبها ، وفيه نهر كبير تجري فيه السفن ،أقرب منه إلى البحر ، ياقوت الحموي معجم البلدان ج3ص231

مدينة رباط الفتح[1] ، هي عاصمة المغرب حاليا ، و هما مدينتان توأمان ثم وادي أم الربيع[2] ، وقرب مصبه تقع مدينة أزمور[3]، ثم وادي تانسيفت [4] ، وتقع وتقع على أحد فروعه مدينة مراكش[5] ، ثم وادي السوس[6] الذي يجري في إقليم إقليم السوس ، الغني وهو إقليم ذو شكل مثلث ، ينحصر بين فرعي جبال الأطلس والمحيط الأطلسي ،ومن أهم مدنه تارودانت [7] و أغادير[8] ، ثم وادي وادي درعة[9] في أقصى الجنوب، وما وراء ذلك تمتد صحاري المغرب.

حيث تقوم جبال الأطلس حاجزا بين المغربين الأوسط والأقصى ، ولكن هناك ممرا واسعا ، بين الجزء الشمالي من جبال الأطلس[10] ،وجزئها الجنوبي ، وهذا الممر يعرف بممر تازة[11] ، ومن سيطر على ممر تازة سيطر على الطريق الرئيسي المؤدي من الجزائر إلى المغرب الأقصى.

---

[1] رباط الفتح :مدينة اختطها الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وأتمها ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور تقع امام سلا على ضفة النهر الغربية ،الحسن الوزان وصف إفريقيا ،ص207.

[2] أم الربيع :نهر يجاز بالمراكب سريع الجري كثير الانحدار والصخور والجنادل فيصل بين اقليم تامسنا واقليم دكالة وتقع عليه مدن ويصب عند مدينة آزمور في المحيط ، الإدريسي ، نزهة المشتاق ص 237 ، الحسن الوزان ، وصف إفريقيا، ص،157،166 .

[3] آزمور: تقع على ساحل المحيط عند مصب نهر ام الربيع على مسافة 90كلم من المدينة باتجاه الشمال ،بلد في جبال البربر في اقليم دكاله ،الحسن الوزان ،المصدر السابق ص166 ،ياقوت الحموي المصدر السابق ج 1ص 169

[4] تانفيست: نهر يقع على ثلاثة أميال من مراكش ، وليس بالكبير لكنه دائم الجري ، الإدريسي نزهة المشتاق ص 235

[5] مراكش: أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها وبها سرسر ملك بني عبد المؤمن (ملك دولة الموحدين) وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة عشرة أيام في وسط بلاد البربر وكان أوّل من اختطها يوسف بن تاشفين أمير دولة (المرابطين) الملثمين في حدود 470هـ/1070م وبينها وبين جبل درن، الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي ،ثلاثة فراسخ وهو في جنوبها ، وكان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل ، كان إذا انتهى القوافل إليه قالوا مراكش معناها بالبربرية أسرع المشي ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج 5 ،ص 94.

[6] وادي السوس: اسم السوس من الصوف ، والسوس الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي (جنوب المغرب الأقصى)وتقدر المسافة بين القيروان إلى السوس الأقصى بثلاثة ألاف قرسخ ....ومنطقة السوس وراء جبال أطلس باتجاه الجنوب ، وتبدأ عند ساحل غربا وتنتهي في رمال الصحراء جنوبا ،وتنتهي شمالا عند جبال الأطلس ، وتنتهي في الشرق في نهر يسمى نهر السوس ، الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 124، ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ج3،ص281.

[7] تارودانت :حاضرة (عاصمة)السوس الأقصى وإليها يجتمع أهله، عبد الواحد المراكشي ،المعجب ، ص447.

[8] أغادير: قلعة واقعة عند النهاية القصوى لجبال أطلس التي تتقدم على المحيط قرب المكان الذي يصب فيه نهر السوس في البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 130.

[9] وادي درعة: يعتبر قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة وهي على نهر سجلماسة ومن أرض درعة إلى بلاد السوس الأقصى أربعة أيام وتوجد مدينة في وادي درعة أسمها درعة صغيرة بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، وبها ثمرة القصب اليابس وبها تجار يهود ، وبها مدن مثل جزولة ولمطة ، تابعة لوادي درعة ، الإدريسي ،نزهة المشتاق ،ص226-227.

[10] جبال الأطلس هي سلسلة جبلية تمتد عبر الشمال الغربي لقارة إفريقيا حوالي 2.500 كلم ،عبر كل من المغرب والجزائر وتونس ، تبلغ أعلى قممها 4.156 م (13.671 قدم) وهي قمة طوبقال في جنوب غرب المغرب.

[11] ممر تازة : يوجد بها بعض المدن والأنهار ، وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق ،الحسن ابن محمد بن الوزان الفاسي الزناتي المعروف (ليو الإفريقي)،وصف إفريقيا ترجمة عبد الرحمان حميدة ،ومراجعة عبد الواحد ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ،1399ه ص 351-359 ، الحميري ، الروض المعطار ، ص128.

من الضروري دراسة البيئة الجغرافية للمغرب ، فهي حتمية في الفترة الإسلامية ، لأن البيئة تؤثر في الحياة القبلية تأثيرا عظيما.

والمعلوم أن الحياة القبلية هي عصب تاريخ المغرب الإسلامي، حيث ظفرت القبائل المغربية بالمساواة المطلقة بالفاتحين بعد دخولها في الإسلام، واستطاعت منذ القرن الثاني الهجري، أن تؤسس دُولا لعبت في تاريخ المغرب الإسلامي دورا عظيما.

1 - التسمية :

- ماذا نقصد ببلاد المغرب وإشكالية المجال ؟

إن بلاد المغرب مصطلح يطلق على كل الأقاليم الواقعة غرب مصر، والتي تشمل حاليا البلاد الليبية وتونس والجزائر والمغرب الأقصى.

كما عُرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة، فقد أطلق اليونان اسم ليبيا على القسم الشمالي من إفريقيا الآهل بالسكان البيض، وقابلوا بينه وبين الصحراء بلاد الأحابش السودان.

تضاربت أراء الجغرافيون المؤرّخون المسلمون في تحديد المغرب، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا إلى جانب إسبانيا الإسلامية[1]، وكافة الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل صقلية وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردينيا وكورسيكا[2] وجزر البليار[3].

ذكر لنا أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) في كتابه تقويم البلدان حدود بلاد المغرب بقوله: " يحد بلاد المغرب من جهة الشرق حدود ديار مصر

[1] إسبانيا الإسلامية: الفترة من 711 الى 1031 ميلادية أي من الفتح العربي للأندلس الى سقوط الخلافة القرطبية، وهو من تأليف المستعرب الفرنسي ليلي بروفنسال.

[2] تقع جزيرة كورسيكا ، التّابعة للدولة الفرنسيّة، في وسط البحر الأبيض المتوسّط، حيث نجدها في غرب دولة إيطاليا، وأيضاً إلى الجهة الشماليّة من جزيرة سردينية، وتُعد واقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من جمهورية فرنسا.

[3] جزر البليار: جزر البَلْيَار أو جزر البَلِيَار (بالإسبانية: Islas Baleares، بالكتالانية: Illes Balears) منطقة تقع في شرق إسبانيا، من سبعة سبعة عشر مناطق حكم ذاتي في إسبانيا. عاصمتها هي مدينة ميورقة، تنفرد المنطقة بمقاطعة واحدة وهي جزر البليار.

ظهر الواحات إلى بحر الروم[1] عند العقبة التي على طريق المغرب من برقة واسكندرية على بحر الروم، ومن الشمال بحر الروم من العقبة المذكورة ثم بحر الزقاق[2] عند سلا وطنجة. ومن الغرب البحر المحيط من طنجة[3] إلى صحراء لمتونة[4]. ومن الجنوب المفازة الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد المغرب".

وحدد ابن عذاري في كتابه البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، بلاد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية إلى مدينة سلا[5].

2 - أقسام بلاد المغرب الإسلامي:

أ- المغرب الأدنى:

سُمِيَ إفريقية وشغل تونس الحالية، وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر[6]، وكانت عاصمته مدينة القيروان في ظل حكم الأغالبة، ثم المهدية أيام الفاطميين[7]، ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين[8] إلى يومنا هذا ، وقد أطلَقَ أطلَقَ عليه العرب المغرب الأدنى ،لأنه أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة ،(خريطة رقم 4).

[1] بحر الروم : هو البحر الأبيض المتوسط حاليا .
[2] مضيق جبل طارق البحري : تسميته العربية القديمة بحر الزُّقاق ،عبد الواحد المراكشي ، كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب
[3] طنجة: تقع مدينة طنجة غرب مدينة سبتة عند مدخل البحر المحيط (المحيط الاطلسي)الى (البحر المتوسط) واضيق اتساع للبحر يقع بين طنجة وسبتة ويفصل المضيق بينها وبين بلاد الاندلس، عبد الواحد المراكشي ، المعجب ،ص 439 .
[4] قبيلة لمتونة: من بطون صنهاجة ولها في الملثمين بطون كثيرة ، عبدالرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ 6، ص 202، طبعة دار الفكر، بيروت - لبنان.
[5] ابن عذاري المراكشي البيان في اخبار الاندلس والمغرب ،ج 1 ، ص 5
[6] الجزائر: كانت مدينة الجزائر تُدعى إكوزيوم في زمن الإمبراطورية الرومانية، ومن مُسمّياتها الحالية البهجة، المحروسة والجزائر البيضاء، وذلك لبياض ولمعان عماراتها ومبانيها والتي يُخيّل للناظر أنها ترتفع عن سطح البحر، وهي أيضا
[7] الفاطميين : نسبهم الى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وارضاها وقد دعا اليها في المغرب ابو عبد الله الشيعي (الصنعاني) واسقط دولة الاغالبة ودخل القيروان سنة 296ه/909م واعلن قيام الدولة الفاطمية وبعث يستدعي الامام المهدي من مدينة سلمية قرب حلب الشام ، حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص 133-144
[8] الحفصيين : تنسب الى الشيخ ابي حفص يحي بن عمرو الذي ينتمي الى قبيلة هنتاتة اعظم قبائل المغرب الاقصى وكان للشيخ ابي حفص مكانة سامية في دولة الموحدين وكان اولاده واحفاده منزلة رفيعة في الدولة وتقلدوا في مناصب الادارة في المغرب والاندلس ،انظر ابن ابي الدينار ،المؤنس ص 127، ابن خلدون ،العبر ج7 ص89،180،181 .

وفي العصر الروماني، كانت ولاية إفريقية تمتد من لبدة[1] شرقا إلى المسيلة غربا ، وفي التعديل إلى بلاد العرب ودار الخلافة، وقد اختلف الجغرافيون العرب ، في تحديد موقع إفريقية، فيذكر البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب :" أن حد إفريقية طولا من برقة إلى مدينة طنجة ،وعرضا من البحر الرومي إلى الرمال أول بلاد السودان ".

ب - المغرب الأوسط:

وهو يمثل المنطقة الممتدة من بجاية شرقا حتى وادي ملوية وجبال تازة غربا، وقاعدته مدينتي تلمسان وجزائر بني مزغنة ،أما عاصمته فهي مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية،[2] وفي أيام الدولة الزيرية الصنهاجية[3] الصنهاجية[3] ،التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب صارت العاصمة مدينة أشير، ثم انتقلت إلى مدينة تلمسان غربا أيام دولة بني عبد الواد[4] بني زيان[5] في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي،(خريطة رقم5)

ج- المغرب الأقصى:

يبدأ من وادي ملوية شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، والبحر المتوسط شمالا، وجبل درن جنوبا، وقد سُمِيَ بالمغرب الأقصى لأنه أبعد

---

[1] لبدة: تقع مدينة لبدة إلى الشرق من مدينة الخمس على مسافة 3كم عند مصب وادى لبدة، بحيث تحاذيه من ضفته الغربية . أما عن العاصمة طرابلس فتبعد نحو 123 كم بالاتجاه شرقاً مع الطريق الساحلي.

[2] تأسست الدولة الرستمية بـ"تيهرت" سنة 777 ميلاديًا وبقيت حتى سنة 909 ميلادية، على يد عبد الرحمن بن رستم فرخزاد ويختلف المؤرخون في نسبه، فيرجعه ياقوت الحموي إلى مولى عثمان بن عفان وهو بهرام أحد أبناء كسرى يزدجرد، أما البكري وابن حزم فيرجعان نسبه إلى سلالة ملوك الأكاسرة الساسانيين الفرس، فيما يقول ابن خلدون إنه من أبناء رستم قائد الجيش الفارسي المشهور في معركة القادسية.

[3] ينتسب الزيريون إلى قبيلة صنهاجة البربر. استقروا في منطقة المغرب الأوسط (الجزائر). مع ظهور الفاطميين في إفريقية، اعتنق بنو زيري الدعوة الجديدة. كان قائدهم "زيري بن مناد" من كبار رجالات الفاطميين (التحق بهم سنة 935 م).

[4] و5 بنو عبد الواد هم الزيانيون، سلالة أمازيغية زناتية حكمت في غرب الجزائر بين 1236 و 1557 م. مقرهم تلمسان. كانوا يرتادون منطقة الأوراس ويشغلون منطقة الزاب إقليم قسنطينة، وهم من ولد يادين بن محمد بن رزجيك بن اسين بن ورسيك بن زناتة ، تاريخ ابن خلدون - ابن خلدون –العبر ، الجزء 7 - ص72.

أقطار المغرب الثلاث عن دار الخلافة، ويُعرف اليوم بالمملكة المغربية، والذي كان تحت حكم دولة الأدارسة ، (خريطة رقم6).

وأما عن سطح المغرب فينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

– الشريط الساحلي الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط وعلى المحيط الأطلسي، مع الاختلاف في ضيقه واتساعه، تبعا لاقتراب الجبال من البحر أو بعدها عنه.

– أما منطقة الجبال فهي بمثابة حواجز طبيعية، لفصل منطقة السهول والصحراء، ومن أبرز هذه الجبال، جبل درن التي يطلق عليها اليوم جبال الأطلس.

– منطقة الصحراء وتقع خلف الجبال، (خريطة رقم 7).

3 - أصل السكان:

البربر من أقدم سكان المغرب على الإطلاق، فقد استوطنوه منذ أقدم الأزمنة، وأسسوا فيه حضارة راقية متقدمة.

ويرجح البعض أن هؤلاء البربر من أصل يمني، جاءوا من جنوبي الجزيرة العربية[1] ، منهم فريق توجّه لبلاد فارس[2]وآخر جاء إلى المغرب عن طريق مصر و ليبيا، مستدلّين على ذلك بوجود مدن بالمغرب تحمل أسماء توجد بفارس، كفاس و القيروان، كذلك فإنه ما تزال في بلاد فارس جماعة تسمى البربر، وهم قوم رحّل[3] (خريطة رقم 8).

[1] شبه الجزيرة العربية: وتاريخياً يطلق عليها جزيرة العرب كما تعرف بـ شبه القارة العربية إلا أن هذه التسمية غير منتشرة في الأوساط العربية كما في غيرها هي منطقة جغرافية تقع في جنوب غرب آسيا عند تلاقي آسيا مع أفريقيا وهي ثاني أكبر شبه قارة على وجه الأرض

[2] بلاد فارس: الإمبراطورية الفارسية أو فارس (بالفارسية: شاهنشا هي إيران) هو الاسم التاريخي للمنطقة التي قامت عليها الإمبراطوريات والدول الفارسية والتي تشكل اليوم إيران.

[3] الحسن السائح، الحضارة المغربية عبر التاريخ، ص 43.

وإذا كان المغرب يُعرف من فصائل البربر قبائل سوس، فإن فارس كذلك تحتفظ بهذه الفصيلة أيضا[1]، وأن هذه العناصر الفارسية بلغت شأنا عظيما، في الدور الثاني من تطور الدولة الرسمية (258- 281 هـ) ،حيث أن الأئمة الرستميّين كانوا من أصل فارسي، فأوكلوا إلى هذه العناصر قيادة الجيوش وأسمى المناصب، فضلا عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية[2] ، كما استطاعوا فيما بعد أن يقيموا القصور والمنازل حول تاهرت، ويشكلوا دولة داخل الدولة الرستمية.

وهذا ما تتفق عليه معظم الروايات، عن أصل العرب و البربر معا، فالنسابون من ابن الكلبي[3] إلى ابن قتيبة[4]، و إبن جرير الطبري[5] و المسعودي والوراق[6] التونسي يتفقون على نسبة البربر إلى العرب، وإذا عدنا إلى النسابين البرابرة، فسابق المطماطي[7] يؤكد في نسبه عروبته، و يرى أن البرانس من نسل كنعان بن حام، و البتر من برّ بن قيس بن عيلان من ذرية سام[8].

لكن خلاصة القول في نسب البربر، ما قاله ابن خلدون في كتابه العبر وخلص إليه ، القول الشافي والوافي :" إذ مثل هذه الأمة (الأمازيغية) المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض ، لا تكون منتقلة ، من جانب آخر، وقطر محصور ،البربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم ، متحيّزون

---

1 حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 144

2 د. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، ص 171.

3 ابن الكلبي: هو هشام بن محمود بن السائب بن بشر الكلبي مؤرخ عالم بالأنساب و أخبار العرب و أيامها من أهل الكوفة و وفاته فيها سنة 204 ه/ 819 م من كتبه جمهرة الأنساب و الأصنام و نسب الخيل و بيوتات قريش و ألقاب قريش- الأعلام.

4 ابن قتيبة: هو أحد النسابين العرب وقد قال أن البربر من ولد جالوت لكن ابن خلدون يرى غير ذلك ، العبر ج 6 ص 127

5 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، (224 هـ - 310 هـ - 839 - 923م)، مفسّر ومؤرّخ وفقيه، ولُقِبَ بإمام المفسرين، ولد بآمُل عاصمة إقليم طبرستان، ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج 6، ص2445،

6 الوراق: هو محمد بن يوسف أبو عبد الله الوراق(292- 362 ه)(904 م- 973 م) نشأ بالقيروان و أقام حتى وفاته بقرطبة ألف كتابا ضخما في مسالك أفريقية و ممالكها كما ألّف في أخبار ملوكها و حروبهم و في أخبار تاهرت و وهران و تنس و سجلماسة و غيرها من البلدان- الأعلام.

7 سابق المطماطي: هو أحد النسابين البربر من قبيلة مطماطة ، الذي يجزم أنه من قبائل البربر.

8 سام: أحد أبناء النبي نوح عليه السلام .

بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام [1]. فما الذي يُحْوِجُنَا إلى التعليق بهذه الترّهات في شأن أوليتهم ؟ (خريطة رقم 9).

وقد لعب البربر دورا هاما رئيسيا في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط فأقاموا الممالك و دوّخوا الأمصار، وعلى أرض المغرب نشأت قبائل بدوية رحّالة ،و قبائل مستقرة ذات حضارة، و صحراوية تفاعلت مع البيئة الجغرافية ، وتوّغلت في الصحراء أو تناءت عنها لعوامل طبيعية كالجفاف ،أو لعوامل اقتصادية ،أو اجتماعية، و لذلك اهتم المؤرّخون المعاصرون بحركة القبائل ،وعلاقتها بالبيئة الجغرافية و تفاعلاتها معها.

4 - أقسام البربر:

قَسَمَ نسابة العرب البربر إلى قسمين:

أ- **البتر:** وهم البربر البدو ، جدد نسبيا ، أقبلوا من الجنوب ، وفي الغالب من الجنوب الغربي، من قلب القارة الإفريقية ،عن طريق واد النيل[2] ، وقد نزلوا أوّلا ،إقليم برقة ثم انتشروا غربا ،وهم جنس إفريقي أسمر البشرة ،اختلط بالسكان الأصليين ، ومن اختلاطهما نشأ الجنس البربري ، الذي استعرب بعد ان اختلط بالعرب ،وأصبح من أمم العروبة ، وهو يجمع في تكوينه، خصائص الأصول الثلاثة التي تكون منها[3] .

وضم عدة قبائل أشهرها: زناتة- مديونة- لواتة- زواوة- نفزة- نفوسة- مطغرة- مطماطة و تسكن غالبيتهم الساحقة في الصحراء و المناطق الرعوية، ابتداءً من طرابلس إلى تازا ،و بعضهم ينزل نجود طرابلس و جبال الأوراس.

---

[1] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر ج6، ص 126-127-128

[2] وادي النيل: يلعب دوراً مهماً في مصر, حيث يمد هذا النهر مصر بحوالي 98% من احتياجاتها بالماء. ويمثل نهر النيل ظاهرة جغرافية وجيولوجية مميزة. حيث يجري منابعه الاستوائية في قلب أفريقيا, ثم يتجه شمالاً إلى البحر المتوسط ملتزماً بهذا الاتجاه. ولا يجري نهر النيل في إقليم طبيعي واحد مثل نهر الأمازون, بل يجري في عدة أقاليم متباينة.

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 29.

ب- البرانس: وهم البربر الحضر، و يشكلون أكثر من نصف البربر، فأصلهم من سكان البحر المتوسط ،وهم يسكنون بصفة عامة الشريط الساحلي ، والسفوح الشمالية لجبال الأطلس ، وهم يشبهون في ملامحهم، سكان الأندلس ،وسكان جزائر البحر المتوسط ، و يتكوّنون من عدة قبائل أشهرها: صنهاجة- كتامة- أَوْرَبَة- مصمودة- هسكورة- لمطة- عجيسة. وهم ينزلون في جبال الأطلس الكبير إلى المحيط الأطلسي، كما يوجدون في وسط الجزائر و جنوبها[1] (خريطة رقم 10).

يلاحظ أن هذا التقسيم ليس مطلقا فالحضارة ، والبداوة متبادلة في كل من الجماعتين [2]، كما يلاحظ أن البرانس على العموم، هم أكثر تحضرا من البتر، ولكل منهما مميزاته في التاريخ ، فالبتر مذ كانوا وهم أحلاف الفاتحين.

وحسب بعض المصادر التاريخية، فالبرانس كانوا أكثر ميلا إلى الشيعة و العلويين، سواء في إفريقية أو المغرب،[3] غير أن القبائل المغربية، وحّدتها العقيدة الإسلامية جميعها بعد الفتح، كما وحّدت قبائل الجزيرة العربية من قبل ،بعد أن وصل إليها الإسلام ،على يد الفاتحين في القرن السابع الميلادي، وحسن إسلام المغاربة فحملوا راية الإسلام وعبروا بها إلى أوروبا ، وألحقوا بهم إسبانيا و قرعوا أبواب فرنسا[4] .

[1] الحسن السائح، الحضارة المغربية عبر التاريخ ص 89.
[2] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي ج 1، ص 263.
[3] إبراهيم حركات ، تاريخ المغرب، ص 164.
[4] أحمد عسة ، المعجزة المغربية ، ص 8.

5 - الإقليم الجغرافي الكتامي

من المفيد أن نركز على الدور الذي لعبته هذه القبائل، في تكوين وإرساء معالم الحضائر الكبرى، وبالتالي تحديد خريطة المغرب الإسلامي ورسم حدود الإمارات المنشأة، والتي أصبح لهذه المدن سيادتها وهيمنتها[1](خريطة رقم 11).

ومن أهم القبائل الفاعلة في المغرب الأوسط ، نذكر منها ، صنهاجة ،عجيسة ، مصمودة ،أوريغة ، كتامة ، وهذه الأخيرة أي قبيلة كتامة من أشهرها ، وتقطن بالمغرب الأوسط منذ القدم ، حيث ورد اسمها في إحدى النقوش التي ترجع إلى العصر البيزنطي[2]،وهي تشير إلى تمركز مجموعات منها بالقرب من مدينة جيجل ،في بيئة كتامة الأصلية وبين حواضرها[3] .

وتتميز بيئة قبيلة كتامة بالحصانة والمناعة، وقد امتدت من مرسى الخزر شمالا[4] ، إلى ما وراء تدلس[5] بأرض زواوة، وما بين هذين الموقعين نجد موانئ ومدن. (خريطة رقم 12)

أما جنوبا ، نجدها ــ أي بيئة قبيلة كتامة ــ تبدأ من جبل أعالي الناس[6] ، ، من سلسلة جبال الأوراس ، ثم جبال الحضنة بحدودها الشرقية ،ومن الشرق تبدأ من قرب القالة[7] .

[1] الطويل الطاهر ، التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية قسنطينة ،2008/2007 م ، ص 3

[2] Gautier (E.F) :le passé de l’Afrique du nord ;les siècles obscures ,Paris Payot 1942 p339 .

[3] لقبال موسى ،دور كتامة في تاريخ الحضارة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري /11ميلادي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1979 ،ص 95

[4] الخزر :مرسى على بعد 80كلم من مدينة عنابة اشتهرت بصيد المرجان للمزيد انظر ابن حوقل صورة الارض منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ص 76

[5] تدلس :تعرف حاليا بدلس تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 70 ميلا واربعة اميال من نهر سيباو اهم انهار بلاد القبائل .

[6] جبل أعالي الناس : هي قمة بجبال الاوراس ، تسمى قمة اعالي الناس جنوب ولاية خنشلة بعلو حوالي 2000متر.

[7] القالة: سميت أيضا بمرسى الخرز حوالي 1570 م حيث يوجد في المسيدا آثار ميناء عثماني ثم سميت la Calle بالفرنسية وعرفت بهذا الاسم من قبل الفرنسيين نسبة للإرساء ، حيث كانت حسبهم أول خليج متوسطي ترسى فيه بواخرهم ،تقع في الشمال بالقرب من الحدود التونسية تابعة إداريا لولاية الطارف.

وتمر عبر جبال النمامشة[1] في اتجاه الجنوب[2]، ومن الغرب تبدأ من تدلس ثم تنزل بمحاذاة جبل التيطري[3].

ولم يعرف تاريخ الفتح الإسلامي، مقاومة تذكر من جانب زعماء البربر ، إذا استثنينا الكاهنة[4] و كسيلة[5]، اللذين ثارا لكرامتهما الشخصية [6]، و ثورة هؤلاء لم تكن في الغالب ثورة على الإسلام نفسه ، وإنما كانت ثورة على تعسّف الولاة الأمويين ، الذين كان همّ معظمهم موجّها نحو الكسب والغنائم ،كما ينبغي أن لا ننسى أن الأمويين لم يكونوا يحسنون معاملة الفرس حتى بعد إسلامهم، وإن اعتزازهم بالجنس العربي إلى حد التعصّب البغيض ، كان من أهم أسباب سقوط دولتهم .

فلا عجب أن تكون معاملتهم للبربر شبيهة بمعاملتهم للفرس ، حتى إذا ظهرت الدعوة إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، أقبل الفرس في الشرق يعضدون العباسيين[7] ، بينما أقبل البربر في المغرب يعضدون الأدارسّة، و يقيمون فيما بعد دولة الفاطميين. (خريطة رقم 13)

---

[1] جبال النمامشة : بمحمل تازوقاغت ولاية خنشلة.

[2] لقبال موسى ، المرجع السابق ، ص 98

[3] جبال التيطري: التيطري(العربية : Titteri التيطري ،الأمازيغية : Tittri) ، سلسلة جبال في شمال الجزائر .،تبلغ ذروتها بديرة (1485 م). وتمتد بين ولاياتا المدية، البويرة، عين الدفلى وهو يعتبر جنوب منطقة الأطلس التلى من تلك الجهة إذ يتموضع في الحدود الشمالية لمنطقة الهضاب العليا فهو يفصل بين منطقة التل و منطقة الهضاب.

[4] الكاهنة: ديهيا أو الكاهنة، أنظر كتاب: ديوان المبتدأ والخبر ،ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م - ج6 ص143 ، عاشت الكاهنة في فترة ما بين (585 م - 712 م)، المشهورة بلقب كاهنة البربر ،عدد من المؤرخين وصفو الملكة ديهيا "بالكاهنة" لأنها حكيمة ونجد إبن خلدون نفسه يصفها حين يتحدث عن نسبها في كتاب العبر، الجزء السابع ص 11 ، قائدة أمازيغية خلفت الملك أكسيل في حكم الأمازيغ وحكمت شمال أفريقيا أنظر بن عذارى ج1 - ص 36 ، ودام حكمها 35 سنة[أنظر ابن خلدون نفس المصدر ، ج7 ص12 ، تشكل مملكتها اليوم جزء من المغرب العربي، أنظر بن عذارى - ج1 - ص 37.،وعاصمة مملكتها هي مدينة ماسكولا (خنشلة حاليا) في الأوراس، أنظر طقُّوش، مُحمَّد سُهيل (1431هـ - 2010م). تاريخ الدولة الأُمويَّة (الطبعة السابعة). بيروت - لُبنان: دار النفائس. صفحة 95.

[5] كسيلة: كسل أو كسيلة ملك مسيحي أمازيغي ولد في مدينة خنشلة الحالية، أسلم ثم أرتد عن الإسلام زمن الفتح الإسلامي للمغرب. حكم مملكة التافا الامازيغية والتي كانت تشمل الجزائر الحالية وأجزاء من تونس، وشمل مكله كسيلة الأراضي ما بين تاهرت (تيارت الحالية) و وهران و تلمسان غربا إلى القيروان بالشرق، حارب كسيلة ضد قوات عقبة بن نافع وقوات قيس بن زهير البلوى، ممَّا تسبب بتأخير فتوحات المسلمين في شمال أفريقيا وغرب أوروبا.

[6] ابن عبد الحكم ، فتح مصر و المغرب ، ص 276.

[7] العباسيين: اسره عربيه كونت خلافه من سنة 750 بحكم ابو العباس السفاح لغاية مجيئ المغول فقضوا على حكمهم، و اعدموا المستعصم بالله باعتباره كان اخر خلفائهم في بغداد وهذا سنة 1258.

II. الإطار التاريخي العام

1- المغرب الإسلامي في ظل حكم الأغالبة

كان المغرب العربي الحالي ،منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية منقسم إلى خمسة أقسام :

طرابلس ونواحيها إلى حدود برقة ، وقسطيلية[1] ، وهي بلاد الجريد اليوم وعاصمتها مدينة توزر[2] ، وتونس وما حولها من شمال القطر التونسي ،وبلاد السوس أو المغرب الأقصى وعاصمته طنجة .

والخامس هو بلاد الزاب الجزائري وقاعدته مدينة طبنة[3]، شرقي الحضنة، وتارة بسكرة[4]ويمتد إلى الجنوب إلى عمالة قسنطينة[5]،وكانت الحدود الأغلبية بهذا القسم تمتد من سكيكدة[6] شرقا إلى وطن زواوة غربا ، ومن ميلة[7]

---

[1] قسطيلية : بالمغرب الأدنى (أى إفريقية) وكانت قاعدته فى صدر الإسلام ،مدينة القيروان، وقد اشتمل هذا الإقليم على عدة مدن منها: باجة و بونة و بنزرت و قسطيلة و صفاقس و قفصة ، و تونس و سوسة ، وغيرها من المدن، وقسطيلية عبارة عن عمارة قديمة وسط بساتين على ثلاث فراسخ شرق وهران ،قلعتها فوق صخرة عظيمة، حساني مختار المرجع السابق، ص 124 .

[2] توزر: هي مدينة وواحة صحراوية تقع في الجنوب الغربي للجمهورية التونسية ، وهي عاصمة ولاية توزر ومركز بلاد الجريد. تقع توزر في الشمال الغربي لشط الجريد وجنوبي شط الغرسة، على بعد 430 كم من العاصمة تونس.

[3] طبنة: وكانت المدينة التي تشير المصادر إلى أنها تمتد على مساحة تقدر بحوالي 70 هكتارا عاصمة للزاب التي كانت تمتد من منطقة بسكرة حاليا إلى جبال الأوراس من النصف الثاني للقرن الثامن إلى غاية تأسيس المسيلة (925 - 927) وظلت تابعة لها إلى غاية 1017، وانطلاقا من هذا التاريخ أصبحت تتبع قلعة بني حماد.

[4] بسكرة: يقول عنها ياقوت الحموي كما ورد في معجمه : " بسكرة – بكسر الكاف، وراء، بلدة بالمغرب من نواحي الزّاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر وقسب جيد، بينها وبين طبنة مرحلة، كذا ضبطها الحازمي وغيره، يقول : بسكرة، بفتح أوله وكافه، قال : وهي مدينة مسوّرة ذات أسواق وحمّامات، وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة، وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل، قال أحمد بن محمد المرّوذي : ثم أتى بسكرة النخيل قد إغتذى في زيه الجميل.

[5] عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام ج 1 ص293

[6] سكيكدة: المسماة قديما روسيكادا حسب التسمية الفينيقية، تقع الولاية شرق الشريط الساحلي الجزائري علي امتداد 140 كلم تقريبا، تمتاز بميناء سكيكدة حاليا من الموانئ الرئيسة في الجزائر، انطلاقا من القرن السابع ووصول المسلمين إلى منطقة المغرب تعربت المنطقة، وكانت اللغة العربية سهلة التعلم. والاسم الحالي لرسيكاد يستمد أصوله من العربية، حيث تحول نطقه من sucaicada إلى ras skikda أي رأس سكيكدة لتحديد النقطة الأكثر علوا شرق المدينة، ولقد تعرض لها بالذكر الكثير من المؤرخين كالبكري والإدريسي.

[7] ميلة: هي مدينة قديمة محصنة ،أهم المحطات الأساسية في طرق سيرتا وسطيف ،ارتبطت تاريخيا بهاتين المدينتين ،استراتيجيتها تكمن في مراقبة المعابر الشمالية المؤدية إلى جيجل والقل ،مشرفة على المناطق الجبلية حول وادي الرمل ، أنظر البكري المصدر السابق ، ص 63، في سنة 674م أي سنة 55هـ دخل الصحابي الجليل أبو المهاجر دينار ميلة فاتحا، بعد أن حاصرها حصارا محكما وقطع عن أهلها الماء حتى استسلموا له فسقطت في يده ودخلها منتصرا واستقر بها وقام ببناء أول مسجد في الجزائر والثاني في بلاد المغرب بعد مسجد عقبة بن نافع في القيروان التونسية على أنقاض الكنيسة الرومانية والذي يطلق عليه اليوم اسم "مسجد سيدي غانم" كما قام بتشييد دار الإمارة ملاصقة له. وقد اختار ميلة لتكون مقر العمليات الحربية في المغرب الأوسط ,ونقطة إشعاع للفكر الإسلامي الجديد .

وسطيف[1] شمالا ، إلى شط الجريد جنوبا ،ويصح أن تقول عمالة قسنطينة بحدودها المعروفة اليوم ، مع شيء قليل من التغيير[2].

وذكر اليعقوبي مدينة أَرَبَة[3] فقال: هي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب ، ولم يتجاوزها المسودة يعني بني العباس ، ولِكُلٍ من هذه الأعمال يتصرف في دائرته الخاصة به، تحت سلطة دار الإمارة العليا بالقيروان، والباقي من أرض الجزائر موزّع بين دولة الرستميين شرقا ودولة الأدارسة[4] غربا . وقدرت مساحة القطر الجزائري يومئذ بـ 184500 ميلا[5].

2- أهم أحداث المغرب الأوسط قبل قيام الدولة الفاطمية :

ما يمكن ذكره في تاريخ الجزائر في هذا العصر بالذات، سوى بعض الوقائع والاضطرابات التي حدثت بالزاب ، وأغلبها يرجع إلى نفور الشعب من سوء المعاملة المتمثل في ظلم الحكام من بعض ولاتها الأغالبة.(خريطة رقم14)

فعملية الزجر والقمع التي قام بها يومئذ ، إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلبي[6] فقضى على أهل الزاب جميعهم ، وألقاهم في الحفر سنة 268 هـ ، كما أوقع أيضا بأهل بلد بلزمة[7] ـ على مسافة 27 كلم في الشمال الغربي من

---

[1] سطيف: لقد كانت سطيف مركزا ،للعديد من الحضارات الإسلامية ، هي ولاية جزائرية تقع في شمال شرق الجزائر، تعني كلمة، سطيف بالعربية، التربة السوداء .يقع مركز الولاية السطايفية، (مدينة سطيف)، على بعد 300 كلم شرق الجزائر العاصمة.

[2] عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام ج 1 ص293

[3] اربة : منطقة بضواحي المسيلة (إن لم تكن هي نفسها) وبسكرة.

[4] الادارسة: هي سلالة حكمت المغرب، أسّسها إدريس بن عبد الله الملقب بادريس الأول 788-793م بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

[5] عبد الرحمن الجيلالي ، نفس المرجع، ص293

[6] إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلبي: ولد في تاريخ 237هجري وتوفي في 289 هـ ،من أمراء الأغالبة أصحاب إفريقية. كانت إقامته في القيروان، واليا عليها لأخيه أبي الغرانيق (محمد) وولي إفريقية بعد وفاة أخيه (سنة 261 هـ وكان عاقلا محسنا حازما. وحدثت في أيامه عدة ثورات فقمعها، وأمن الناس في عهده. وانتقل إلى تونس سنة 281 فسكنها واتخذ بها القصور. وغزا الإفرنج فافتتح كثيرا من حصونهم وقلاعهم. قال ابن خلدون: بنى الحصون و (المحارس) بسواحل البحر (حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة، إنذارا بالعدو، فيصل إيقادها بالإسكندرية، في الليلة الواحدة).

[7] بلزمة: موقعها قرب قرية مروانة غربي باتنة وشمال نقاوس ، يقول عنها البكري "أن فيها حصن أوّلي وهو في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى " البكري المصدر السابق ، ص 53 .

مدينة باتنة[1] ـ وقام بمثل ذلك أبو العباس ابن ابراهيم الأغلبي[2] سنة 286هـ ، فأوقع بني بلطيط [3] ببسكرة فقاتلهم وشرد بهم[4] ، وعاد أبو عبد الله الأغلبي[5] بأمر بأمر والده إبراهيم بن أحمد ،إلى أهل الزاب فحمل عليهم بجيش جرار سنة 288 هـ ، ثم كان استيلاء محمد بن خزر الزناتي[6] وتغلبه على الزاب سنة 319 . فسقطت بسكرة بيده وهذا كله يعود لانزعاج الشعب من جور الحكم ، وكذا للقحط والجدب الشديد، الذي عمّ المغرب والأندلس أنذاك ، فأعقبته مجاعة كبرى[7].

3- ظهور مؤسس الدولة الفاطمية أبي عبد الله الشيعي

نظرا لكل هاته الظروف التي عانى منها سكان المغرب الأوسط ، من تعسف أمراء بني الأغلب ،جاءت الفرصة سانحة لدعاة الإسماعيلية، في نشر مبادئ دعوتهم ، والتبشير بقرب انهيار مُلك الأغالبة وظهور المهدي[8] المنتظر ، ، وقيام حكومة عادلة تحت طاعته وأمره .

ذلك أن المذهب الإسماعيلي ،وجد أرضا صالحة في المغرب بعد نشأته في المشرق، في مدينة السلمية وجعلت منها قاعدة لبث النشاط في جميع أنحاء

[1] باتنة: تتموقع ولاية باتنة في قلب الأوراس، وتتميز بتضاريسها الوعرة ، تقع على بعد 425 كم جنوب شرق الجزائر العاصمة وترتفع عن سطح البحر بـ1200 م.
[2] أبو العباس ابن ابراهيم الأغلبي: أحد حكام الأغالبة، تولى بعد وفاة والده الأمير إبراهيم بن الأغلب سنة 196هـ/ 812م الذي حكم إفريقية مدة اثنتي عشرة سنة
[3] بني بلطيط: قبيلة في سدراته وكذلك في بسكرة .
[4] ابن عذاري ، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، دار الثقافة، بيروت ،البيان ، ج1 ص 131
[5] أبو عبد الله الأغلبي: أحد أمراء دولة الأغالبة .
[6] محمد بن خزر الزناتي: الملقب بالقرطاس ، عرف بشجاعته وطموحه السياسي ، فعمل على جمع شمل القبائل الزناتية بالمغرب الاقصى ، وقد نجح في ذلك، فانضوت تحت لوائه كثير من البطون البربرية عام (٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م)،وقد دعا بالدعوة الاموية في الأندلس.
[7] عبد الرحمن الجيلالي المرجع السابق ص 264
[8] المهدي: هو عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ، ولد بسلمية ،سنة 260 للهجرة، للهجرة، ووصل إلى مصر في زي تاجر سنة 289،أنظر الشرح في الموضوع ، توفي سنة 322ه ويقال قد خسف القمر في تلك الليلة خسوفا كليا، وكان عمره 62 سنة ،أنظر ابن حماد ،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق د/التهامي نقرة ،دار الصحوة القاهرة، ص 42 .

العالم الإسلامي ، في فارس[1] والعراق والحجاز[2]، واليمن ومصر والمغرب في بيئة مدينة الكوفة[3] تحديدا ،حيث كانت متعددة الأجناس والقوميات ، فانتشر بين الموالي ، وكان انتقاله غربا بعد تعرضه للملاحقات ، من طرف العباسيين.

فتمركز دعاته في شمال إفريقية، حيث ضعف السيطرة العباسية لبعد المسافة عن مركز اتخاذ القرار ،ولصعوبة التضاريس، ونشروا التعاليم الاسماعيلية ، مما أدى إلى انتشار المذهب الإسماعيلي بين قبائل البربر.

وربما كان العطف على ال بيت الرسول (ص) كبير جدا ،من أي مكان أخر ، وكان هذا قد أتاح للأدارسة من قبل ، السيطرة على المغرب الاقصى بدون مشقة ، وتأسيس دولتهم المستقلة .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، اشتمل على المغرب الأوسط ، باستثناء الأراضي التابعة لإمام تاهرت ، على إمارات شيعية بلغ عددها تسعة[4].

وهنا كانت الأرض مهيأة للدعوة الإسماعيلية، لكن المذهب الإسماعيلي كان قد دخل إلى إفريقية، بصورة أكثر تنظيما وسرية، قبل نحو مائة وخمسة وثلاثين من قدوم الداعي أبي عبد الله[5]، أي في أواسط القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي.

[1] فارس: بلاد فارس منطقة تقع في وسط إيران في الأحواز، جنوب أصفهان. وبلاد فارس اسم كان يطلق أيضا على عموم الأراضي الإيرانية بعد عام 1935.

[2] الحجاز: منطقة تاريخية وتعد أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية الجغرافية الخمسة ويقع في الجزء الشمالي الغربي والغربي من شبه الجزيرة العربية، عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب ص 129 .

[3] الكوفة: تقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط (شط الهندية القديم) شرق مدينة النجف بنحو 10 كم وغرب العاصمة بغداد بنحو 156 كم ، وأورد ياقوت الحموي نفس ما ذكره البلاذري في معنى الكوفة، مضيفا إليه: والكوفان الإستدارة، وكوفان اسم أرض وبها سمّيت الكوفة، وكوفان والكوفة واحد، البلاذري ، فتوح البلدان، ص275؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص290

[4] اليعقوبي، أبو يعقوب أحمد بن إسحٰق بن جعفر بن وهب بن واضح؛ تحقيق مُحمَّد أمين الضنَّاوي (1422هـ - 2002م). كتابُ البُلدان (الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار الكُتب العلميَّة. صفحة 351 - 352 و356.

[5] القاضي النعمان ، المصدر السابق 1970, ص 54

انتشر دعاة الاسماعيلية في بلاد المغرب الأوسط ، بديار قبيلة كتامة بالذات ، القبيلة الأكثر عددا ،والأصعب مراسا ، وكانت تقطن الجبال العالية ،ذات المسالك الوعرة ،وهي الممتدة من طرابلس إلى طنجة.

4 - مراحل الدعوة الإسماعيلية :

كان مرور الدعوة الإسماعيلية ،في بداية الانطلاقة ،قد بدأ بمرحلتين أوّلهما مرحلة الإعداد العقائدي النظري ، وقد حملا هذه الدعوة والمعنيان بها ،هما أبو سفيان الحسن بن القاسم [1]، وعبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني[2] ، في عهد أحمد بن عبد الله القداح[3] .

أما مرحلة الدور العملي ،تكفل بها الداعي أبو عبد الله الشيعي المعروف بالصنعاني .

وكانت المرحلة الأولى أن بعثت القيادة في المشرق ، أبا سفيان والحلواني إلى إفريقيا سنة 145هـ 762م، وكان هدفهما أن ينشرا فضل الائمة، ويتجاوزا حدود بلاد البربر ،وأن لا يعملا في منطقة واحدة ، وهناك من يقول أن الإمام جعفر الصادق[4] هو من أرسلهما[5].

وقد استقطب أبو سفيان التجار وأدخلهم في دعوته ،وكثر التابعون له في المنطقة ، وأصبحت مرماجنّة[6] تُعْرَف باسم الكوفة الصغرى[7].

[1] أبو سفيان الحسن بن القاسم : أحد أقطاب الدعوة الإسماعيلية في المغرب الإسلامي .
[2] عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني : كان مع أبو سفيان ، كان لهما الفضل الكبير في نشر الدعوة الإسماعيلية بأرض المغرب
[3] المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ص 30
[4] الإمام جعفر الصادق : (ولد يوم 17 ربيع الأول 80 هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها في مساء 25 شوال من سنة 148 هـ)، إمام من أئمة المسلمين وعالم جليل وعابد فاضل من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب وله مكانة جليلة عظيمة لدى جميع المسلمين، لُقِبَ بالصادق لأنه لم يُعرف عنه الكذب، ويعتبر الإمام السادس لدى الشيعة الإثنا عشرية والإسماعيلية، وينسب إليه انتشار مدرستهم الفقهية والكلامية.
[5] الطالبي محمد ، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي, 1995 ،ص ، 656 .
[6] مرماجنة : مدينة مرماجنة التّونسيّة، التي تقع شمال شرقي مدينة تبسة الجزائرية ذكرها بنُ حوقل في (القرن10) وهي لهوّارة، وفيها أسواقٌ أسواقٌ حسنة، وذكرها الإدريسي (القرن 12م)، فقال: ومنها إلى مرماجنة، وهي قرية لهوارة. وذكرها ياقوتُ الحموي في (القرن 13م)، فقال: مرماجنة: بالفتح ثم السكون وبعد الألف جيم و نون مشددة: قرية بإفريقية (تونس) لهوارة قبيلة من البربر عن أبي الحسن الخوارزمي. وقال بن خلدون: بأرض التلول من أفريقية (تونس)، ما بين تبسة إلى مرماجنة إلى باجة سَاحل تونس.
[7] البكري، أبو عبدُ الله بن عبدُ العزيز (1911). المُغرِّب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. باريس - فرنسا. صفحة 57.

بينما توغّل الحلواني في بلاد البربر ،على مشارف أرض قبيلة كتامة ، لكن الموت أدرك أبو سفيان، قبل وصول الداعي أبي عبد الله الشيعي، أما الحلواني فعاش طويلا ، وأدرك ابنه الداعي أبا عبد الله[1]، وكان رؤساء الدعوة الإسماعيلية ،قد اتفقوا على إرسال أبي عبد الله إلى المغرب[2]، لمتابعة عمل الحلواني بعد وفاة هذا الأخير.

التقى أبا عبد الله حجاج كتامة، ومن بينهم حُرَيْثْ الجميلي وموسى بن مكارم[3]، يقال أن أوّل ظهور للدعوة ، كان بوادي الرمل[4] بنواحي قسنطينة[5] ومرماجنّةـ ما بين مجّانة[6] وسبيبة[7]ـ سنة 279 هـ/892 م ، ثم كان ظهور داعي الدعاة الأكبر ومعتمد المهدي ، أبي عبد الله الشيعي ، بأرض فرجيوة[8] من من بلاد كتامة سنة 280 هـ.

وقد سبق له التعرّف ببعض رؤساء هذه القبيلة العتيدة في الحج، فنزل عليهم ضيفا مكرّما، ومكث بينهم وبدأ يتقرّب منهم.

والقصة التي يرويها القاضي النعمان، في كتابه الممتع "افتتاح الدعوة" تقول ، أن أبا عبد الله الشيعي الذي كان في الحجاز بموسم الحج ، تعرّف على

---

1 القاضي النعمان افتتاح الدعوة 1970 ،ص58-57 .

2 القاضي النعمان نفس المصدر 1970,. ص 60.

3 ابن خلدون، أبو زيد عبدُ الرحمٰن مُحمَّد بن مُحمَّد؛ تحقيق: خليل شحادة وسُهيل زكَّار (1408هـ - 1988م). كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، الجزء الرَّابع (الطبعة الثانية). بيروت - لُبنان: دار الفكر. ص62 - 63.

4 بوادي الرمل: ينبع من السفوح الجنوبية للجزء الشرقي من السلاسل النوميدية التي هي جزء من الأطلس الساحلي، ويتجه نحو الشرق محاذيا لتلك السفوح ، حتى يبلغ مدينة قسنطينة حيث يرفده عندها، وادي مرزوق، ذلك عند بداية اتجاهه نحو الشمال الغربي ، واجتيازه الجزء الشرقي لتلك السلاسل، عبر خوانق عديدة من أهمها و أعمقها وادي جروز الذي يسبق وصوله إلى مدينة قسنطينة

5 قسنطينة: تقع مدينة قسنطينة في مركز الشرق الجزائري على بعد نحو 400 كيلومتر عن الجزائر العاصمة، وتقوم المدينة القديمة على صخرة من الكلس القاسي ويشقها واد سحيق يعرف بوادي الرمال.

6 مجانة: هي إحدى دوائر ولاية برج بوعريريج الجزائرية و ترتبط بها عدة بلديات مثل ثنية النصر و القلة واليشير تبعد عن الولاية بـ 09 كلم فقط تحتوي على عدة مرافق وأماكن اثرية مثل عين بشاغا.

7 سبيبة: تعتبر مدينة سبيبة من أقدم المدن التونسية وأعرقها في التاريخ. ويقول عنها الرحالة ابن حوقل الذي مر بالمدينة سنة 332 هجري في كتابه صور الأرض: مدينة أزلية كثيرة المياه والأجنة، وعليها سور من حجارة حصين، وبها ربض فيه الأسواق والحانات وسكانها شربهم من عين جارية مياهها كثيرة تسقي بساتينهم وأجنتهم، وهي على مر الأيام كثيرة الفواكه رخيصة الأسعار، ويغلب على غلاتهم الكمون والكروية والبقول والكتان والزعفران ولهم ماشية كثيرة وبها طرق رئيسية جادة تربطها بالقيروان وقرطاج".

8 فرجيوة: تقع شمال غربي عاصمة الولاية ميلة. فرجيوة أو ماكانت تعرف سابقا بفج امزالة أو فج الأخيار يعود تاريخها إلى قبائل كتامة التي التي ساهمت بشكل فعال على نشأة الدولة الفاطمية، كما عرفها ابن خلدون في كتاباته باسم دار الهجرة .

حجاج من المغرب من قبيلة كتامة ، و لم يزل ملازما جوار القوم حتى فهم ما يجري بينهم من حديث ، ثم تدخل فيه وأخذ يحدثهم عن آل البيت، وأمور الفقه حديثا يدل على علم وتضلّع ، وصار يلقاهم كل يوم فيلقي عليهم علمه ، حتى بهرهم واجتذب قلوبهم ، مما زاد الناس فيه محبة[1].

وعندما توثّقت الصلة بينهم، واقترب موعد الرحيل، قال لهم أن وجهته مصر ليبحث فيها عن وظيفة معلّم، ولم يكشف لهم عن نواياه ودوافعه الحقيقية.

وفي الطريق كان يسألهم عن أحوال منطقتهم ببراعة وذكاء، وعندما وصلوا إلى مصر، ولم يجد عملا أقنعوه بضرورة مرافقتهم إلى مضاربهم، ليجد ما يريده عندهم، لتعليم أولادهم، فوافق في الحال على طلبهم، وقرر السير معهم إلى المغرب ، وعندما مرّ بفج قريب من إيكجان، قال هذا هو فج الأخيار ، وأضاف أنهم هم الأخيار، والفج ممر طويل في الجبل وكان اسم هذا الفج بالبربرية قريب من فج الأخيار، ولما اقتربوا من موطنهم وصاروا على بلد صغير يسمّى إيكجان ، في وعر من جبل عرف أن هذه منازل قبيلة بني سكتان من بطون كتامة ،ثم قال أن اسم قبيلتكم هي كتامة ، وهو مشتق من الكتمان ، والكتمان أول شروط الدخول في الدعوة[2].

استقرّ أبو عبد الله في منطقة إيكجان ، في منازل قبيلة بني سكتان من قبائل كتامة [3]، من بلاد المغرب الأوسط ، القطر الجزائري حاليا ـ منطقة بني عزيز من ولاية سطيف ـ وبدأ حياته كمعلّم صالح ، وأخذ يعلّم الناس حقا ،حتى اشتهر أمره رغم معارضة بعض زعماء القبائل، الذين خشوا على سلطانهم

---

[1] القاضي النعمان افتتاح الدعوة ص 38

[2] حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص 141

[3] القاضي النعمان ، المصدر السابق ،1970, ص 71-73

ونفوذهم [1]، ثم بدأ يتحوّل إلى مرشد لهؤلاء القوم على طريقة المعلّمين الدينيين، الذين يتحوّلون إلى قادة سياسيين ،وشيئا فشيئا أصبح شيخ قبيلة سكتاته ويصلح من أحوالها ، ويَنَشْط رجالها في مغاورة حدود الأغالبة[2] ،وشكا عمال بلاد الزاب الشرقي وسعى الأغالبة في نصح بقية الكتاميين[3] ،بإخراجه من منازلهم لكنهم رفضوا ذلك .

5 - الهجرة إلى تازروت

بعد التحصين وتدريب الجنود في قلعة إيكجان ، وخوض بعض السجالات على أطراف المنطقة ، شعر أبوعبد الله أن بقاءه هناك لا يخدم الدعوة ، وأنه يجب عليه توسيع نطاق نفوذه ، لهذا حزم أمره وانتقل إلى قلعة أخرى ، تسمّى تازروت (بميلة حاليا) ، ولم يكد يستقرّ بها حتى لحقه أنصاره ، فسارع إلى تحصين المنطقة ، كما فرض على أتباعه جباية قليلة ، أشبه بالتبرع للحركة ،وبلغ من ذكائه أنه جعل هذا المال بأيدي شيوخ من كتامة ، فلا يتصرف هو في شيء منه إلا بإذنهم ، وبهذا المال أيضا بدأ سلسلة من الحملات على قرب من منازل كتامة، من بلاد الزاب ،ووفّق في حملاته الأولى ، وغنيت أيدي الكتاميين بالغنائم ،فاشتد حماسهم ،وكان هذا في أواسط أيام حكم أبراهيم بن أحمد الأغلبي.

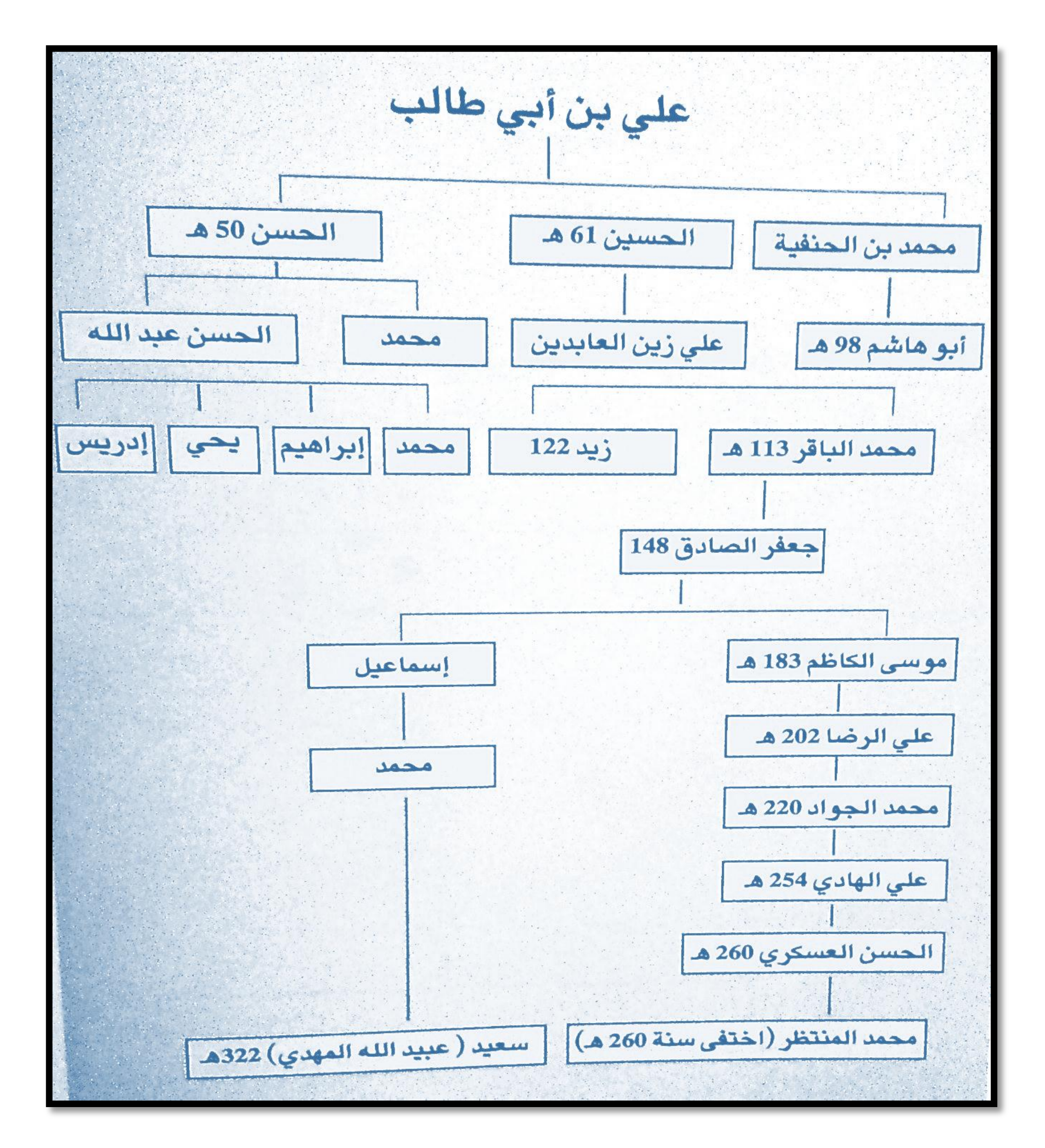
وهنا تحوّل أبو عبد الله إلى قائد سياسي عسكري، وصارح الناس بأنه يدعو للرضا من آل البيت، وأنه قائم بالدعوة حتى يسلمها لصاحب الأمر من آل رسول الله (ص) وهو الإمام المهدي.

---

[1] المصدر السابق، نفس الصفحة .

[2] الدشراوي فرحات؛ ترجمة: حمَّادي السَّاحليّ (1994). الخلافة الفاطميَّة بالمغرب 296-365هـ / 909-975م (الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار الغرب الإسلامي. صفحة 92.

[3] المرجع السابق، ص 142



شجرة نسب العلويين عن كتامة والحضارة الفاطمية

ولما أحس الأمير إبراهيم الأغلبي الأصغر بالخطر على ملكه ، أرسل إلى عامله على الزاب موسى بن العباس يستطلعه، فهوّن هذا الأخير من أمره ،ومن هنا بدأ الصراع بين الأغالبة والداعي أبا عبد الله ، بسبب موقف حاكم مدينة ميلة ، من الدعوة الاسماعيلية في أرض كتامة.

6 - فتح المدن

وكانت ميلة تحت حُكم موسى بن عيَّاش ، الذي اشتهر بعدائه لأبي عبد الله ، الذي كان يخاف على مركزه ،وكانت ميلة تُشكِّلُ مركزًا عربيًّا، في قلب بلاد كتامة البربريَّة،[1] ، أما الأُسر الحاكمة العربيَّة في المغرب كانت تُوالي السُلطة المركزيَّة في بغداد[2] ، لذلك كانت ميلة تشكل عائقا أمام انطلاق الدعوة إلى الخارج ، فشنَّ عليها الداعي حربًا وانتصر على حاميتها العسكريَّة، ودخلها سنة 289هـ/ 902م، وولّى عليها أبا يُوسُف ماكنون بن ضُبارة الأجاني.

وهكذا سقطت أوَّل مدينة أغلبيَّة مُحصَّنة في يد الدَّاعي لكن سُرعان ما استعادها الأغالبة مُجددًا، بعد أن هزموا جيش الدَّاعي في بلدة ملوسة[3]، واسترجعها جيش الداعي بعد ذلك .

وحالف النصر أبا عبدُ الله، عند اشتباك أتباعه من الإسماعيليين مع الأغالبة ، فتراجع الجيش الأغلبيّ بعد الهزيمة إلى سطيف، ثم استولى أبو عبد الله على سطيف، وهي أقرب مدينة مُحصَّنة من إيكجان بعد ميلة، وكانت مدينةً مُعرقلةً لتحرُّكاته العسكريَّة، وتُمثِّلُ قاعدةً لقوَّات العدو[4].(خريطة رقم 15)

وجاء الدور على مدينة «طُبنة» في طرف إفريقية، وهي قاعدة نهر الزَّاب الكبير، وواحدة من أكبر وأغنى المُدن الأغلبيَّة بعد القيروان، وعيَّن عليها عاملًا شيعيًّا هو يحيى بن سُليمان، كما فتح بلزمة[5]أيضا .

---

[1] الطالبي محمد ، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ،184ه-296ه /800م-909م ،نقلها إلى العربية المنجي الصيادي وحمادي الساحلي ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1995 م ,ص706 .

[2] الدشراوي، فرحات؛ ترجمة: حمَّادي السَّاحليّ (1994). الخلافة الفاطميَّة بالمغرب 296-365هـ / 909-975م (الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار الغرب الإسلامي. صفحة 99.

[3] القاضي النعمان، المصدر نفسه , ص138-137 .

[4] القاضي النعمان ،المصدر نفسه, ص 156-154 .

[5] القاضي النعمان ،المصدر نفسه ، ص 165-163 .

وبعد سقوط هاتين المدينتين، نجح أبو عبد الله في إرباك العدو، وفتح ثغرة في الحُصون الغربيَّة التي تحمي إفريقية، ولم يبقَ منها سوى حصن باغاية في أقصى إفريقية بين مجّانة وقسنطينة[1].(خريطة رقم 16)

وفي سنة 296هـ/ 908م، هاجم الدَّاعي وجُنوده مع أتباعه الحصن المذكور واستولوا عليه، ثُمَّ قصدوا الأربس وهزموا الجيش الأغلبيّ ،هزيمةً قاصمة ،ودخلوا المدينة عنوةً، فأصاب الهلع أمير إفريقية أبو مُضر زيادة الله الثالث ، فانسحب مع رجاله إلى القيروان وسوسة وبعض المُدن الأُخرى[2].

وعندما جاءه خبر هروب زيادة الله الثالث، وما حصل في دولته من الفوضى، تحرَّك أبو عبد الله بسُرعةٍ، باتجاه القيروان ورقَّادة واستولى عليهما، وأبطل ذِكر اسم الخليفة العبَّاسي في خِطبة الجُمعة (خريطة رقم17).

وبهذا انتهت الدولة الأغلبيَّة، وبالتالي سُلطة العبَّاسيين الإسميَّة والفعليَّة عن هذه البلاد ودخلت إفريقية في مرحلةٍ جديدةٍ من تاريخها[3](خريطة رقم 18).

7 - قيام الدولة الفاطمية:

وهكذا تمكن الداعي أبو عبد الله ، بالقضاء على دولة الأغالبة في إفريقية سنة 296هـ /908م، بعد حربٍ شديدة دامت خمس سنوات.

وبعد هذا النجاح بدأ العمل، على إصلاح النظام السياسي في إفريقية بعد الفوضى، التي نجمت عن انهيار الدولة الأغلبيَّة، فكان شديد الحرص على إقامة نظامٍ جديدٍ ،وإضفاء الصبغة الإسماعيلية على مؤسسات الدولة الجديدة، وجعل السُلطة في يده.

[1] الحموي، شهابُ الدين أبو عبدُ الله ياقوت بن عبدُ الله الرومي؛ تحقيق فريد عبدُ العزيز الجُندي (2012). مُعجم البُلدان، الجزء الأوَّل (الطبعة الثانية). بيروت - لُبنان: دار الكُتب العلميَّة. ص 325.
[2] الدشراوي، فرحات؛ ترجمة حمَّادي الساحليّ (1994). الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ / 909-975م (الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار الغرب الإسلامي. ص 157.
[3] ابن عذاري المُرَّاكشي، أبو عبدُ الله مُحمَّد بن مُحمَّد؛ تحقيق ومُراجعة: كولان وليفي بروفنسال (1995). البيان المُغرِّب في أخبار الأندلس و المغرب، الجزء الأوَّل (الطبعة الخامسة). بيروت - لُبنان: دار الثقافة. ص149.

فأمَّن الناس على حياتهم وأرزاقهم ومُمتلكاتهم، وأقرَّ عدَّة إجراءات لتهدئة وتأمين الخائفين ، الذين كانوا في مناصب عليا في الدولة الأغلبيَّة، فاطمأنَّ إليه الكثير من الرجال ودخلوا في خدمته، وأوصى دُعاته الكتاميين أن لا يُكرهون أهل السُنَّة على التشيُّع، وأن يستعملوا معهم الإقناع عوض ذلك، وكان يقول دائما: «إنَّ دَوْلَتُنَا دَوْلَةُ حُجَّةٍ وَبَيَانٍ، وَلَيْسَتْ دَوْلَةَ قَهْرٍ واستِطَالَةٍ، فَاتْرُكُوا النَّاسَ عَلَى مَذَاْهِبِهِم، وَلَا تُلْزِمُوْهُم بِاتِّبَاعِ الدَّعْوَةِ الهَادِيَةِ المَهْدِيَّة»[1].

كما عاش حياةً مُتواضعةً ، فشعر النَّاسُ أنه قريبٌ منهم، وأضاف عدَّة علامات عقائديَّة شيعيَّة ،كما أمر بأن تتضمَّن خِطبة الجُمعة الصَّلاة على الرسول مُحمَّد(ص) وعلى آله وعلى أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب وولداه الحسن والحُسين، عليهما السلام ، وزوجته السيدة فاطمة الزهراء، وأن يُزاد في الآذان عِبارة «حيَّ على خيرِ العمل»، وأرسل الرُسل إلى سلميَّة، يُخبرُ الإمام (عبد الله المهدي) بما فُتح من المُدن والأقاليم، ويدعوه للحُضور إلى إفريقية.

وفي تلك الفترة حدثت تطوّرات سياسية، دفعت الإمام عبد الله المهدي إلى مُغادرة مركز الدعوة في السلميَّة، فخرج منها مُصطحبًا معه القائم، وعددٌ من أتباعه، واتجه صوب المغرب.

ولمَّا وصلوا إلى سجلماسة ، أقاموا في ضيافة واليها مدة قصيرة ، قبل أن يُلقي القبض عليهم ، بعد أن اِكْتُشِفَ أمرهم[2] ، فلما بلغ الخبر أبا عبد الله خرج على رأس جيشٍ كبيرٍ، سنة 296هـ/ 909م، لتخليص عبد الله المهدي من السجن ، وتنصيبه على العرش، وفي طريقه فتح تاهرت ،وقضى على

[1] حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطميَّة في المغرب، ومصر، وسورية، وبلاد العرب (الطبعة الرَّابعة). القاهرة - مصر: مكتبة النهضة المصريَّة. (1981) ،ص 52.
[2] القاضي النعمان 1970, 154-156 .p

إمارة الرستميين، ثُمَّ تابع زحفه حتى وصل إلى سجلماسة من السنة سالِفة الذِكر[1].

اشتبك الجيش الإسماعيلي مع قوَّات والي سجلماسة ، وكانت هزيمةً فادحة لهذا الأخير، وفي اليوم التالي ، دخل الدَّاعي أبو عبد الله المدينة وأطلق سراح المهدي ورجاله [2]، مكث عبد الله المهدي مُدَّة أربعين يومًا في سجلماسة،[3] ، ثم توجَّه إلى إيكجان وأقام فيها. (خريطة رقم 19)

ثم خرج المهدي من إيكجان متوجها إلى رقَّادة وكان هذا سنة 297هـ/ 910م، واستقرَّ في قصر الصحن الذي كان الدَّاعي قد أقام به من قبل، وذُكر اسمه على المنابر يوم الجُمعة، ولُقِبَ بالمهدي أمير المؤمنين، وأبطل ذِكر اسم الخليفة العبَّاسي في الخِطبة[4] ، وهكذا نجح الإسماعيليّون في إقامة دولتهم في شمال إفريقية بأقسامها الثلاثة: طرابلس الغرب وإفريقية والزَّاب.

فاستقرت أوضاع الفاطميين في إفريقية، عملوا على توسيع دولة ملكهم لتضمَّ الجزء الآخر من المغرب أي المغرب الأقصى مُرَّاكش، فجاءت السيطرة على بعض أجزائه بعد نزاعٍ مع الحكام الأدارسة .

لكن الرياح جرت بما لا تشته السفن فقد تمرَّد بن أبي عافية على الفاطميّين بعد فتح المغرب، وحوَّل ولاءه إلى عبدُ الرحمن الناصر لدين الله، أمير الأندلس الأمويّ، لكن عبد الله المهدي أرسل ابنه «أبا القاسم» سنة 315هـ فتمكَّن هذا الأخير من استعادة سيطرة الفاطميّين على المغرب[5].

---

[1] ابن الأثير، عزُّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم مُحمَّد الشَّيباني؛ تحقيق: أبو الفداء عبدُ الله القاضي (1407هـ - 1987م). الكامل في التاريخ، ج6 ،(الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار الكُتب العلميَّة. ص597.

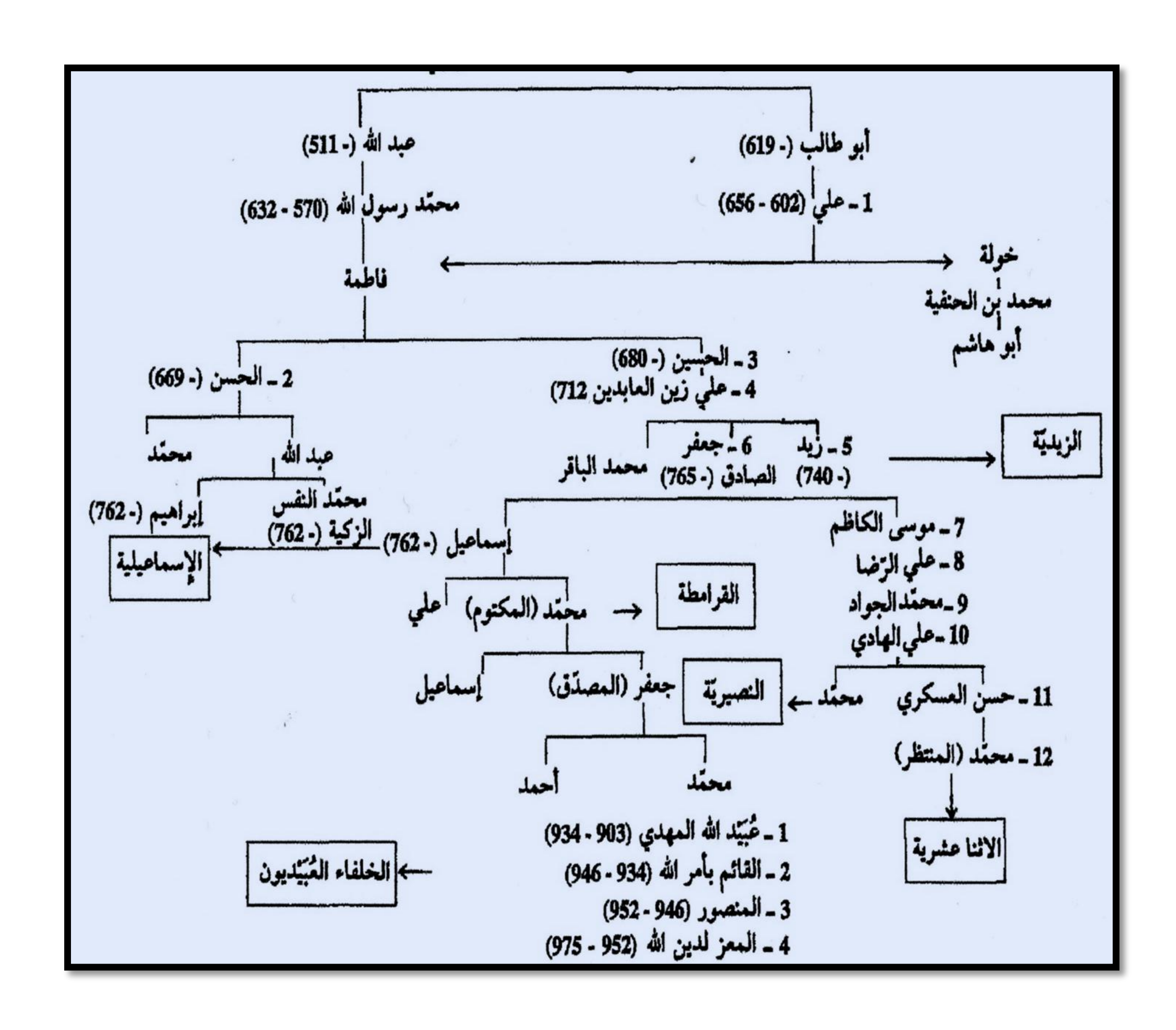
[2] القاضي النعمان 1970 ، افتتاح الدعوة، ص 239

[3] الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى؛ تحقيق: عُمر عبد السَّلام تدمُريّ (1990). تاريخ الأنطاكي، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا (الطبعة الأولى). طرابلس - لُبنان: جروس برس. ص 65.

[4] القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة تحقيق فرحات الدشراوي 1970، ,ص 245-254 .

[5] عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ص 264

لكن ثورات الخوارج وانتشارها الكبير في المنطقة ، كدرت من صفو الفاطميين ، فتوفيَّ خلالها عبد الله المهدي دون أن يحرز عليهم تقدما ، فورث عنه الحكم ابنه، أبو القاسم مُحمَّد القائم بأمر الله، واستمرَّ بمحاربة الخوارج، لكنه توفي هو الآخر سنة 334هـ دون تمكّنه من هزيمتهم، فخلفه ابنه المنصور بالله، الذي استطاع أخيرًا القضاء على ثورة أبي يزيد في سنة 336هـ ، وأسَّس مدينة المنصوريَّة بإفريقية وجعلها عاصمة الفاطميين ، لكن وفاته المنية سنة 341هـ، فخلفه ابنه المعز لدين الله، رابع الخلفاء الفاطميّين وأحد أهم حُكاَّم الدولة الفاطمية.



جدول الأئمة، والخلفاء الفاطميين الأربعة في المغرب

(عن المقريزي)

خلاصة

إن أهم ما أضر بالدولة الأغلبية، وكان سببا مباشرا في سقوطها يقول عبد الرحمن الجلالي، هو معاملتها القاسية للشعب، وأخذها له بالعنف والتضييق عليه في ضرب المغارم والأتوات الباهظة ، وإثارة مشاعره بالعصبية العربية والتعصب القومي، مع اتخاذ الجند المأجور الذي لا يتحرك إلا عن طمع وجشع فلا حمية دينية تبعثه ، ولا حفيظة أو حماسة وطنية تحفزه إنما هو أجير.

ويلاحظ على الدولة في قصر نفوذها، واكتفاءها في حكم المغرب الأوسط ، ببسط يدها على قسم من نوميديا الشرقية فقط ، مع سوء سلوكها مع أهل الزاب وبلزمة ، من إيقاعها بهم وإهلاكهم ، كل ذلك مما زاد الطين بلة وبدأ بنفور الرعية ، وهيجان قبيلة كتامة، والتعالي في تصلبها وتمسّكها بالدعوة الإسماعيلية.

وهناك من يقول أن سبب هذا التدهور، الذي لحق بالدولة الأغلبية بالمغرب ونجاح الدولة الفاطمية وانتصارها ،بما كانت عليه دولة العباسيين المهيمنة على العالم الإسلامي، من ضعف الذي لحق بجميع أقطارها وزوال نفوذ بغداد عنها ، وكذا ما كان عليه البربر المعروف عنهم حب القتال ، وما تعودّوه من العيش وفطرة التخلي عن النظام ، وكانوا متأهبين للمخاطرة بأرواحهم ،والإقدام بحماسة على ركوب متن الأهوال إذا اقتضى الأمر.

زد على ذلك الخشونة التي فطر عليها البربر، جعلهم أساسا يعتمد عليه أبو عبد الله ،بعد إثارة إعجابهم بآل البيت والمهدي .

ثم القضاء المبرم على دولة زيادة الله الثالث[1] ، والموقف الشنيع الذي وقفه هذا الأخير اتجاه والده وغالب رجال البيت الأغلبي ،وإراقة دماءهم ظلما وعدوانا، مقتديا بسلفه إبراهيم بن أحمد الأغلبي فيما كان الفاطميون يتقدمون سراعا، في مواقعهم الحربية منتصرين على خصومهم، فكان هذا كله فرصة لأبي عبد الله الشيعي للتحريض على العباسيين ، والتحضير لقدوم المهدي ،فتغلغلت العقيدة الإسماعيلية فيهم[2].

تجمّع الناس حول أبي عبد الله، وحاربوا زيادة الله بأربس[3] نواحي الكاف[4] بتونس ، وكان الفصل الأخير للأغالبة الذين انهزمت دولتهم.

وولّى زيادة الله هاربا إلى رقّادة ، مصحوبا بأهله وبعدها قصد مدينة بيت المقدس [5]، وبالتالي سقوط دولة الأغالبة .

لم تكن سلطة الأغالبة في المغرب الأوسط ، لتتعدى حدود قسنطينة ،وكانت عاصمة الأغالبة في ذلك الحين ، هي مدينة طبنة على نحو أربع كيلو متر شمال مدينة بريكة[6] .

ولما فتح الفاطميون طبنة كان بها أمير مسالة[7] ـ الفتح بن يحي[8] فقتل فقتل هذا الأمير على يد الشيعة ، وكان على بلد ميلة رجل من بني سليم يدعى

---

[1] زيادة الله الثالث: أو أبو مضر زيادة الله بن عبد الله هو الأمير الحادي عشر والأخير من الأمراء الأغالبة بإفريقية، تولى الحكم من عام 290 هـ \ 903 م إلى عام 296 هـ \ 909 م كان ذلك بعد مقتل والده أبو العباس عبد الله الثاني، وتوفي عام 916 م بفلسطين بعد أن هرب من الفاطميين ليستنجد بالعباسيين.

[2] عبد الرحمن الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ، ص 267.

[3] أربس:مدينة تقع في تونس

[4] الكاف: مدينة تونسية تقع في الشمال الغربي وهي عاصمة ولاية الكاف، تقع مدينة الكاف فوق آثار مدينة رومانية تعرف باسم "سِكّا فِنِيرِيَا" Sicca Veneria ومنها يتأصل اسم الكاف.

[5] بيت المقدس: هي ثالث أقدس الأماكن عند المسلمين بعد مكة والمدينة المنورة، وكانت تمثّل قبلة الصلاة الإسلامية طيلة ما يُقارب من سنة، قبل أن تتحول القبلة إلى الكعبة في مكة

[6] بريكة: هي إحدى دوائر ولاية باتنة الجزائرية ،ذات تاريخ هام وهي مدينة قديمة تمثلت أهميتها منذ قرون في طبيعتها وغناها بالمياه والحدائق والواحات واعتبارها مورد صخري لمختلف الانجازات العمرانية القديمة حيث كانت تنقل حجارتها حتى إلى قرطاج وهيبو عنابة، قال عنها الإدريسي: "تبنا في غرب اوراس هي مدينة رائعة كثيرة المياه تقع في وسط حدائق وحقول من القطن ومزارع الشعير والقمح, سكانها خليط من مختلف الشعوب، وتعمل في تجارة ناجحة. هناك الكثير من التمور والفواكه.

[7] مسالة: منطقة بطبنة التي فتحها الفاطميون على يد أبي عبد الله الشيعي .

[8] الفتح بن يحي: كان أمير مسالة على طبنة فقتله الفاطميون بعد أن فتحوا طبنة .

موسى بن العباس بن عبد الصمد[1] ، فقتل أيضا وولّى مكانه ماكنون بن ضبارة[2] ، وكانت ولاية سطيف لبني أسد بن خزيمة[3] ، وآخرهم علي بن جعفر بن عسلوجة[4] وأخوه أبو حبيب ، وكانت ولاية بلزمة في بني تميم[5] ومواليهم ، وكانت ولاية المسيلة وميلة لموسى بن العيآش[6] فقتل هو أيضا في غزوة لهاته المدينة .

وكان من أمراء كتامة لهذا العهد عروبة بن يوسف[7] ، وعلى باغاية هارون الطبني [8]، وكان على الزاب سالم بن غلبون[9] ،فقتله الأغالبة مع ولده ازهر، بسبب ثورتهما عليهم سنة 233 هـ847 م وكان من ولاة الزاب أيضا

[1] موسى بن العباس بن عبد الصمد: كان حاكما على مدينة ميلة قبل مجيئ الفاطميين ، فقتل بعد ذلك على أيديهم .

[2] ماكنون بن ضبارة: كان موسى بن عباس صاحب مدينة ميلة قد أسهم في هذا الغزو بنصف قواته وكانت من العوامل التي سهلت مهمة أبو عبد الله الشيعي، قام أبو عبد الله الشيعي بإسقاط ميلة وتعين والي جديد عليها يدعى أبو يوسف ماكنون بن ضبارة الأجاني الكتامي عم أبي زاكي وتوالت هزائم الأغالبة وانتصارات الفاطميين إلى أن دخل الداعية الشيعي القيروان واسقط الدولة الأغلبية سنة 298هـ -908م. ومن ثم نلخص القول أن ميلة كانت أول مدينة أغلبية تسقط في يد الفاطميين وانطلاق وبداية حضارة امتد نفوذها إلى الشام ومصر وبسطت سيطرتها على البحر المتوسط والأقاليم المجاورة.

[3] بني أسد بن خزيمة: ـ وسطيف سكنها قبل قدوم قبيلة عامر الرياحية الهلالية ، قوم من بني أسد بن خزيمة.قال اليعقوبي : " وبها قوم من بني أسد بن خزيمة عمال من قبل ابن الأغلب"ـ ومجانة وهي سهل شاسع في ولاية برج بوعريريج ، سكانها قبل قدوم القبائل الهلالية ، قبيلة السناجرة العربية وأصلهم من ديار ربيعة.
قال الشيخ مبارك الميلي : " ومن سكانها السناجرة أصلهم من ديار ربيعة، وهم جند السلطان. هدا ما وصفها به اليعقوبي والبكري، ويطلق اليوم اسم مجانة على سهل شاسع غربي برج بوعريريج."

[4] علي بن جعفر بن عسلوجة: كان حاكما على سطيف قبل مجيئ أبي عبد الله الشيعي، وهو من أصحاب سطيف.

[5] بني تميم: بنو تميم : منهم قبيلة الربايع في تونس وشرق الجزائر وهم (أي بنو تميم) موجودون بكثرة في الشرق الجزائري وخاصة بين عنابة وقسنطينة وأشهرهم عائلة البوني التي استقر جدهم الأول في بونة قادما إليها من الأندلس، وقد أنجبت هده العائلة العديد من العلماء الأجلاء ،كما سكن بنو تميم الكثير من المدن ومن بينها بلزمة التي قال عنها اليعقوبي : " أهلها من بني تميم ومواليهم، وقد خالفوا على ابن الأغلب في هدا الوقت."

[6] موسى بن العيآش: قال ابن الرقيق: كان سبب ذلك أن قيس بن أبي جرير من وجوه أهل ميلة وهم من ربيعة وكان رئيسهم يومئذ حسن بن أحمد ،فوصل إلى الشيعي سرا، وأطلعه على أمر المدينة، فتقدم الشيعي إليها وقاتل من بها وغلب على جميع أرضها ،فدخل جميع من كان بها إلى الحصن، ثم سألوا الأمان فأمنهم، ما لم يحدثوا حدثا، ففتحوا أبواب المدينة ودخلها أصحاب الشيعي، وخرج إبراهيم بن موسى بن العياش مع جماعة منهم في الليل ،فهربوا إلى إفريقية، إلى أبي العباس بن إبراهيم، فأخبروه بالخبر ، وضّعفوا عنده أمر الشيعي، وسألوه في إخراج عسكر إليه، وضمنوا أمره، فأمر بالحشد ، وجمع وجوه رجاله.

[7] عروبة بن يوسف: هو عروبة بن معارك الكتامي ويكنى بابن يوسف قائد ثورة على المهدي سنة 302 هجرية . حيث كان قبل هذا سرحه عبيد الله المهدي إلى المغرب في عساكر كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين، فدوخ المغرب الأدنى ورجع.

[8] هارون الطبني: جهّز زيادة الله العساكر مع هارون الطبني عامل باغاية فانتهوا إلى مدينة أزمول، وكانوا في طاعة الشيعي فهدمها هارون وقتل أهلها وزحف إليه عروبة بن يوسف من أصحاب الشيعي فهزمه وقتله. ثم فتح الشيعي مدينة ينجبت كلّها على يد يوسف الغسّاني ولحق عسكرها بالقيروان وشاع عن الشيعي وفاؤه بالأمان فأمّنه الناس، وكثر الإرجاف بزيادة الله فجهز العساكر وأزاح العلل، وأنفق ما في خزائنه وذخائره، وخرج بنفسه سنة خمس وتسعين ونزل الأربس أنظر تاريخ ابن خلدون.

[9] سالم بن غلبون: كانت ثورة سالم بن غلبون وقتله، وذلك إنه كان واليا على الزاب فعزاه محمد بن الأغلب. فأقبل سالم يريد القيروان. ثم عدل في بعض طريقه إلى الأربس مظهرا للخلاف، فمنعه أهلها من دخولها فسار إلى باجة فدخلها وضبطها فأخرج إليه ابن الأغلب خفاجة بن سفيان في جيش كثيف فنزل عليه وحاربه أياما، فهرب سالم بن غلبون في الليل، فاتبعه خفاجة فلحقه لما أصبح وقتله، وحمل رأسه إلى محمد بن الأغلب وكان ابنه أزهر محبوسا عنده فأمر بضرب عنقه .أنظر البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ابن عذاري.

أحمد بن سوادة[1] المتوفي سنة 260هـ 873م ، ويذكر بعض المؤرخين أن مناد مناد بن منقوش[2]، والد زيري عاهل صنهاجة، امتلك جانبا من إفريقية والمغرب والمغرب الأوسط _الجزائر _ مقيما لدعوة بني العباس، وراجعا إلى أمر الأغالبة .

وعليه نقول ،أن كل العوامل ساهمت في انهيار الدولة الأغلبية، وبروز الدولة الفاطمية ذات التنظيم والعزيمة، مستندة في ذلك على قبائل كتامة ذوو البأس والمراس الصعب ، الفاتحون الجدد للمشرق والحجاز وأرض الشام . (خريطة رقم 20)

[1] أحمد بن سوادة: هو ابن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محرث بن سعد بن حزام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وسالم بن عقال هو جد الأغالبة، وهو جد هؤلاء.
ولى أحمد هذا الزاب ثم ولى طرابلس وأعمالها سنين كثيرة، وله بها أخبار وآثار ووقائع مشهورة. وكان من الجنود بمكان رفيع، وهو أيضاً ممن قام بنصرة أبي العباس محمد بن الأغلب على أخيه أحمد، مع أخيه خفاجة بن سفيان وابن عمهما يعقوب بن المضاء، حتى ظفر به أبو العباس وانحفظ سلطانه. وكذلك قام أبوه سفيان بن سوادة بأمر زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في حروبه، وكان سبب ثبات ملكه.

[2] مناد بن منقوش: هو مناد بن منكوش بن صنهاج الأصغر بن أوسفاك بن جبريل بن يزيد بن أوصلي بن سمليل بن جعفر بن إلياس بن عثمان عثمان بن سكاد بن ملكان بن كرت بن صنهاج الأكبر كان زعيم قبيلة صنهاجة ، إبنه زيري بن مناد هو ملك صنهاجة والأب المؤسس لدولة بني زيري ، ترجع أصوله ومواطنه هو قبيلته إلى المنطقة الوسطى من المغرب الأوسط بين آشير و المسيلة و مليانة و الجزائر وغيرها من الحواضر وما حولها من المضارب أي الجزائر الحالية حيث مواطن قبيلته صنهاجة ، بنى مدينة آشير بالمغرب الأوسط حيث مواطن قبيلته وحصنها واتخذها مركزاً لحكمه، أنظر الفصل الرابع بالتفصيل.

ملحق الخرائط
للفصل الثاني



خريطة رقم 3 :أهم البلدان المغربية المذكورة في الافتتاح عن القاضي النعمان بتصرف



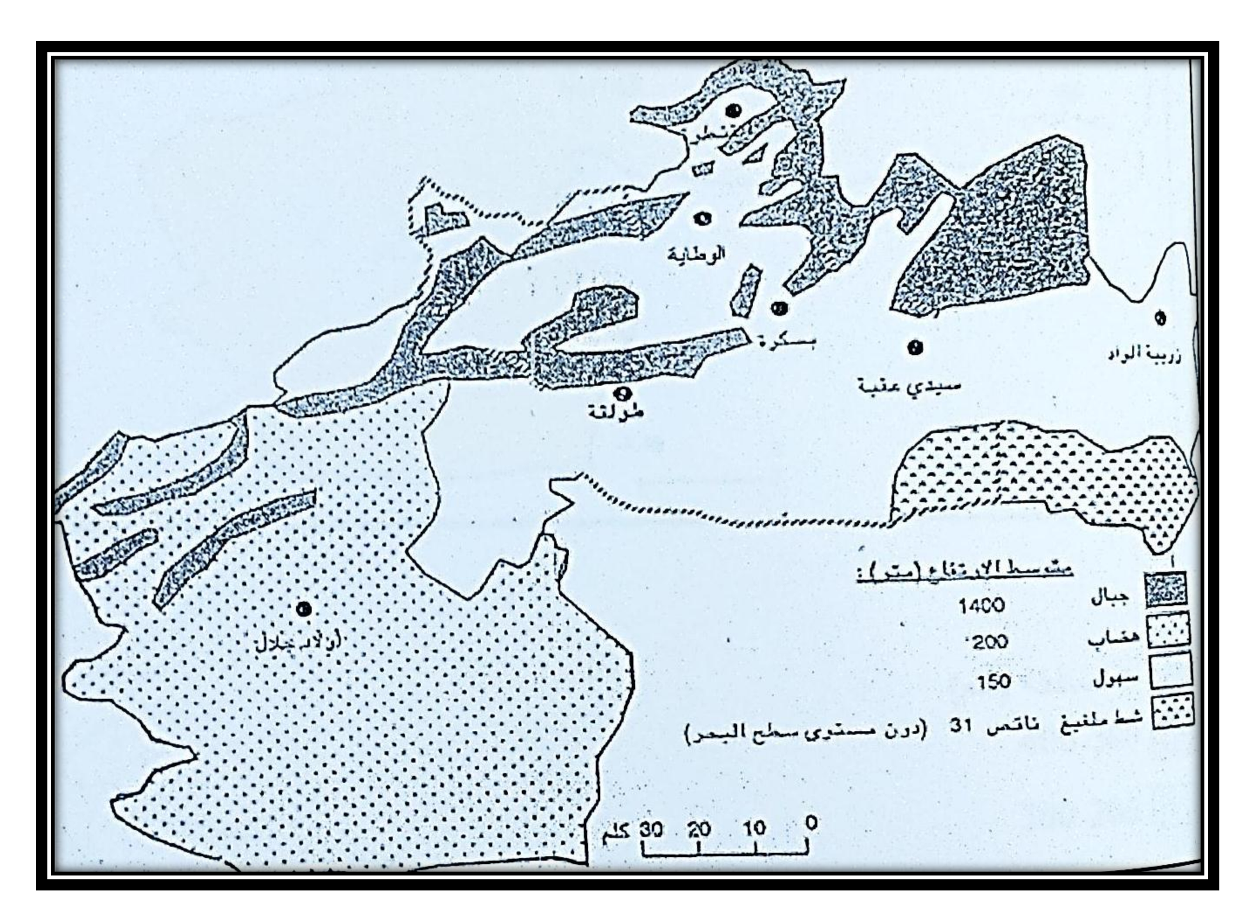
خريطة رقم 4 : إفريقية والمغرب الأوسط (ضمن دولة الأغالبة) حيث وجد المذهب الإسماعيلي موطأ قدم بين قبائل البربر عن الأطلس



خريطة رقم 5: دويلات المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الفاطمية عن الأطلس



خريطة رقم 6: دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وتوسعها في المغرب الأوسط عن الأطلس

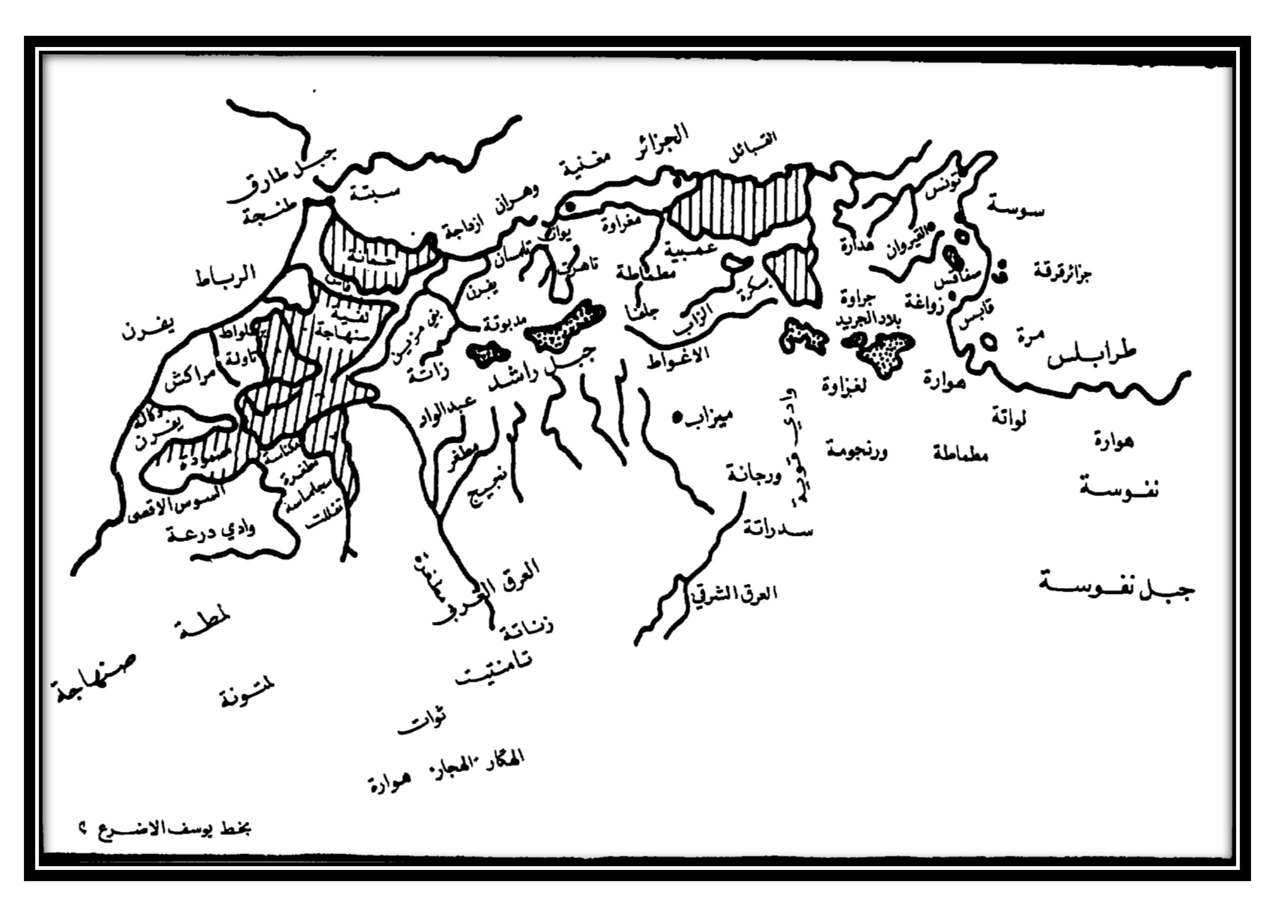


خريطة رقم 7: تضاريس إقليم الزاب (عن الخريطة الطبوغرافية لولاية بسكرة)

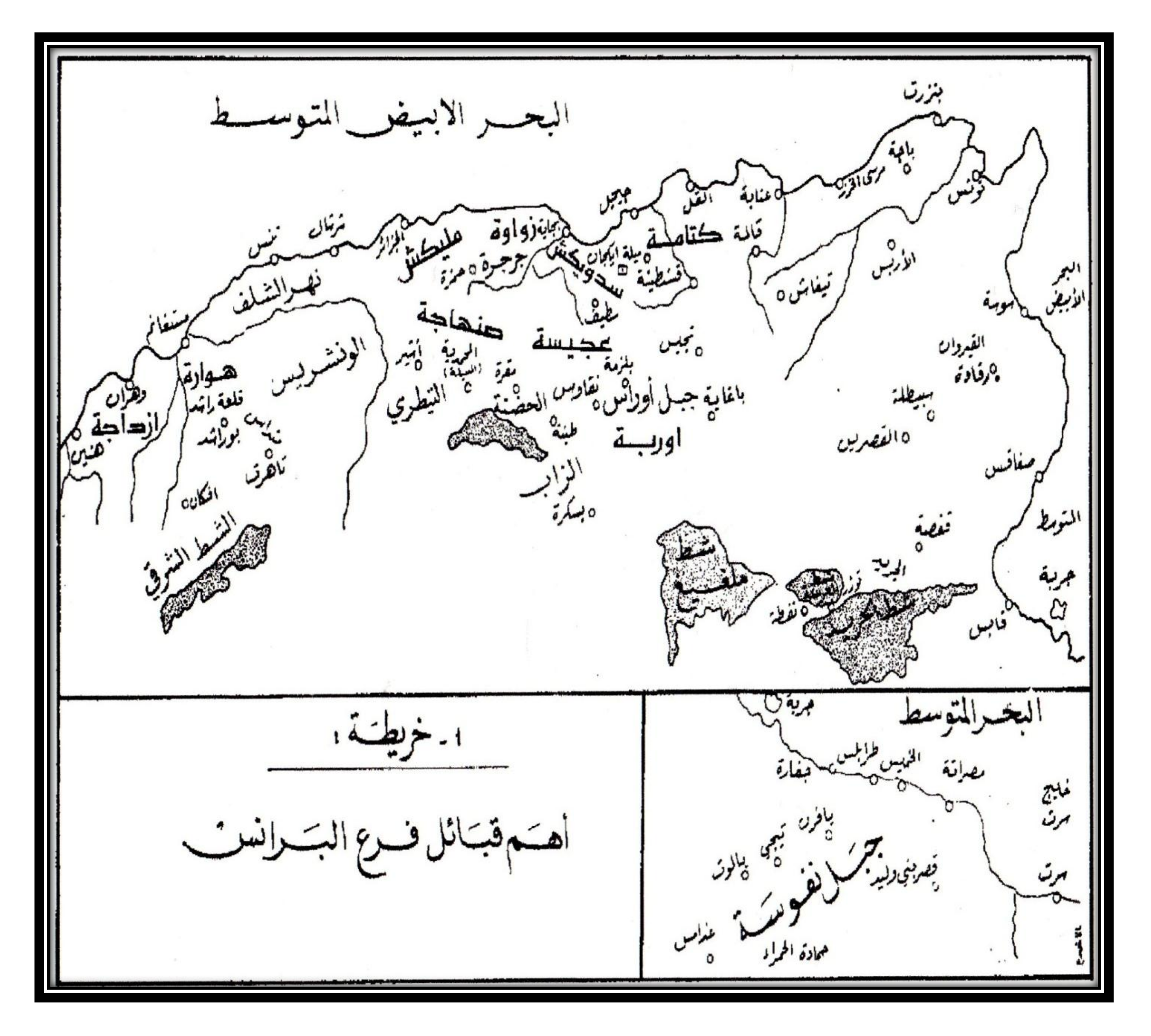


خريطة رقم 8 : أهم القبائل البربرية والعربية في بلاد كتامة وإفريقية

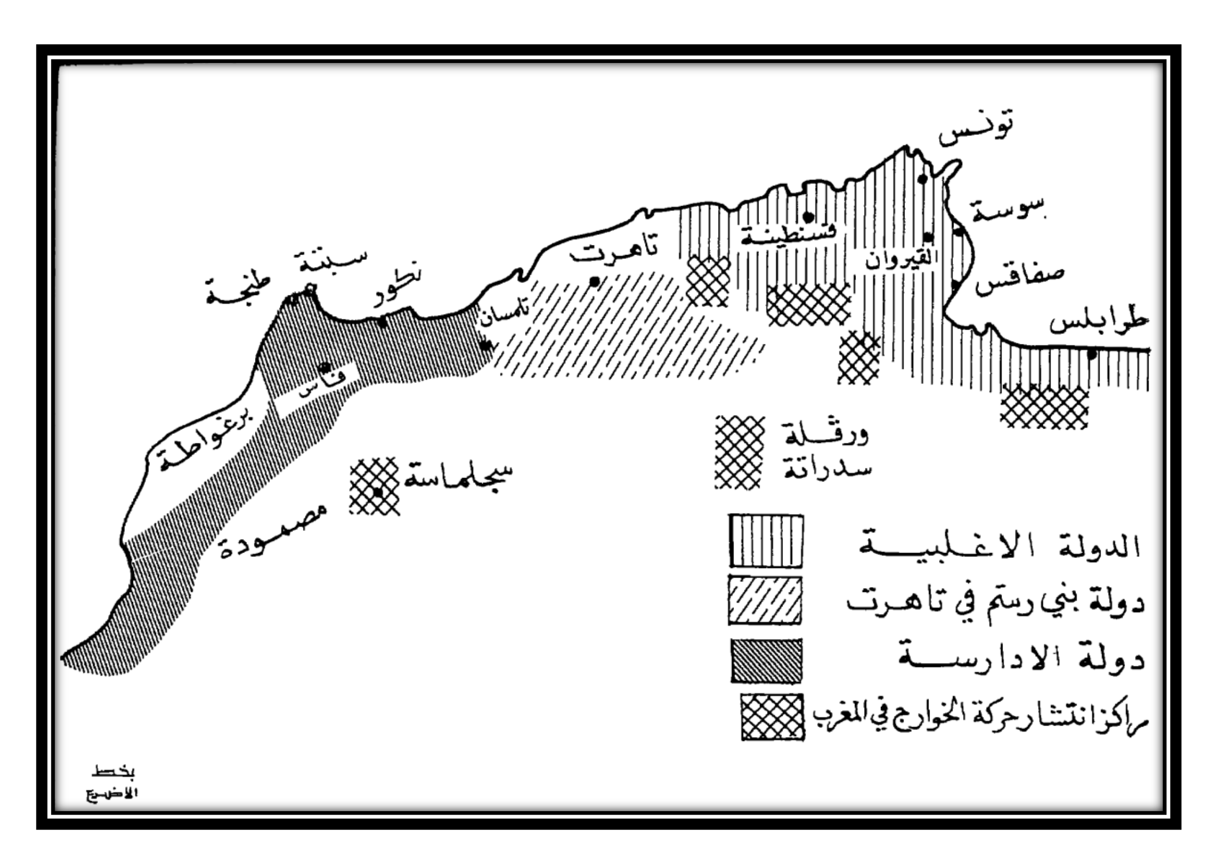
عن فرحات الدشراوي



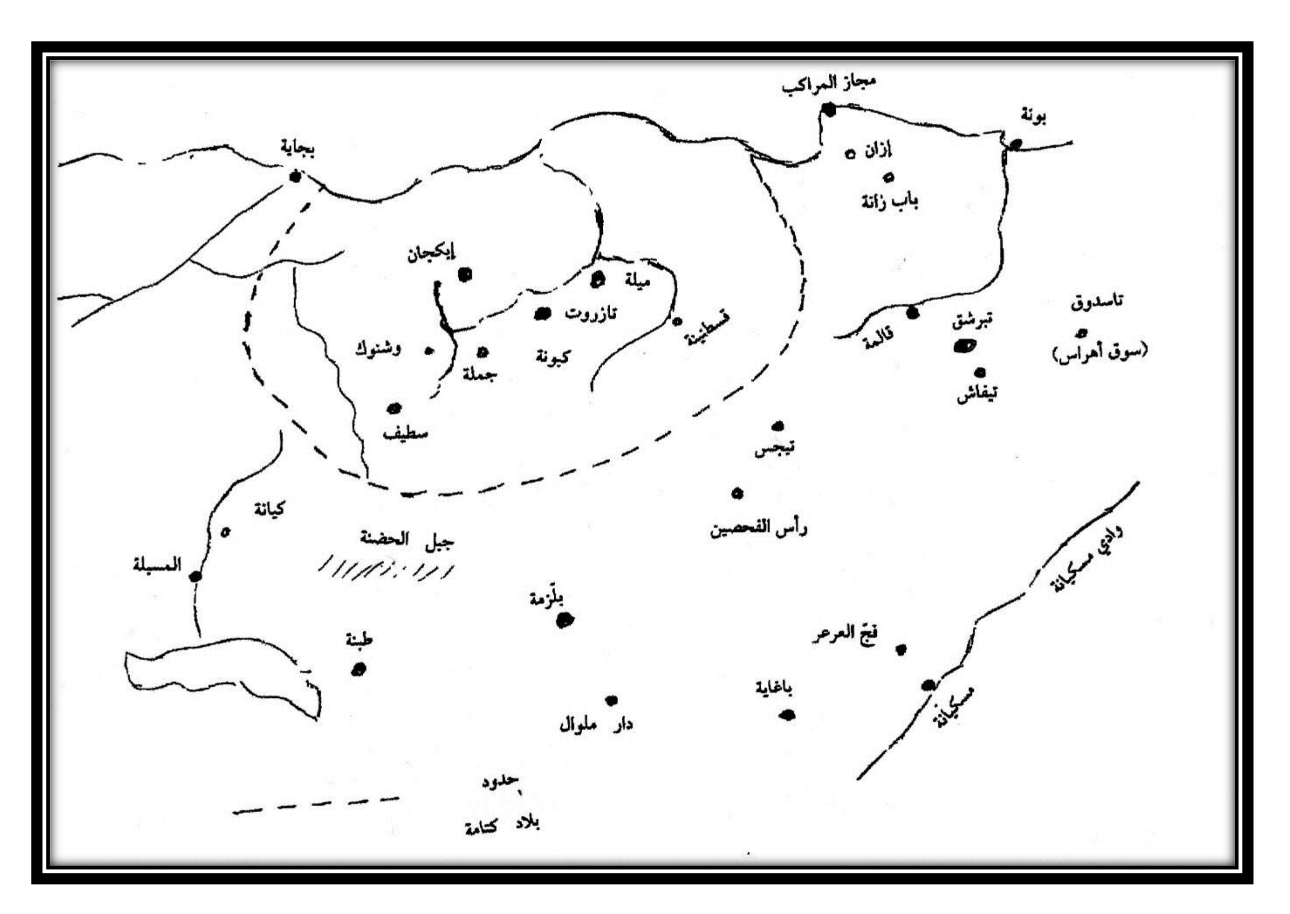
خريطة رقم 9:توزيع قبائل البربر في بلاد المغرب عن ابن خلدون



خريطة رقم 10 : أهم قبائل فرع البرانس (عن الدشراوي)



خريطة رقم 11: إمارات المغرب الإسلامي



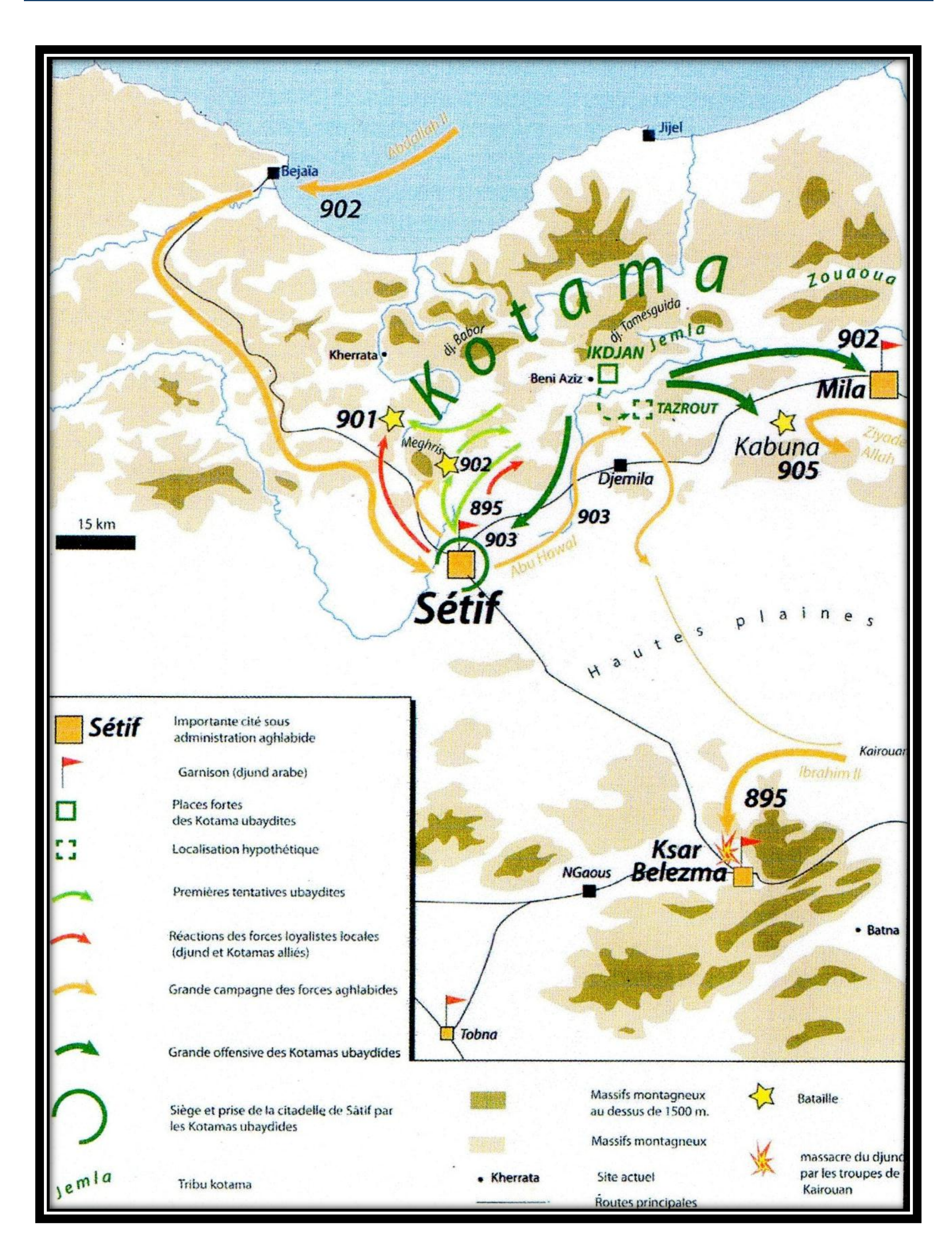
خريطة رقم 12 : بلاد كتامة عن فرحات الدشراوي



خريطة رقم 13: الدولة الفاطمية بالمغرب عن الأطلس

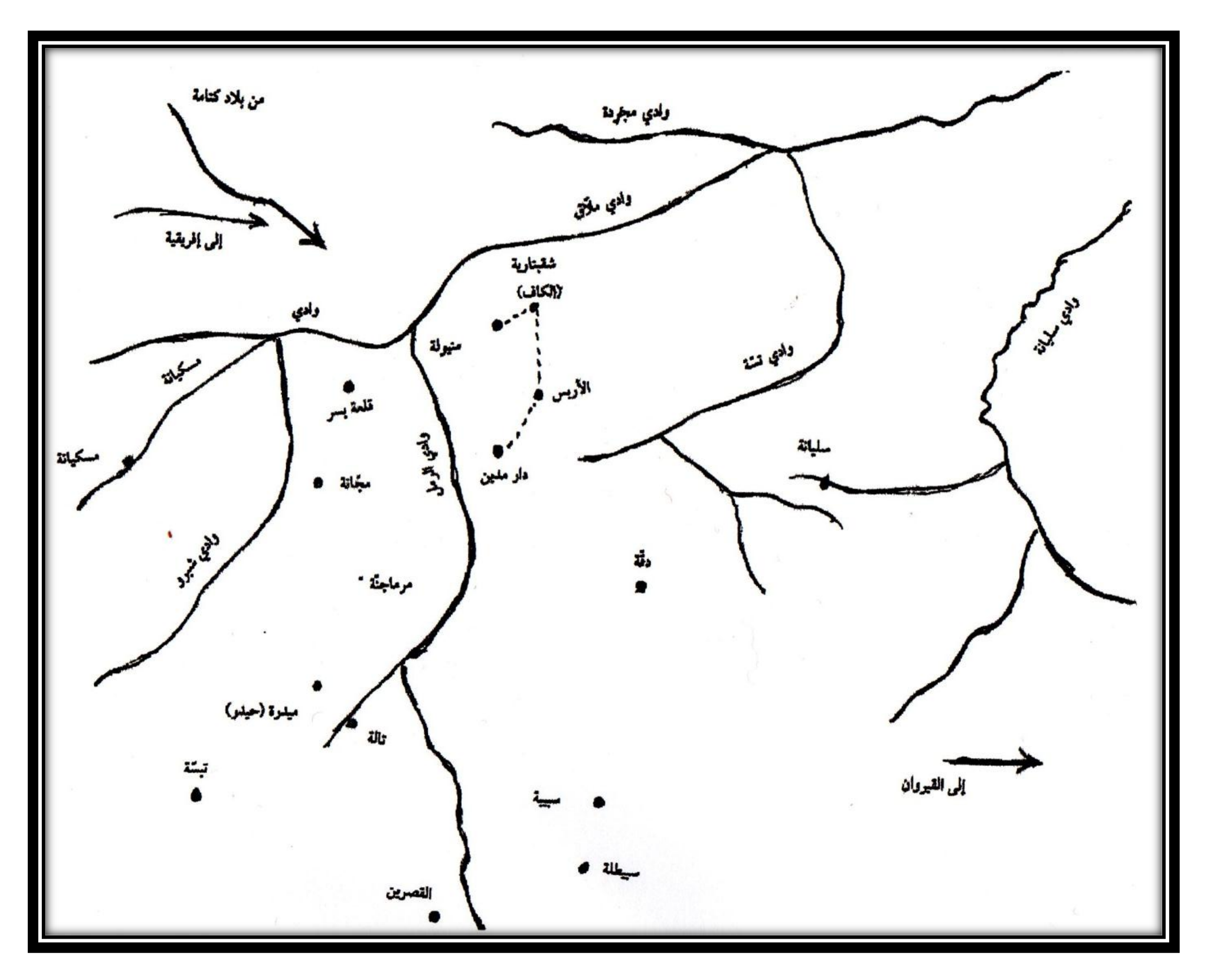


خريطة رقم14:الدولة الأغلبية وإمارات المشرق والمغرب الإسلامي

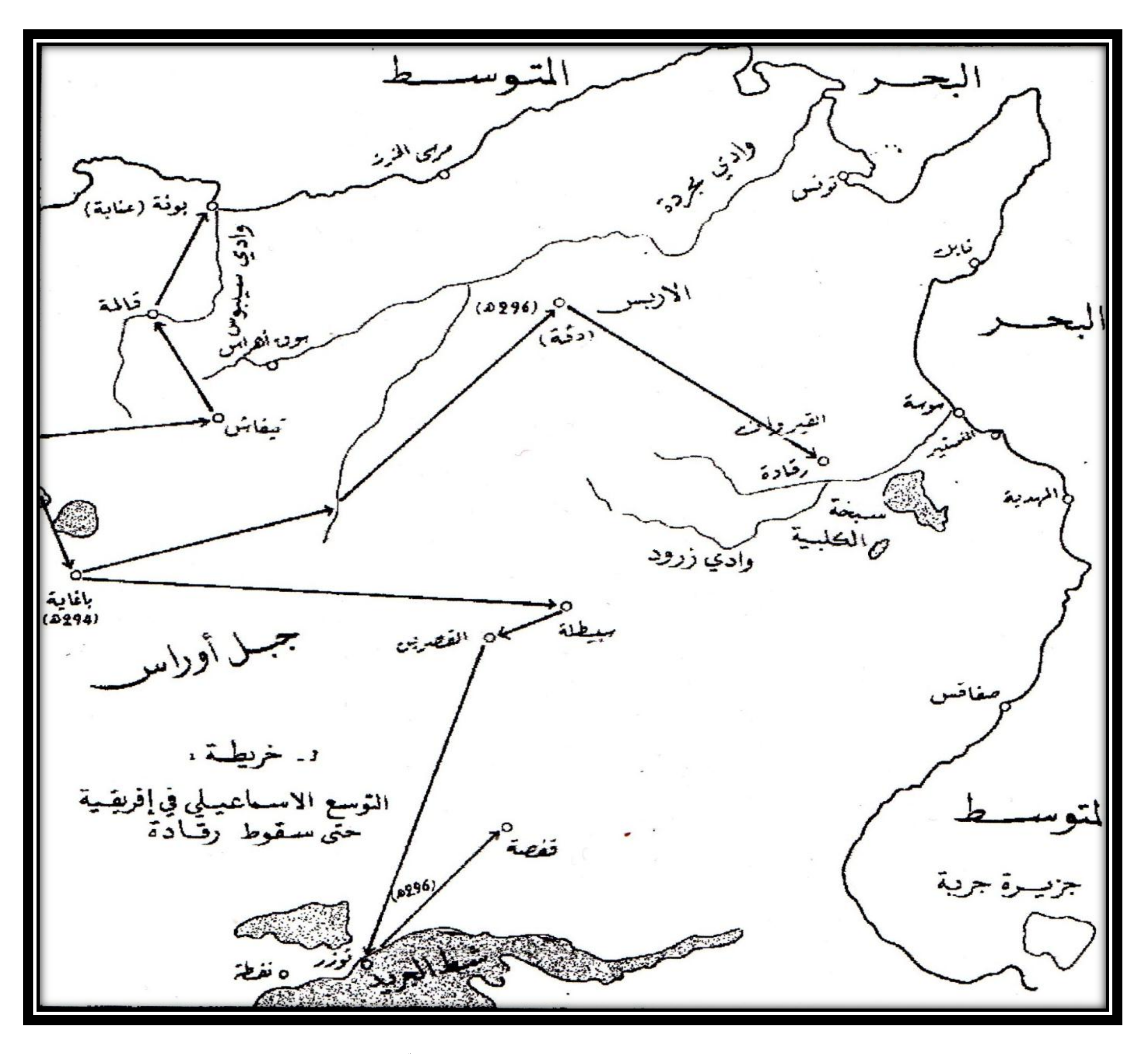


خريطة رقم 15:تحركات الجيش الفاطمي في المغرب الأوسط

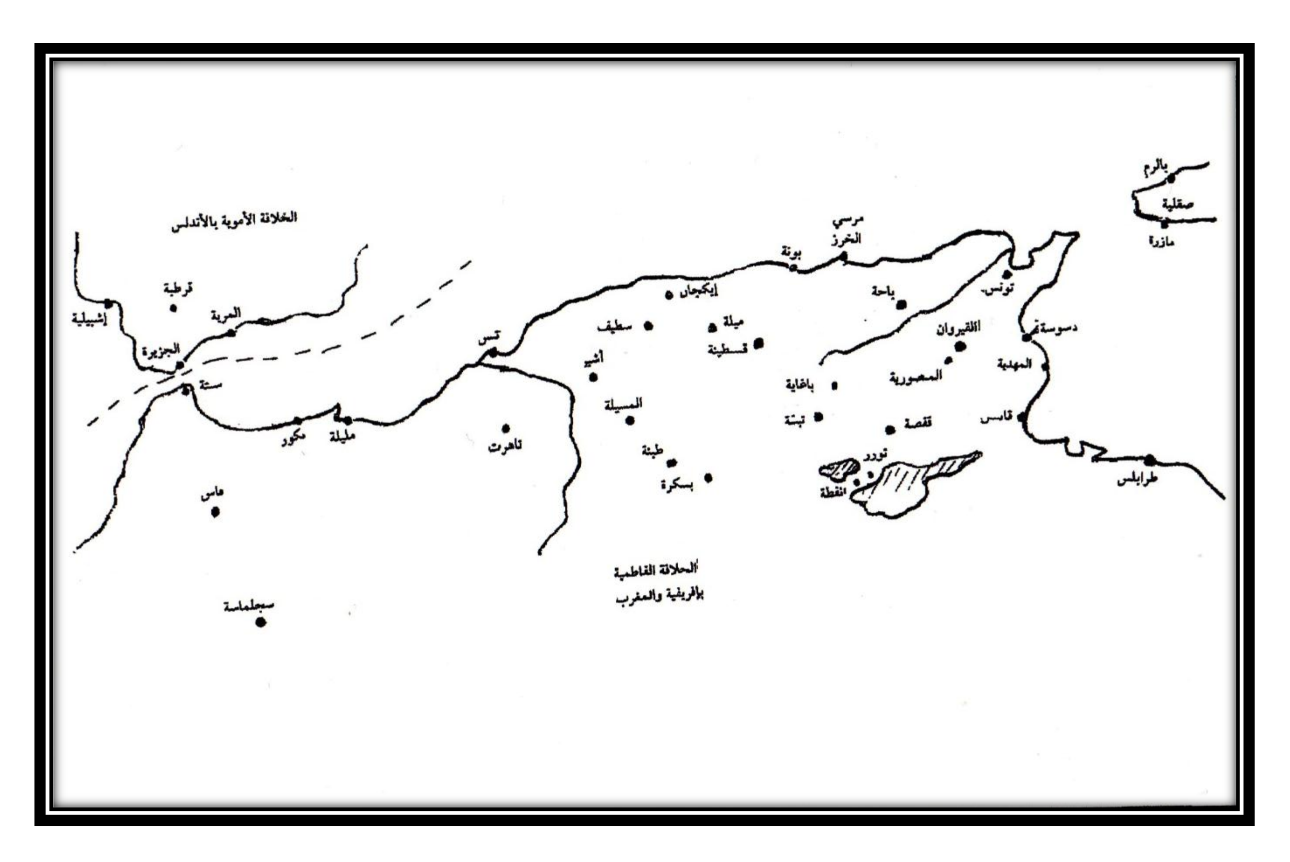
(عن شايب كريم الأطلس التاريخي)



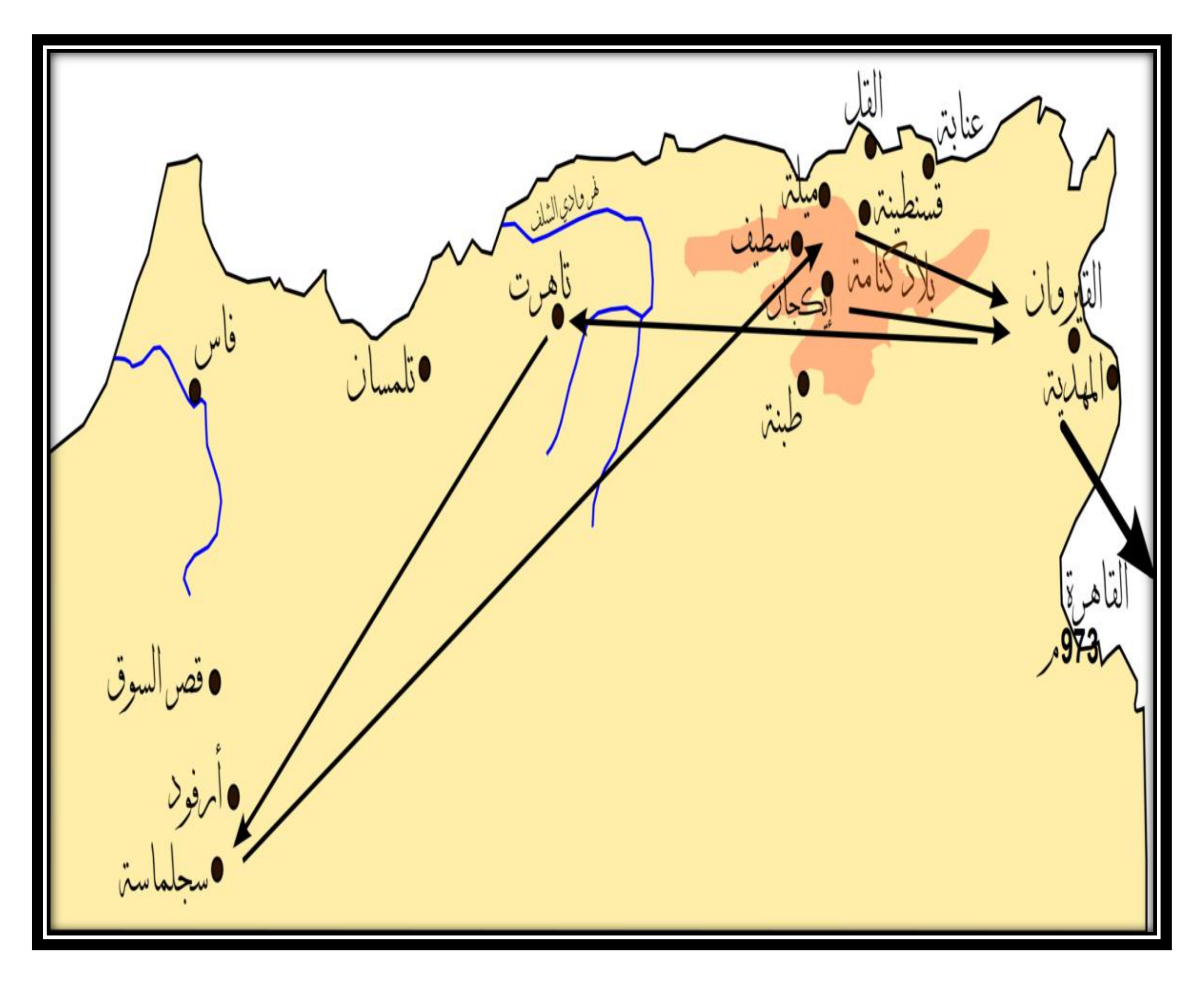
خريطة رقم 16 : من بلاد كتامة إلى إفريقية عن الدشراوي



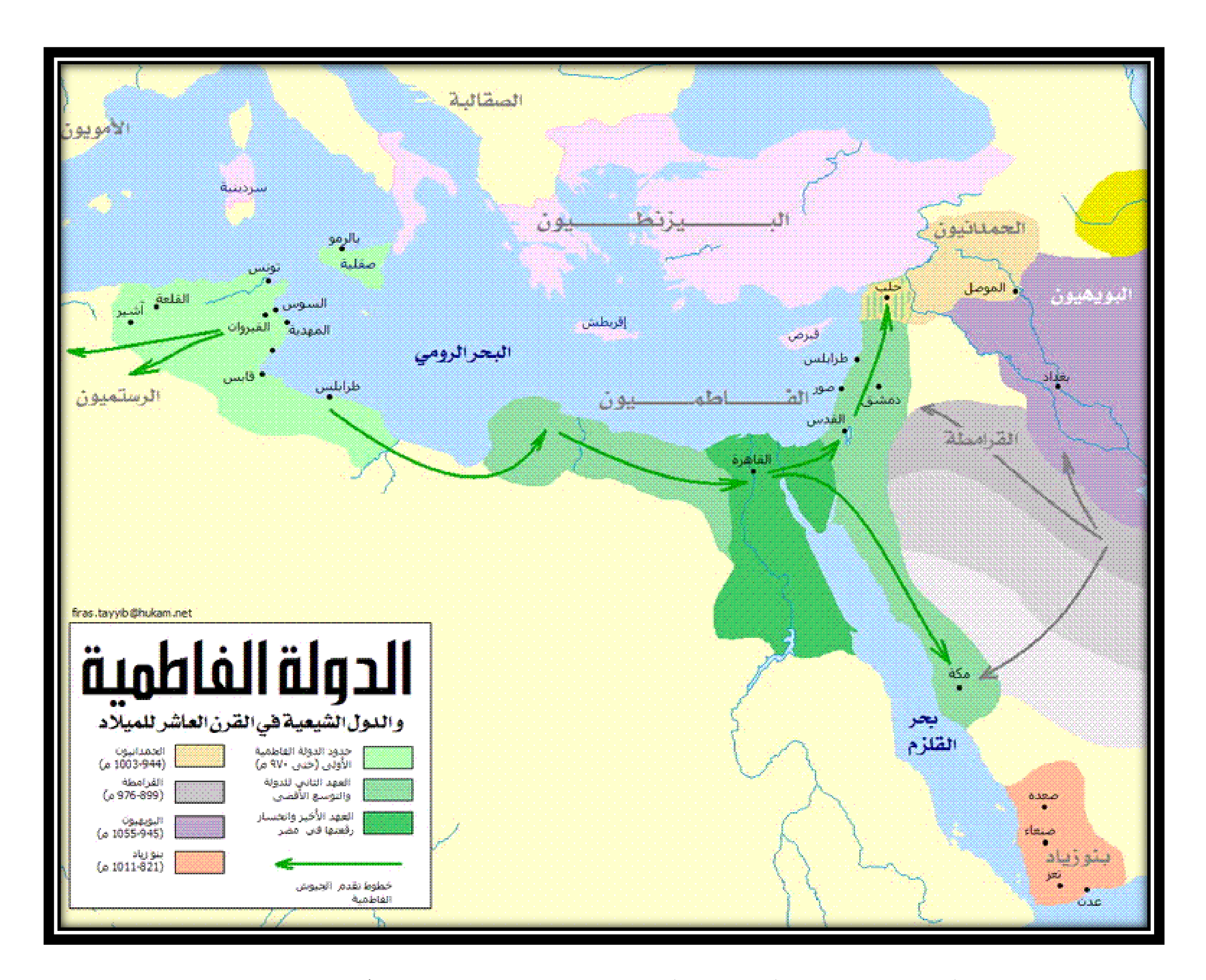
خريطة رقم 17: التوسع الإسماعيلي في إفريقية حتى سقوط رقّادة عن فرحات الدشراوي



خريطة رقم 18: الخلافة الفاطمية بإفريقية والمغرب (عن فرحات الدشراوي)



خريطة رقم 19: من بلاد كتامة إلى سجلماسة



خريطة رقم 20: الدولة الفاطمية توسعها وانحسارها عن الأطلس

الفصل الثالث

الفصل الثالث

العمارة الفاطمية في المغرب الأوسط من خلال كتاب افتتاح الدعوة وبعض المصادر ذات الصلة

- قلعة إيكجان
- دار الهجرة تازروت
- مدينة المحمدية
- المسيلة

تمهيد

لقد جمعت الدولة الفاطمية بين القوة العسكرية، المتمثلة في قبائل كتامة ذات البأس الشديد، والوفاء بالعهود ، ومن أرضها استمد الفاطميون سيطرتهم على المغرب الإسلامي برمته، وأنشأوا حضارة ضاربة في التاريخ، وبدأت الدولة الفاطمية تتشكّل على شبه إمبراطورية، أو بما يسمى الخلافة الاسلامية، فإذا كان المشرق تحت راية الخلافة العباسية، فإن الخلافة الفاطمية اتّسعت رقعتها، وبسطت نفوذها على الشام دمشق، فلسطين والحجاز واليمن، بالإضافة إلى المغرب العربي الكبير ، وقد عَمّرت الخلافة الفاطمية حتى سنة 567هـ 1171م.

وشهدت هذه الدولة ازدهارا كبيرا، سواء من الناحية العلمية والعمرانية، أو من الناحية العسكرية، وضُربت السكة باسم خلفائها ومدنها بالمغرب الإسلامي، المهدية بتونس، ومدينتي أشير والمسيلة بالجزائر.

كما ازدهرت التجارة ، وعرفت فيها الصناعات والحرف تطورا كبيرا، وما بقايا اللقى في متحف سيرتا إلا امتدادا تاريخيا بين المشرق والمغرب، وهمزة وصل حضارية من المهدية وأشير إلى القاهرة والأزهر، وهكذا كانت الحضارة الفاطمية من إيكجان إلى القاهرة.

ومن أرض كتامة برزت حضارة العمران الفاطمي، ذا منعة وقوة وتخطيط حكيم، قل نظيره في الدول الإسلامية.

وعلى أرضها أيضا كانت بداية الإنشاء، للتكوينات المعمارية الجديدة ، والتي أصبحت ذات صبغة سياسية واجتماعية ومذهبية ،آوت الداعي أبو عبد

الله الشيعي وأنصاره ،وأصبحت نقطة انطلاق لتشييد مدن وقلاع محصنة، في جغرافية مدروسة بعناية .

بعد المرحلة الدعوية لأبي عبد الله ،أصبح ملحا التفكير في المرحلة العسكرية ،فأنشأ أول قلعة محصنة جغرافيا في ناحية سطيف بني عزيز ، وهي قلعة إيكجان التي تعتبر كأول عاصمة للخلافة الفاطمية .

إن المنطقة المسماة بني عزيز وهي مقر لدائرة جبلية، الواقعة في الشمال الشرقي لمدينة سطيف، تحوي تجمعا سكانيا جميلا وهادئا يسود فيه انسجام ممتع، يدفع إلى التفكير بأن العزلة ليس لها فقط جوانب سلبية.

هي منطقة جبلية بامتياز، يُعْرَفْ عن سكانها احتفاظهم بتقاليد قديمة ،وهنا يعيش الناس من منتوج فلاحة جبلية، معيشية بالدرجة الأولى وسط محيط طبيعي ذي جمال أخاذ ،تستفيد من بيئة عذراء خالية من كل تلوث ،وحيث "وادي بورديم" يمتاز بمياهه الصافية، في وقت تفتك فيه شبكات مياه الصرف الفوضوية، مساحات فلاحية واعدة في أماكن أخرى .

1- إيكجان مهد الدعوة الفاطمية:

من جهة أخرى تتميز منطقة بني عزيز باحتضانها، رصيد أثري تاريخي، والتي توجد على بعد أقل من 7 كلم من مدينتها، الموقع الأثري لـ"إيكجان" الذي يضم العديد من الطبقات ،التي تشهد على حقب مختلفة عرفت مرور حضارات هامة ،نوميدية ورومانية ،وإسلامية وغيرها، (خريطة رقم1)

ومن خلال ثنايا هذا الصرح التاريخي الكبير انطلقت إرهاصات الدولة الفاطمية، مع نهاية القرن التاسع الميلادي ،بعدما استفادت بدعم البربر

الكُتّاميين، الذين أسسوا القاهرة وشيّدوا الأزهر الشريف ،كإحدى أولى الجامعات في العالم .

إن هذا العمق التاريخي، الذي تحمله هذه المنطقة المبهرة ببانوراما كبرى ،من الجبال التي تنفتح شمالا وعلى بعد ثلاثين كيلومترا جوا، على جيجل، ومن الشرق على قسنطينة وميلة ،ومن الجنوب العلمة، وجنوب غرب ولاية سطيف يقف المرء مندهشا عند ظروف وملابسات ميلاد الخلافة الفاطمية ، وهذه الإمبراطورية التي حكمت المغرب والمشرق .

2- من إيكجان إلى القاهرة:

الشمس الحضارية تطلع من الغرب لتضيئي الشرق، وتأخذ بكلّ ما وصلت إليه الحضارة المغاربية، لتغرسه غلالاً وظلالا وجلالا وتواصلاً بين المشرق والمغرب، ليتم التّلاحم والتناغم الحضاري، وترتفع أسس الأزهر وأسوار القاهرة الفاطمية، التي بناها المغاربة على ضفاف نهر النيل وجامع الأزهر الشريف، وهكذا يسكن المغرب العربي بكلّ عنفوانه الحضاري القاهرة، فمن هي كتامة وكيف بدأت الحضارة الفاطمية ؟

والمُلاَحَظُ أنّ الإخوة في المشرق العربي وعلى الأخص بمصر، كثيرا ما يقفزون على سلم التاريخ ، ويمسكونه من وسطه أو من الفصل الذي يتناولهم في كتاب الحضارة، دون الإشارة إلى التمهيد والتأسيس والبداية، وهكذا يجري مع الحضارة الفاطمية ،التي ولدت بالمغرب العربي وعلى الأخص بالجزائر، المكان الذي شهد ميلاد الدولة الفاطمية، وتم تقييده في سجّلها التاريخي بالمكان المسمّى بـ"إيكجان" والزمان 280هـ/893م، واحتضنت هذا الميلاد قبائل كتامة البربرية، وبفضل هذه القبائل استطاع

الفاطميون بسط نفوذهم على المغرب الإسلامي الذي كان تحت سلطة كلّ من الأغالبة والرستميين والأدارسة.

وهكذا أسس الفاطميون عاصمة الخلافة الأولى بتونس ،في عهد الخليفة الفاطمي الأول عبد الله المهد، وشيّد مدينته التي سمّيت باسمه "المهدية" ،والتي تمّ تأسيسها مع ميلاد الدولة (308هـ 920م)، كما رجحت بعض المصادر التاريخية انتساب أصولهم إلى السيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام وعلى رسولنا الصّلاة والسلام ،والفاطميون هم من فرع إسماعيل من جعفر الصادق، الذي أنجب الإمام الأوّل للإسماعيليين عبد الله المهدي .

3- إنجازات فاطمية:

لم يكتف الفاطميون الذين أسّسوا قلعة إيكجان ، ودار الهجرة تازروت ، ومدينتي المسيلة وأشير بالمغرب الأوسط (الجزائر) تحديدا ، كما أسسوا أيضا مدينة "المهدية" وكانت عاصمتهم، وشيّدوا فيها جامعهم بالمغرب الأدنى، (تونس) حاليا ، بل تعدوه إلى المشرق ، وكانت مصر هدفهم .

فلما قويت شوكتهم بالمغرب الإسلامي وتوطّدت أركان دولتهم، وشعروا بقوتهم، توجهت أنظارهم نحو المشرق فكانت مصر هدفهم، فجهزوا جيشا ضخما ، قوامه مائة ألف ما بين فارس وراجل، بقيادة القائد المحنّك جوهر الدين الصقلي، وعناصر جيشه غلب عليهم العنصر الكتامي ،وهذا ما جعل الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله ، أن يجعل لجوهر الصقلي نائبا من أعيان كتامة يدعى "جعفر بن فلاح الكتامي." فدخلوها فاتحين بعد حملات عدة باءت كلها بالفشل ،إلا الحملة الأخيرة على يد القائد الفذ جوهر الصقلي ،مؤسس القاهرة والجامع الأزهر.

➢ **قلعة إيكجان**

1 – الموقع الجغرافي:

تقع قلعة إيكجان في الشرق الجزائري على مسافة تقدر بحوالي 66 كلم شمال شرق مدينة سطيف ،وحسب التقسيم الإداري لسنة 1984م، (خريطة رقم 2).

فهي تابعة لدائرة بني عزيز، (خريطة رقم 3) ، فوق مساحة إجمالية تقدر بحوالي 231 كلم2، بكثافة سكانية تزيد عن 43000 ساكن، متمركزة على هضبة يبلغ ارتفاعها حوالي 983 متر[1]، يمر بمحاذاتها الطريق الوطني رقم 7، يسندها من الجهة الشمالية جبل سيدي ميمون والذي يبلغ ارتفاعه حوالي 1509م على مستوى سطح البحر ، وجبل سيدي الصالح مرزقان ، في جنوبها يوجد جبل بن دريس والجنوب لشرقي جبل جردة ، ناهيك عن قربها من جبل البابور[2]،(خريطة رقم 4).

ويتميز هذا الموقع بوفرة المياه ،وكثرة الينابيع ،والوديان ،يحيط بالقلعة وادي بو الكلاب ، وبقربها وادي بورديم اللذان يصبان في البحر ، وهناك أيضا العيون والينابيع ومنها عين أقادو على امتداد جبال البابور ،وعين الصفصاف وهناك أيضا عين المَكمَن بأسفل القلعة ،يتخذها السكان لسقي حقولهم لأنها دائمة الجريان [3].

[1] أرشيف الدائرة الأثرية ، ولاية سطيف ـ البرج ـالمسيلة ، التعريف بمدينة إيكجان الإسلامية ،
[2] المرجع السابق
[3] لقبال موسى ، دور كتامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1979م ،ج 2 ص 363.

وهناك أيضا عين الرحابة بالجهة الجنوبية ، وعين أخرى هي أنشام من الشرق وعين بورماد وعين لحمر من الغرب وعين المرّاء في الجنوب الشرقي من القلعة ، وهناك أيضا عين تسمى الأوقات.

دون إغفال السهول العالية والخصبة ، منها ظهر التين ، وتاشهودة ، وشعبة الزكار ،والمشوار وابن صالح[1].

كما أنها منحصرة في منطقة بها فجوج كثيرة ، أهمها فج أمسيد ، وفج الضباب ،وعلى مسافة منهما يوجد فج مزالة الطويل والمؤدي إلى ميلة والمعروف "بـ غار اجري "[2]

من هنا نستنتج أن القلعة كانت محصنة طبيعيا تماشيا مع كتب التراث الإسلامي التي تهتم باختيار المواقع للتخطيط لبناء المدن ، ولهذا اختارها أبو عبد الله عندما نزل بها ، "ونزل بإيكجان ، فأقام به ، وصدر عنه كل من كان معه من الحجيج من كتامة إلى مواضعهم "[3].

وعلى هذا القول يمكننا أن نقول أن قلعة إيكجان كانت محصنة طبيعيا كونها بنيت فوق هضبة عالية تحيط بها الجبال الشامخة [4]، وتميزت بمجموعة من الفجوج الصعبة التنقل فيها نظرا لضيق مسالكها ووعرة طرقها ، أضف إليها خيراتها ومياهها المتدفقة [5]، فقد اختارها الداعي بعناية بالغة لتكون حصنا منيعا ضد الأعداء المتربصين بالدولة الفتية[6] .

[1] لقبال موسى ،المرجع السابق، ص 364 .
[2] المرجع نفسه ، ص 360و 361.
[3] القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ، 49.
[4] ابن الأزرق أبو عبد الله الأندلسي (ت 896ه/1491م) ،بدائع السلك في طبائع الملك ، دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس 1977م ، ج 2 ، ص 764.
[5] ابن أبي الربيع شهاب الدين (ت272ه/885-886)،سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق عارف أحمد عبد الغني ،دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بدمشق 1996م. ص 101
[6] عزوق عبد الكريم وآخرون ، المراكز العمرانية الكبرى في المغربالأوسط ، مركز الفنون والثقافة ،قصر رياس البحر الجزائر،2007 ،ص42.

2- أصل التسمية:

تضاربت الآراء حول أصل تسمية إيكجان ، ومعنى هذا الاسم ، فهناك من يقول أنها ترجمة للكلمة البربرية إقجان ، والتي تعني باللغة العربية الكلاب ، ..مفردها إيقجون أو أقجون فقد يرجع اسم التسمية إلى اعتماد سكان المنطقة على الكلاب لحراسة منازلهم وممتلكاتهم ، كالأراضي ومخازن المؤن ، وذلك بوضعهم في الأماكن العالية المطلة على سائر النواحي .

ولا يزال إلى حد اليوم يطلق على الوادي المحاذي اسم وادي الكلاب الذي يجاوره أخدود يسميه السكان بشعبة الفرايس (الفرائس)هذه هي التسمية البربرية التي يطلقها السكان الحاليون للمناطق المجاورة لبني عزيز كبابور على الكلاب وهم يختلفون عن بربر قبائل زواوة الذين يسمون الكلاب بإيقجان .

قد يعود هذا الاختلاف لتأثيرات الشعوب التي أتت من المناطق القريبة من الساحل عن طريق البحر ، فطرأ تغيّر وتبدل في لغة سكان هذه المناطق .

وهناك من يقول أن إيكجان اسم حديث للاسم القديم تزاجان(Tzajjan) وهي محل اجتماع الحجاج من الأندلس وشمال المغرب الأقصى وفيها اتخذ الداعي دار هجرة ومركز اجتماع أنصاره البرابرة [1].

مع العلم أنه لم يرد ذكر مركز تزاجان في أي أطلس لحد اليوم ، ولقد ورد تفسير آخر لكلمة إيكجان وهو أنها مشتقة من اسم قجال إذ أن Massignon ذكر أن إيكجان تقع في الدوار الحالي لقجال التابعة للبلدية المختلطة للعلمة وأنها اتخذت اسمها خلال القرن التاسع عشر.

---

[1] حسن ابراهيم حسن المرجع السابق ص49

لكن إذا ما عدنا إلى الموقع الجغرافي لمنطقة إيكجان ومنطقة قجال فإننا نستبعد هذا التفسير حيث أن إيكجان تقع شمال مقر ولاية سطيف بالقرب من سلسلة الأطلس التلي (البابور) في حين تقع قجال جنوب مقر الولاية ضمن الهضاب العليا ، زد على ذلك تبعد بحوالي 54كلم عن سطيف في حين تبعد قجال بحوالي 12كلم فقط عن سطيف ، إضافة لهذا وبالرجوع إلى المحيط الطبيعي للمنطقتين فإيكجان ورد ذكرها في المصادر على أنها منطقة جبلية وعرة المسالك وهي على ما وصفت عليه بالفعل(صورة رقم 1و2).

غير أن وجود قجال على أرض مسطحة لا جبال فيها ولا أودية يؤدي بنا للجزم أنه يستحيل أن يختارها الداعي كدار للهجرة يتحصن بها ، فسطيف أولى حينئذ بالاختيار كون قجال ستقع في أيدي الأعداء بسهولة .

من خلال الاحتمالات الواردة الذكر سلفا وحسب المعطيات التاريخية والجغرافية وحسب الضرورة العسكرية ترجح أن يكون أصل التسمية يعود إلى الكلمة البربرية التي تعني الكلاب وبالتالي ضعف باقي الاحتمالات.

كما يقال بأن عبد الله المهدي ، قد عاصر سيدي مسعود الإدريسي الحسني القجالي ، مؤسس جامع قجال المعروف حالياً بزاوية بن حمادوش (زاوية قجال) الموجودة ببلدية قجال ،دائرة قجال ،ولاية سطيف ،والتي تقع جنوب شرق ولاية سطيف الجزائرية .

توجد قلعة إيكجان ،بمنطقة بني عزيز وقد كانت هذه المنطقة ، مهدا لقيام الدولة الفاطمية إحدى أكبر الدول في التاريخ الإسلامي، كانت تسكن بها قبيلة " بني سكتان "، إحدى فروع القبيلة الكبرى "كتامة " وهي أقوى القبائل البربرية وأشدها شوكة وأطولها باعا.

3- إيكجان القاعدة العسكرية للدولة الفاطمية :

اعتبرت إيكجان القاعدة العسكرية لدولة الفاطميين ،حيث كان الداعي الفاطمي ، يجيّش الجيوش ،ويبعث بالوفود إلى بقية القبائل ،وبذلك تعتبر ايكجان ،هي أول عاصمة للخلافة الفاطمية، في بلاد المغرب الإسلامي (المغرب العربي)، (خريطة رقم 5).

وبمكان القلعة التي يصعب الوصول إليها ،نظرا لتضاريسها الوعرة توجد بقايا أسوار وحجارة ضخمة، من المرجح أنها بقايا آثار بعض المساكن وكذا القصر، التي كانت تُكَوِن دار الهجرة الأولى في إيكجان[1].

كما أنها توسطت بساتين الزيتون، وتلفها مجموعة من الحقول وبالتالي فهي لا تظهر للعيان بسهولة إلا عند الاقتراب منها ،(صورة رقم 3).

ومظاهرها العمرانية متمثلة في بقايا سور القلعة، المنتشر في أماكن متفرقة يصعب من خلالها تحديد شكله الحقيقي، وهناك أجزاء كثيرة لا يظهر منه سوى الجزء العلوي، فهي مدفونة تحت التراب.

وأدت اللامبالاة وعدم الاعتناء إلى انهيار الجزء الأكبر منها إضافة إلى العامل البشري الذي ساهم بقسط وافر في تخريبها ،إذ أن سكان المنطقة اتخذوا حجارة القلعة للبناء الذاتي لبيوتهم وتسييج بساتينهم .

كما أن المنطقة ليومنا هذا لم تحظى بحفائر رسمية، رغم إقرار الجهات الرسمية، وتصنيفها كتراث ثقافي وطني بتاريخ 1978/11/20.

[1] لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ج2 ، ص 357-358.

4 - السور:

يمثل السور لأي مدينة خط الدفاع الأول[1]، لأي هجوم من العدو، لذلك وُجِب بناء السور المنيع لكل مدينة ، فالموقع الاستراتيجي للقلعة يكرس ما تناولته كتب الفكر العمراني، حول أهمية اختيار الموقع، يعكس الأفكار العسكرية ، حول أهمية التحصين لحماية المدينة وعمرانها[2].

حيث يؤكد ابن خلدون أن الحماية من المضار، يراعى لها أن يدور على منازلها جميعا سياج الأسوار[3].

وحتى الإسلام حث على بناء وسائل الحماية، للنفس والمال والعرض وتحصينها، فحرمتها من حرمة العقيدة الإسلامية، (صورة رقم 4).

أما المعماريون يرون، أن السور هو عبارة عن جدار عالي وضخم، يحيط بالبناء لصونه [4] ، وهو نوع من التحصينات الدفاعية الأولى يأخذ شكل حاجز ترابي، أو خشبي، أو حجري، يلتف حول المدينة أو القاعة، وامتداده على حدود الدولة.

وتتضح أهمية السور أثناء الحروب، أو الهجمات الخارجية، وهذا ما يتجلى في سور قلعة إيكجان ، بحيث يلاحظ وجود سور يحيط بها ،متخذا شكل هضبة، التي بني عليها ،وكأنها شبه دائرية.

فالقلعة على ما يبدو ، أنها كانت محاطة بسور دائري ،وكان شكله متلائما مع القلعة ، ولا ترى من تحتها سوى جروف ومنحدرات ، تؤدي

---

[1] الأيوبي هيثم ،الموسوعة العسكرية، ط2 ،دار الفارس ،بيروت 1990،ج4،ص458.
[2] عبد الستار (عثمان محمد) ،المدينة الإسلامية سلسلة كتاب الثقافة الكويت 1988 ، ص135.
[3] ابن خلدون، المقدمة، ص 383.
[4] رزق محمد عاصم ، معجم مصطلحات العمارة والفنون مكتبة مدبولي القاهرة 2000 ،ج4 ، ص 458.

بدورها إلى فجوج ، والأودية المحيطة بها ، وهذا ما يُصَّعِبُ حقيقة الوصول إلى المدينة[1].

ونظرا للعوامل الطبيعية والبشرية، للأسف لم يبق من السور سوى بعض الأجزاء هنا وهناك، ويبلغ طوله حوالي 2.25 م وارتفاعه حوالي1 م ،والملفت أن بعض الملاط الموجود الملتصق بالحجارة ،متطور أكثر عن الفترة القديمة[2].

وكلما تقدمنا كلما زاد علو السور أكثر، فنجده تارة في شكل كومة ،من الحجارة المتلاصقة ببعضها البعض ، جزئه السفلي مطمور تحت التراب ،طوله حوالي 11م وارتفاعه حوالي 1.25 م.(صورة رقم 5).

أما أكبر الأجزاء فهي السور الشرقي ،المحيط بالقلعة، وهو مبني بالحجر والملاط ، لا يقل عرضه عن 1.5 م ،وارتفاعه حوالي 2م ،وطوله حوالي 14.25 م، به فتحة في الأسفل يقال أنها مغارة، أو مدخلا لنفق يمتد أسفل المدينة ، يستعمل كدهليز لادخار بعض المواد ،أو ربما كان مستودعا للسلاح[3].

كما تتخلل السور بعض الفتحات في وسطه، يبلغ ارتفاعها حوالي 40سم، وعرضها 30سم ،وهناك سور آخر طوله حوالي 7.5 م ،وارتفاعه حوالي 1.40م ،ممتد من ناحية السور الشرقي، وهناك أيضا بقايا أسوار ،تقع داخل المنازل المحاذية للموقع.

[1] لقبال موسى ،، المرجع السابق ، ص369.
[2] د/عقاب محمد الطيب وآخرون ، تقرير خبرة حول الموقع الأثري للفترة الإسلامية بدائرة بني عزيز جامعة الجزائر 1999م
[3] عن أرشيف المركز الثقافي بدائرة بني عزيز

1) طريقة البناء :

نجد أن الطريقة المستخدمة في بناء هذا السور، هي طريقة الحشو (Incertum) ، أي توضع الحجارة تلقائيا ، وبشكل عشوائي وغير منتظم، ويضاف عليها الملاط كمادة لاصقة، والتجويف يُملآ بالحجارة المتوسطة والصغيرة الحجم، لتسد الفراغ .

ولولا الدور الذي لعبته إيكجان ،لما قامت الخلافة الفاطمية، كما كانت مركز لتجميع الأموال ،التي يتحصل عليها الداعي الفاطمي ،من خلال حروبه ضد مراكز الدول ، ولم تنقل تلك الأموال منها ،إلا بعد إعلان الخلافة الفاطمية.

2) مواد البناء:

أ - الحجارة :

هي من الأساسيات للاستعمال في البناء، نظرا لوفرتها وسهولة استغلالها، وبالتالي يمكن نقلها إلى مكان استعمالها، كمادة خام واستخدامها بكل أشكالها الطبيعية[1]، (صورة رقم 6).

ويبدو من خلال سور قلعة إيكجان ، أن الحجارة الكلسية هي الطاغية في البناء ، منها المشذبة وغير المشذبة (الدبش)[2]، وهذه الأخيرة استعملت بكثرة لصغر حجمها، وملئ فراغات التجويفات في السور ، أما الحجارة الكبيرة فاستخدمت لبناء الأساسات، لدعم السور ،نظرا لثقلها وتراوح حجمها ، ما بين 30 سم إلى 50سم ، وهذا كله لزيادة تأمين الحماية[3].

---

1 بن نعمان إسماعيل ، مدينة دلس دراسة معمارية وأثرية ، 10-13هـ/16-19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار، إشراف بلحميسي مولاي ،جامعة الجزائر1997/1996م ، ص 138.

2 الدبش: هو الحجر الغشيم الغير مهذب ،أنظر ابن منظور ابن فضل ، لسان العرب بيروت 1968 ، ص 43.

3 بن نعمان اسماعيل ، مدينة دلس دراسة معمارية واثرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار جامعة الجزائر ، ص 139.

ب - الملاط :

هو المادة الأساسية في البناء ، وهو المادة اللاصقة في تماسك الحجارة ،وبالتالي متانة الجدار أو البناء بشكل عام ، وهو عبارة عن خليط من الرمل والطينة ، مع إضافة الماء بطبيعة الحال ، ويُدعك جيد ويُضاف إليه الجير، وتفاعل المواد يؤدي إلى الصلابة ، وفي بعض الأحيان يُضاف إليه القرميد المكسور وعناصر نباتية كالقش ، وأخرى عضوية كالرماد، وهذا كله يقلص خصائص الملاط السيئة[1].

والملاط في حقيقة الأمر ،هو المادة الملونة التي توضع بين المداميك[2] لتزيد من تماسكها ، ويستخدم أيضا للطلاء عند الانتهاء من البناء.[3]

الملاحظة الأولى لسور قلعة إيكجان ،هناك نوعان من الملاط ، فاللون البني استخدم للصق الحجارة ببعضها البعض، في حين استخدم اللون الأبيض في تلبيس الحجارة.

5- البرج:

هو بناء ظاهر وبارز، سواءً كان ضمن السور او منفردا، وتعود كلمة برج الى Burgus السريانية الأصل وتعني الحصن ، وممكن أنها استخدمت للدلالة على الدعامات ، التي تسند الجدار[4] Butress .

ويعتبر أيضا عنصر حربي دفاعي ،و دائما ما يكون في مقدمة التحصينات والأسوار منذ القدم ، وهي عبارة عن بناء دفاعي بحت، استخدمها

[1] الباشا حسن ، موسوعة العمارة والاثار الاسلامية اوراق شرقية للطباعة لبنان 1999 ،ج2 ، ص144.
[2] نوار سامي محمد ، الكامل في مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية ط1 دار الوفاء مصر 2002 ، ص176
[3] المصدر نفسه.
[4] ابن منظور ابن فضل ، المصدر السابق ، بيروت 1968 ،ص43.

المسلمون إبّان الفتح الإسلامي حرصا على سلامتهم[1]، وهو أيضا عنصر ملحق بسور القلعة.

وهناك وجود كومة من الحجارة ، داخل السور بجانب المقبرة ارتفاعها حوالي 2.52م ،وطولها حوالي 1.22من المرجح انها عبارة عن برج مراقبة ، مبني بالحجارة المتلاصقة بالملاط في موقع مرتفع ، يطل على منحدر للتمكين من المراقبة الجيدة .

على ما يبدو أن قلعة ايكجان كانت محصنة جيدا بأسوار وأبراج دفاعية ،(صورة رقم 7).

6 - بقايا أثرية :

العمود له تسميات عديدة هو عمود في المشرق وشمعة في لبنان وسارية في المغرب ذو أشكال متعددة الدائري والمستطيل [2]، وظيفته تكون في دعم السقف او الجدار.

ففي موقع ايكجان كانت توجد عدة أعمدة في الأركان ويذكر موسى لقبال إلى أنها كانت قبل هذا الوقت أكثر ظهورا[3].

وتعددت الروايات لسكان المنطقة بخصوص عدة أسوار في وسط الموقع وتظهر جليا أنها عبارة عن بقايا جدران لمساكن أو منشئات أخرى اندثرت.

[1] رزق محمد عاصم ، معجم مصطلحات العمارة والفنون مكتبة مدبولي القاهرة ، ص34.
[2] عبد الجواد توفيق ، معجم العمارة وإنشاء المباني، القاهرة ،1985، ص 238.
[3] لقبال موسى ، المرجع السابق ، ص 368.

7- المقبرة:

هناك بداخل القلعة من الناحية الغربية مقبرة تعرف عند المنطقة بمقبرة سيدي علي البصري اقيمت على مجموعة من الحجارة لسور القلعة ويقال أنها لرجال الدعوة الأولين المقربين من الداعي أبي عبد الله الشيعي فتكت بهم الأمراض والحروب.

والمقبرة نفسها منتسبة إلى علي البصري الذي جاء من البصرة حسب الروايات.

والملاحظ أنها مليئة بالقبور الحديثة في حين طمست القبور القديمة نظرا لخلوّها من أي شاهد أو كتابات تذكر هوية أصحابها، والمؤكد أن القبور أقيمت على سور القلعة حديثا لأنه من البديهي في تخطيط المدن أن تكون المقابر خارج الأسوار وليس داخلها أو عليها كما في ايكجان.(صورة رقم 8).

8- اللقى الفخارية :

زيادة على المقبرة وجدت عدة قطع فخارية في المنطقة مختلفة الأحجام والأشكال والألوان منها الأواني والكؤوس والقِلال .

فالفخار بحد ذاته دليلا على الرّفاه والتطور، الذي بلغته المدينة وعلاقتها بالجوار لمعرفة انواعه وتقنيات صناعته[1]،(صورة رقم 9).

كما عثر أيضا بالمنطقة على مواسير مياه أو قنوات فخارية على عمق ثلاثة أمتار من الجهة الشمالية للقلعة ربما كانت تزود أهل القلعة بالماء للشرب كما عثر بنفس المكان على آبار قديمة مغمورة بالتراب بداخلها مادة زيتية يُعتقد أنها كانت مستودع لزيت الزيتون .

[1] عقاب محمد الطيب ، الاواني الفخارية الاسلامية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 ، ص99.

وعثر أيضا خارج القلعة من الناحية الجنوبية على بقايا أسلحة وجدت في الموقع قطع حديدية مختلفة الأحجام إن دل على شيء فإنما يدل على أنها قلعة عسكرية جُهزت لخوض الحروب والدفاع عن المدينة .

➢ **دار الهجرة تازروت**

1- الموقع الجغرافي :

تتوسط سلسلة جبلية بين أعالي وادي الرمال ، ووادي الرجّاص على بعد عشرة أميال من مدينة قسنطينة ،وتطل على كامل ضواحيها، من الشمال جبال ماوية وزواوة ،على مستوى فرجيوة حتى أعالي جبال بابور، من الجنوب على امتداد سهول عبد النور والتلاغمة ، وكذا سهول زمور، كما تظهر من بعيد جبال الاوراس[1].

وموقع تازروت حاليا ، تابعا إداريا إلى بلدية عين الملوك دائرة تاجنانت ولاية ميلة (خريطة رقم 6).

ويقال بعد استشارة أتباعه ، والحصول على الموافقة التحق أبو عبد الله الشيعي بتازروت مع أنصاره ، وسط استقبال حار من طرف قبيلة غشمان وزعيمها ،الحسن بن هارون الغشمي[2].

موقع تازروت الغير منعزل ، اختاره الداعي لقربه من حواضر كتامة ، مثل ميلة التي تبعد بحوالي 40 كلم من الجنوب الغربي ، وكذلك قربه من مضارب قبائل مسالة ، لوزة ، لهيصة ، ملوسة ، لوطاية ، التي رحبت بالداعي على غرار قبائل كتامة [3] ، (صورة رقم1)

فكان للداعي ما أراد من تنظيمات، وتعزيز الأمن في المنطقة واتسع نفوذه، وكثر أنصاره، وحصّن دار هجرته، وزاد من عديد جنده وعدته (خريطة رقم 6).

---

[1] L eclerc L : une inscription du kaf –Tazrout,Receil des notices et mémoires de la société Archéologique de la province de la Constantine 1864 .P.74 .

[2] القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 100.

[3] لقبال موسى ، المرجع السابق ، ص572.

لذلك لم يستطع تحالف المعارضين له أن يصمد طويلا عند محاصرتهم لقبيلة غشمان[1].

وقد أعدوا خطة بإشراك جميع القبائل المعارضة في فرض حصار عسكري واقتصادي على قبائل تازروت ، وقد اجتمع معارضون من سطيف وميلة وبعض حواضر كتامة ، وأحلاف من مزاتة[2]،(خريطة رقم 6).

لكن التحصين الجيد ، والتنظيم المتماسك، واستنفار الأنصار، حال دون إحراز أي تقدم بالنسبة للأعداء ، بل أصبح حافزا لتازروت ومن والاها بالهجوم على الخصم ، كل واحد على حدى والقضاء عليه[3] .

2- التسمية :

اختلاف المؤرّخين حول التسمية، أثار بعض التأويلات عن الموقع بحد ذاته، ذكرها النويري باسم تازرات ، أما المقريزي فسمّاها تاصروت ، وأشار إليها ابن كثير باسم ناصرون، لكن القاضي النعمان ذكرها باسم تازروت وهو الاسم الصحيح للكلمة ، حيث وُجِدَ الاسم منقوش على إحدى الصخور في المنطقة ، باسم Tazrout ترجع إلى العهد الروماني والتسمية بحد ذاتها ، ذات أصول أمازيغية ،ومعناها الصخرة الكبيرة[4]، (خريطة رقم 7).

3 - عمران دار الهجرة تازروت

بفضل ورعه، وحكمة تسييره، وتنظيم عمله، كان الداعي أبو عبد الله يحظى بمكانه مرموقة بين العامة، وأحبته القبائل البربرية ، فأقام العدل وطالب

---

[1] القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص109.
[2] المصدر نفسه، ص109.
[3] المصدر نفسه، ص115.
[4] L eclerc . L : op. cit, p ,74

من دعاته بمختلف الدوائر بالاستقامة ، مما جعل أتباعه ينصرونه عند كل حرب ، والذّود عن حركته عند كل اعتداء .

فغنم الغنائم وانتصر هو ومن معه ،فدبّت في حركته الدعوية الحماسة والتشجيع ، مما استوجب مرافقتها بإنشاءات عمرانية تتناسب والمرحلة التي وصلت إليها الدعوة الإسماعيلية أنذاك ، وظهرت معالمها في بناء القصر.

أ ـ القصر:

هو منزل أو بيت ملحق بمنشأة كبيرة ، قد يكون مستقلا وله مدخله الخاص ويمكن أن نطلق عليه قلعة أو حصن .

لقد بنى أبو عبد الله الشيعي قصرا بتازروت ،وسكنه بنفسه ومارس منه سُلُطَاتِه، وجعل للأولياء دورا حوله ،وارتحل إليه من كل ناحية المؤمنون[1].

وكان هذا القصر مكانا للسكن والعمل ، حيث كان بمثابة دار الإمارة يدير منها الشؤون العسكرية ، ويقدم النصائح الحياتية لقبائل كتامة عن المذهب الاسماعيلي .

ب ـ انشاء الدور والسكنات:

لم يكتف أبو عبد الله بالقصر فقط ، بل اقتطع بعض الأراضي، لأنصاره المهاجرين معه إلى تازروت بعوائلهم، وهَمّ في بناء الدور والمنازل لهم[2].

وربما كانت حتى الصخور بعد نقرها ، يمكن اتخاذها مغارات للسكن بها ، لأن المنطقة تكثر فيها الصخور الضخمة ، وأن هذا التصميم من البناء ، كان منتشرا في العصر الوسيط.

[1] القاضي النعمان ، المصدر نفسه ، ص109.
[2] القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 117.

ومن هنا نستطيع القول ،أن هجرة المؤمنين من أنصار عبد الله الشيعي إلى تازروت ، قد ساهم في التوسع العمراني للمدينة .

ج ـ السور :

يمكن اعتبار السور أنه من أهم المعالم العمرانية بالنسبة للمدينة ، كما تم استخدامه لعملية الخروج والدخول الى الموقع ،أو المدينة وهكذا كان يُصنف تخطيط المدن في العصر الوسيط .

فقد كان لمدينة تازروت سور يحمي أهلها من أي اعتداءات خارجية ، كما ذكر النويري أن الداعي لما تمركز بتازروت اتخذ لها سورا[1]،

كما جعل بمحاذاة السور خندقا ، ظهرت أهميته في الحرب مع القبائل المعارضة للدعوة[2].

نستطيع القول أن مدينة تازروت ، كانت الحصن المنيع لأنصار أبي عبد الله الشيعي ، وجميع من لجأ إليهم ،وكذا سكان قبيلة غشمان ،وكل ثائر أو خائف أو مترقب.

وبهذا أصبحت مدينة تازروت، قلعة عسكرية بحد ذاتها لتدريب الجنود، والذود عن الأهل ، وشن الحروب .ونشر الدعوة في كل ربوع كتامة وما جاورها ، وهكذا أضحت مدينة تازروت عامرة بالأنصار، مليئة بالخيرات ، ولها علاقات واسعة مع البلاد الأخرى[3].

---

[1] النويري ، المصدر السابق ،ج 28 ، ص 90.

[2] القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص110.

[3] لقبال موسى ، المرجع السابق ، ص 251.

وتذهب بعض الآراء ، إلى أن تاريخ تأسيس مدينة تازروت كان في نهاية حكم الدولة الأغلبية ،أو كأقصى حد في نهاية عهد عبد الله الثاني ،الذي تولى الحكم في 21 ربيع الأول 289هـ / 5مارس 902م[1].

رغم كل هذا الزخم عن تازروت ، إلا أن الداعي اتخذها مؤقتا لضرورة المرحلة ،ليعود مجددا إلى إيكجان [2]،بعد توّحد قبيلة جيملة والتفافها حوله ، ثم إن تازروت خاصة لم تعد منيعة بعد أن عَظُمت التحديات

، وخير مثال على ذلك أن أبا الأحول تمكن من محاصرتها وإحراقها بعد ذلك[3]، لذلك فضل أبو عبد الله العودة إلى إيكجان ، واتخاذها دار هجرة أصلية،(خريطة رقم 9).

[1] الطالبي محمد ، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ،184ه-296ه /800م-909م ،نقلها إلى العربية المنجي الصيادي وحمادي الساحلي ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1995 م ، ص699.

[2] مجاني بونة ، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي ، ص34.

[3] القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 138.

➢ مدينة المحمدية

1- الموقع الجغرافي:

بعدما انتهى الخليفة أبو القاسم محمد بن عبد الله المهدي من جولته ، في أنحاء الوطن للقضاء على الثورات القائمة ضده، تقدم يومئذ لبلاد مطماطة ، وهوارة ، ونواحي تاهرت ففتحها نهائيا ، وأوغل في التخوم إلى ما وراءها ، فكسر شوكة المعارضين هنالك[1].

ثم عاد إلى العاصمة المهدية، سالكا الطريق الكبير الذي يمر على الهضاب العليا والحضنة، لذا لم يغب عن ذهن أبي القاسم الأهمية الاستراتيجية للمنطقة ، نظرا لموقعها الجغرافي الهام ، الذي تتربع عليه من كل النواحي العسكرية ، الامنية ، والاقتصادية ، والزراعية ، والتجارية[2].

لقد أرادها أن تكون سدا منيعا بينه وبين عادية زناتة[3]،لأن إصرار هذه القبائل ،على الثورة لن تهدأ، إلا بوضع حاجز أمامها ،فهي قبائل معروفة بالعصيان ،والقوة ،وكثرة عديدها، وتنوع بطونها، كبني برزال ،وزنداج ، وهوارة ، وصدراتة ، ومزاتة[4]،كما عمل على تهجير بعض سكانها ، كبني كملان إلى فحص القيروان[5].

1 عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص290.
2 صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد ط 1 منشورات الحضارة الجزائر 2009 ، ص12.
3 عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع نفسه ، ص 291.
4 الادريسي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 254.
5 ابن خلدون ، العبر، ج7 ، ص11.

2- التسمية

المحمدية هي مدينة جليلة ،على نهر سهر[1]، مؤسسها أبو القاسم اسماعيل بن عبد الله ، وكان المكلف ببنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود الجذامي، المعروف بابن الأندلسي ،أمره ببنائها وتحصينها ويسميها المحمدية نسبة إليه ففعل[2].

➢ **المسيلة:**

هي مدينة محدثة أنشأنها الخلفاء الفاطميون، ولها نهر يمر من جهة الغرب ، ويغوص في الصحراء ، تقع شمال بسكرة أحدثها القائم بالله الفاطمي سنة خمس عشر وثلاثمائة[3].

كما يدل النص على أن المدينة ،تقع في الجهة الشرقية لوادي المسيلة ثم توسع عمرانها بعد ذلك ، ليصبح الوادي في وسطها ، واللافت أن سبب تسمية المسيلة بهذا الاسم، هو نسبة الى اسم الوادي ، الذي يقطعها فهو في الأصل يسمى نهر المسيلة[4] .

لقد أشار إليها الزبيدي بالقول "ومسيلة كسفينة مدينة بالمغرب وميم مسيلة اصلية وهناك من يقول مزيلة بحرف الزاي وهذه في الاصل اسم قبيلة بربرية [5].

وقد كان لابن خلدون زيارة لمدينة مسيلة من خلال جولاته الطويلة لأرض المغرب الاوسط، ووصفها وصفا دقيقا في قوله "وما بين هذه البلاد والجبال التي في سياج التلول، بسائط متلون مزاجها ، تارة بمزاج التلول وتارة

[1] صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد ط 1 منشورات الحضارة الجزائر 2009 ، ص12.
[2] ابن حماد ، المصدر السابق ، ص24
[3] أبو الفداء عماد الدين ، المصدر السابق ، ص138.
[4] دخان عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص20
[5] المرجع نفسه ص21

بمزاج الصحراء ، بهوائها ، ومياهها ، ومنابتها ،وفيها جبل معترض وسطها، وبلاد الحضنة حيث كانت طبنة ،ما بين الزاب والتل ، وفيها مقرة والمسيلة"[1].

1- الموقع الجغرافي :

المسيلة المختلطة أصبحت تقع في الحضنة الغربية ، جنوب غرب مقاطعة قسنطينة ،يحدها إداريا بوسعادة من الجنوب وسيدي عيسى من الغرب التابعة لمقاطعة الجزائر والبيبان والمعاضيد من الشمال وبريكة من الشرق وتضم المسيلة جزء من التل ومنطقة جبلية في الشمال الغربي ومنطقة سهبيه صحراوية ومنطقة رملية ذات كتل صخرية جنوب شط الحضنة [2].

2- تاريخ التأسيس:

إن مدينة المسيلة ، هي من أهم المدن التي شيّدها الفاطميون بالمغرب الأوسط، ناهيك عن موقعها الاستراتيجي خاصة فيما يتعلق بالجانب لعسكري[3].

وسُميت بعد تأسيسها بمدينة المحمدية، وتم إنشاءها سنة 313هـ، وهناك تضارب في الأقوال، حيث يُرَجَح أن هذا التاريخ هو تاريخ الشروع في الإنشاء، وأن التاريخ الحقيقي الذي تم فيه بناءها هو 315هـ:

وقد أشار إليها عبد الرحمن الجيلالي قائلا : "وفي منصرفه إلى قاعدته ـ أي الخليفة أبو القاسم محمد بن عبد الله المهدي ـ مر في طريقه على وادي سهر فاعجب بهذا المكان الذي كان يسكنه يومئذ بنو ملكان من بطون هوارة فأمر بنقلهم إلى فج القيروان وأخذ رمحه فاختط به في ذلك المكان مدينة المسيلة وهو راكب على فرسه وقد كان ذلك اليوم الأحد 9 صفر سنة 315هـ/ابريل 927م، وعهد بالقيام على بنائها والوقوف على تحصينها

---

[1] ابن خلدون تاريخ العبر ج 6 ص132

[2] Archive Département de Constantine ;rapport Administrateur ,1937 .

[3] حساني مختار ، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية ،ج1 ،دار الهدى الجزائر 2011 ص 104.

وتحسينها الى أحد قادته المشهورين أبي الحسن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي"[1].ولما تم بناؤها نسبها الخليفة إلى نفسه ودعاها باسمه "المحمدية "[2].

وكان علي بن حمدون ممّن صاحب أبا القاسم في حملته على المغرب، ولما انتهت الأشغال من البناء والتعمير بالمحمدية سنة 317هـ/931م جعله واليا عليها[3].

كما وجه عبد الله المهدي الى ابن حمدون ، ابنه جعفر وأمه فاجتمع شمل العائلة في المدينة الجديدة .

وبقي ابن حمدون وفيا للفاطميين، بعد بناء المدينة وتحصينها فأصبحت قاعدة عسكرية دفاعية ،وسيفا مسلطا ،في وجه الخصوم وكذلك مستودعا للحبوب وأنواع المؤن ، إلى أن هلك في ثورة أبي يزيد[4] بن كيداد المخلد.

3- مخطط المدينة:

الموقع الاستراتيجي في جغرافية المدينة ،أهّلها لتكون مدينة حيوية عبر العصور ، (خريطة رقم 10).

وهي ترتكز على مصدرين مهمين هما: التربة الخصبة ،والمياه الجارية فأصبحت بذلك مدينة عظيمة ، فعززت مكانة الدولة الفاطمية بالمغرب، بمكاسبها الاقتصادية ، والتي انعكست إيجابيا على الجانب العمراني آنذاك .

إذاً فمكان التأسيس والاختيار، كان ضروريا من طرف مؤسسها، نظرا للظروف الأمنية التي تحيط بها ، خاصة وثورة المعارضين كانت قوية،

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج1 ، ص 291.
[2] المرجع نفسه، ص 291.
[3] النويري ، نهاية الارب ،ج 28 ، ص113.
[4] المصدر نفسه، ج28، ص113

ومستمدة من بعض القبائل الكبرى، المستقرة في منطقة الحضنة وما جوارها، والشيء نفسه في مناطق المغرب الأوسط[1] ، فقد حرصت الدول في تخطيط المدن ونشأتها ، وفقا لأهدافها ضمن استراتيجية سياسية ، وعسكرية، والأحداث المحيطة بها ، (صورة رقم 14).

وبهذا نجد أن المدينة تمتعت بخصائص كبيرة، مكّنَتْها لتكون قاعدة من قواعد المغرب الأوسط ، خلال القرن 4هـ /10م ، نظرا لمدى الدور الذي مثلته في المجال السياسي ، والعسكري ، للدولة الفاطمية بالمغرب[2].

وقد جرت العادة عند الأمراء والقادة المسلمين، في تأسيس المدن أن يكون الإنشاء على أرض بكر، كما هو الحال في الكوفة، والبصرة، والفسطاط، والقيروان ، وتاهرت ، وفاس[3].

وعندما أمر القائم ، ببناء المدينة شارك في اختيار الموقع والموضع وكذا التصوّر العام للمدينة، بحيث أن المدن تختلف في وظائفها التي ترتبط بها، والخاصة بها فيما بينها .

وكذلك ظروف نشأتها ، ونوعية موقعها، وكل هذه الأمور لعبت دورا مهما، في تطوّر المدينة ، لتصبح العاصمة الجهوية للفاطميين[4].

فإذا كان اعتماد مخطط المدينة. يعني الشكل الذي تبدو عليه، من خلال انتظام الشوارع، والميادين، والتجمعات السكنية، وفق نظام معيّن لتكون مدينة ذات شكل حضاري، يختلف عن المدن الأخرى.

[1] قرمان عبد القادر ،مدينة المسيلة النشأة والتطور في العهد الاسلامي ضمن الملتقى الوطني الاول حول تاريخ واعلام المسيلة من 27-29افريل دار الثقافة المسيلة 2009م ، ص 33.
[2] الهوارية بالطيب ، المسيلة المحمدية ضمن الملتقى الوطني الاول حول تاريخ واعلام المسيلة من 27-29افريل دار الثقافة المسيلة 2009م ، ص 30
[3] صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد ، ص 14.
[4] صالح يوسف بن قربة ، المرجع نفسه ، ص 16

نستطيع القول أن المسيلة أُحتُرِمَتْ فيها الشروط الأساسية ، لتخطيط المدن ، بداية من الموقع الاستراتيجي للمنطقة ، وهو كان الدافع لأبي القاسم ، في اختيار موقعها، نظرا لعدة عوامل منها ، قربها من مصادر المياه ،الذي عمل علي ابن حمدون على إجراء الماء بين سور المدينة.

كما قام بتقدير الشوارع ، وخط طرق رئيسية، وفرعية إذ أن الطرق الرئيسية ، هي التي كانت تربط بين بابيها المعروفين : بالقاسمية ، والأُمور، وأنشأ الجامع وسط المدينة ، بالقرب من قصر الأمير، وخط الأسواق قرب باب الأمور.

والمسيلة بطبيعة الحال، على اتصال بالمدن الأخرى ،وارتباطها بالتجارة ، فقد أُنشأت بها الفنادق ، والخانات ، على شاكلة المدن الملكية ،المرتبطة بالدولة الفاطمية ، وبالعائلة الحاكمة التي سيّرتْها[1].

يضيف عبد الرحمن الجيلالي قائلا" نقلت إدارة الزاب من طبنة فأصبحت المسيلة ـالمحمديةـ هي عاصمة الزاب يومئذ وبلغت من الحضارة والعمران الغاية القصوى فقد كان بها من القصور والمنشآت المعمارية من حمامات ومنتزهات ومساجد ..إلخ

وقصدها يومئذ العلماء والأدباء فجاؤوها من كل جهة وصوب[2] ، كما تعرضت مدينة المحمدية للتخريب ، من طرف بانيها علي بن حمدون سنة 324هـ/936م وذلك لدواعي أمنية وسياسية.

[1] المرجع السابق، ص62

[2] عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ص291.

ثم أعيد بناؤها من جديد ،على يد ابنه جعفر بن علي بن حمدون كما عرفت المدينة في عهده ،وحسن سياسته ،وتسييره [1] تطورا كبيرا ،واتساعا عمرانيا ، ومعماريا ،جعلها ضمن المدن الكبرى، التي يُشّدُ إليها الرحال.

4- عمارة المدينة: وهي نوعين أولا دينية وثانيا مدنية

تكمن أهمية مدينة المسيلة الاستراتيجية في نقطتين ركز عليهما الفاطميون في إنشاءها وهما :صنفين من العمران، الناحية العسكرية ، والناحية الدينية والمدنية ، أي الطابع العسكري الأمني ، والطابع الديني الدعوي، فضلا عن المدني الاقتصادي ، لتطوير هذه المدينة الفتية .

أولا العمارة الدينية

أ- المسجد:

شرط أساسي ينبغي توفيره في كل المدن الإسلامية، ألا وهو بناء جامع في وسطها ، حتى يكون قريبا من سكانها للعبادة[2].

وهو من بديهيات التخطيط العمراني، في المدن الإسلامية ،ويجب أن يتوسط هذه الأخيرة ـ أي المدينة ـ لِيَسْهُلَ الوصول إليه من كل أطراف المدينة[3].

ويعتبر مسجد المحمدية، هو ثاني مسجد الذي أسسه الفاطميون في المغرب، بعد مسجد المهدية، حيث يبدو التشابه في التصميم لحد كبير. لكنه

[1] جودت عبد الكريم يوسف ،الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هـ/9-10 م ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1992م ، ص367.
[2] ابن ابي الربيع ، المصدر السابق ،ص 107.
[3] عبد الستار عثمان ، المرجع السابق ، ص103.

تغير كثيرا عن أصله في العهد الفاطمي ،ولم يبق من مُكَوِّناته حديثا ، ما يدعو للتوقف عنده[1].

ب- دار الإمارة :

إن الجهاز الإداري في المدن ، ذا أهمية سياسية، وإدارية ، لدار الإمارة، وخير دليل على ذلك، مدينة المهدية، كون هذا الجهاز مقر الحاكم أو السلطان، ومن ضمنه أيضا عمال الوالي للقيام بدوره، كالوزير الذي يستشيره الحاكم، ويتباحث معه في الأمور قبل اتخاذ القرار[2].

ج - الحمامات :

لغويا الحمام هو الماء الساخن ، والاغتسال في الحمام ،يعد ظاهرة قديمة عرفتها الشعوب ،كالمصريين ،والكنعانيين ،واليونانيين ،والرومان، ووصلت إلى الشعوب الإسلامية مبكرا، لأن الإسلام بحد ذاته عقيدة الطهارة، والنظافة ،والاغتسال ،فلا عجب أن نجد المسلمون ،يهتمون كثيرا بنظافة أجسامهم ، والتَهَيُأ للعبادة لا يمكن إلا بالوضوء.

والجدير بالذكر أن كتب الجغرافيا، أوردت الكثير عن الانتشار الواسع للحمامات، ودائما ما تكون في صيغة الجمع، نادرا ما تكون مفردا، وهذا تماما ما ينطبق على مدينة المحمدية، فَحَسْبَ البكري[3] حمامات مما يدل على أن المحمدية ، بلغت من التطور شان الحواضر الكبرى في المغرب الأوسط ،فقد كان بها من القصور والمنشآت المعمارية من حمامات ومنتزهات ومساجد[4].

[1] دبيس مصطفى ،الفن الاسلامي بالمغرب في عهد الفاطميين ضمن ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية المهدية 12-15اوت 1975م وزارة الشؤون الثقافية تونس 1977م ، ص79.
[2] مجاني بونة ، النظم الإدارية ، ص 238.
[3] البكري ، المصدر السابق ، ص59.
[4] عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج 1 ، ص 291.

ثانيا العمارة العسكرية:

كان الهاجس الأمني بالنسبة للدولة الفتية، من أولى الاهتمامات، ففضلا عن التحصين الطبيعي، من جغرافيا وتضاريس، كان لابد من خلق بعض الحواجز والخنادق، والمتاريس، التي تدخل هي أيضا ضمن العناصر الأساسية للتحصين.

إضافة إلى منشآت معمارية أمنية في بناء المدن ،وقد توفرت مدينة المحمدية على هذه التحصينات ذَكَرَتها بعض المصادر.

أ- السور:

أحد الرموز الأمنية في تخطيط المدن، لحمايتها من الاعتداءات الخارجية ، والمساس بأمنها، فهو ذو طابع عسكري منذ القدم، اتخذه المعماريون بعين الاعتبار، وكذلك فعل الفاطميون ، فكان بناء السور لمدينتهم الفتية من بين الأولويات .

وقد ذكر ابن حوقل أن المحمدية كان يحيط بها سور واحد من طوب[1] ، بينما ذكر البكري بأنه كان يحيط بها سوران وجدول ماء[2] وجعل للمدينة بابين أحدهما سُمي بالقاسمية نسبة لابي القاسم والاخر بباب الامور[3].

---

[1] ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص85.
[2] البكري ، المصدر السابق ، ص59 .
[3] ابن حماد ، المصدر السابق ، ص46.

ب- البرج :

نظرا لاستفحال الحروب ، وتزايد خطر المعارضين استوجب بناء برج ، في أعالي المدينة استخدم للحراسة والمراقبة ،عند اشتداد الحرب ، كما أنهم استعملوا أيضا بعض الحصون التي سبقت في صد الهجمات
والغارات ، ومن هذه القلاع ،قلعة بلزمة ،وقلعة باغاية ، وقلعة طبنة ، وغيرها وكانت منيعة شديدة التحصين .

ج ـ المخازن :

فقد كان أمر أبو القاسم محمد إلى واليه على المحمدية، علي بن حمدون تخطيط آخر حكيم ، وهو أن يكثر في المحمدية المؤن ،ويدخر الأقوات ، وبفضلها تمكن الفاطميون ، من التغلب على الأزمات والحروب ،التي حلت بالبلاد[1]، ويقال أنه إذا كثرت الأمطار وارتفعت الأسعار، كان علي بن حمدون يكتب إلى أبي القاسم يستأذنه في البيع فيرفض ذلك ، ويأمره بالاستكثار والادخار، لأنهم سيحتاجون إليها ، فيتركها مخزنة [2].

---

[1] ابن خلدون ، العبر ،ج 4 ، ص51.
[2] ابن حماد ، المصدر السابق ، ص46 .

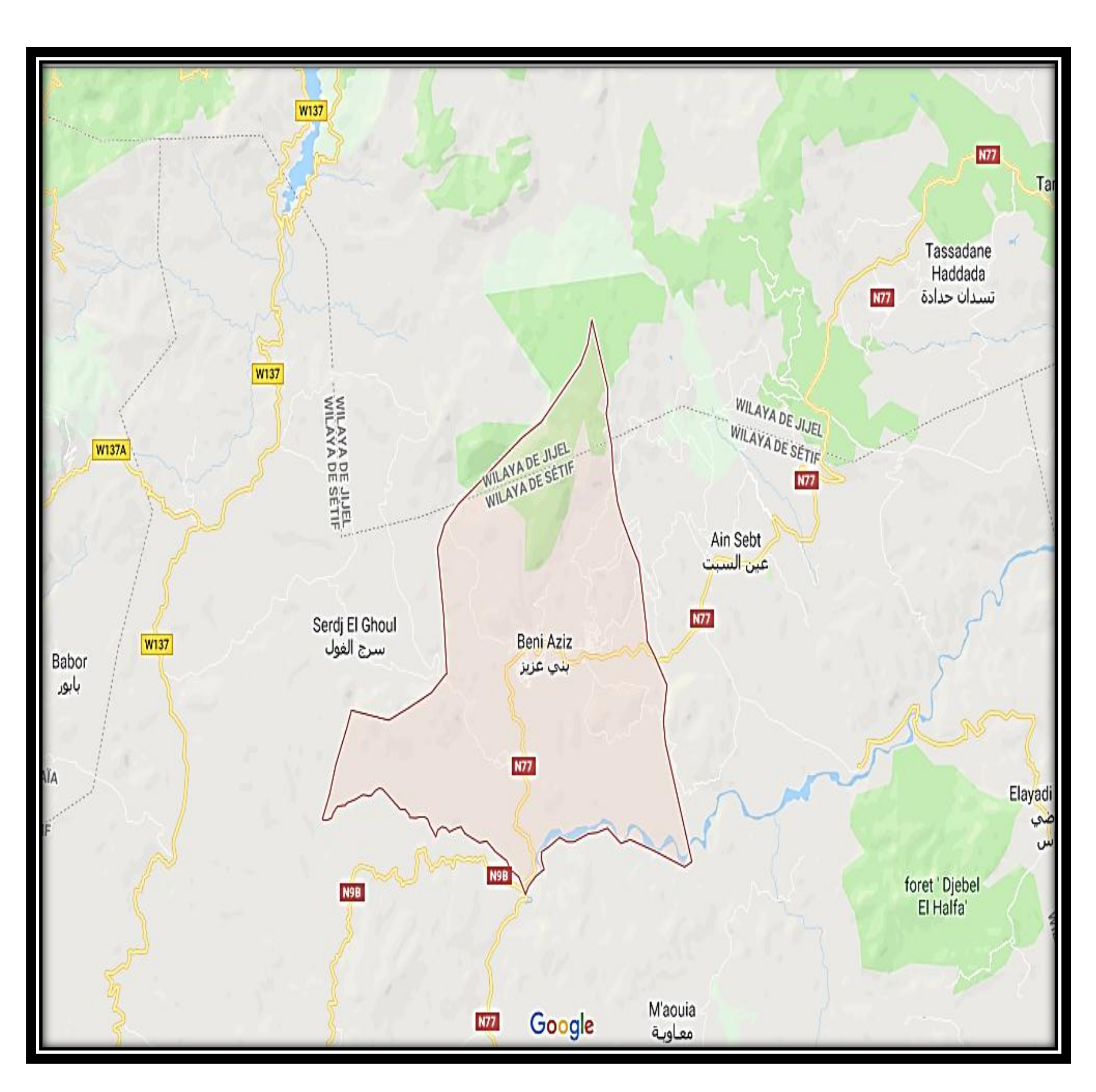
خلاصة

ومن هنا نستطيع القول، أن مدينة المحمدية ذات تخطيط استراتيجي ، جمعت بين العناصر المدنية الدينية والعسكرية ، وتشابهت إلى حد بعيد في بناء المدن الشيعية كالمهدية، و بناءات المدن الإسلامية الأخرى، ذات البعد الحضاري الإسلامي .

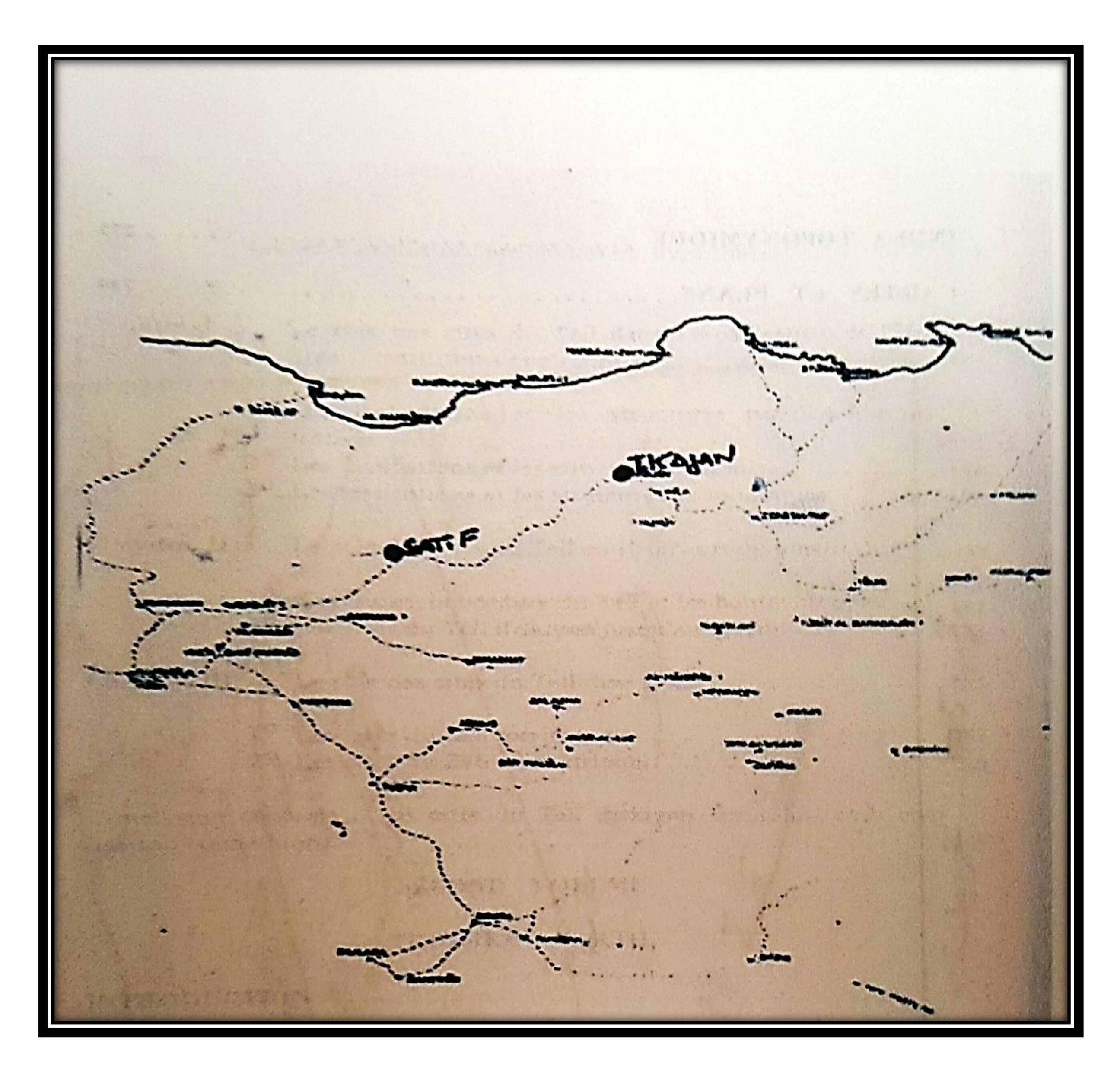
عطفا على ما سبق ، نقول أن مدينة المحمدية كانت مركزا حضاريا فاطميا ، في المغرب الأوسط ،إذ تعددت بها المجالات ،ذات طابع فلاحي ، ونشاط تجاري ،وقاعدة اقتصادية سياسية ،وقوة عسكرية ،تربط القيروان بالمغرب الأقصى[1] ، مع القلاع الممتدة هناك ، (خريطة رقم 11).

[1] Encyclopédie de l'islam nouvelle édition leden E .j .Brill ,Paris1991,T1 ,p 716

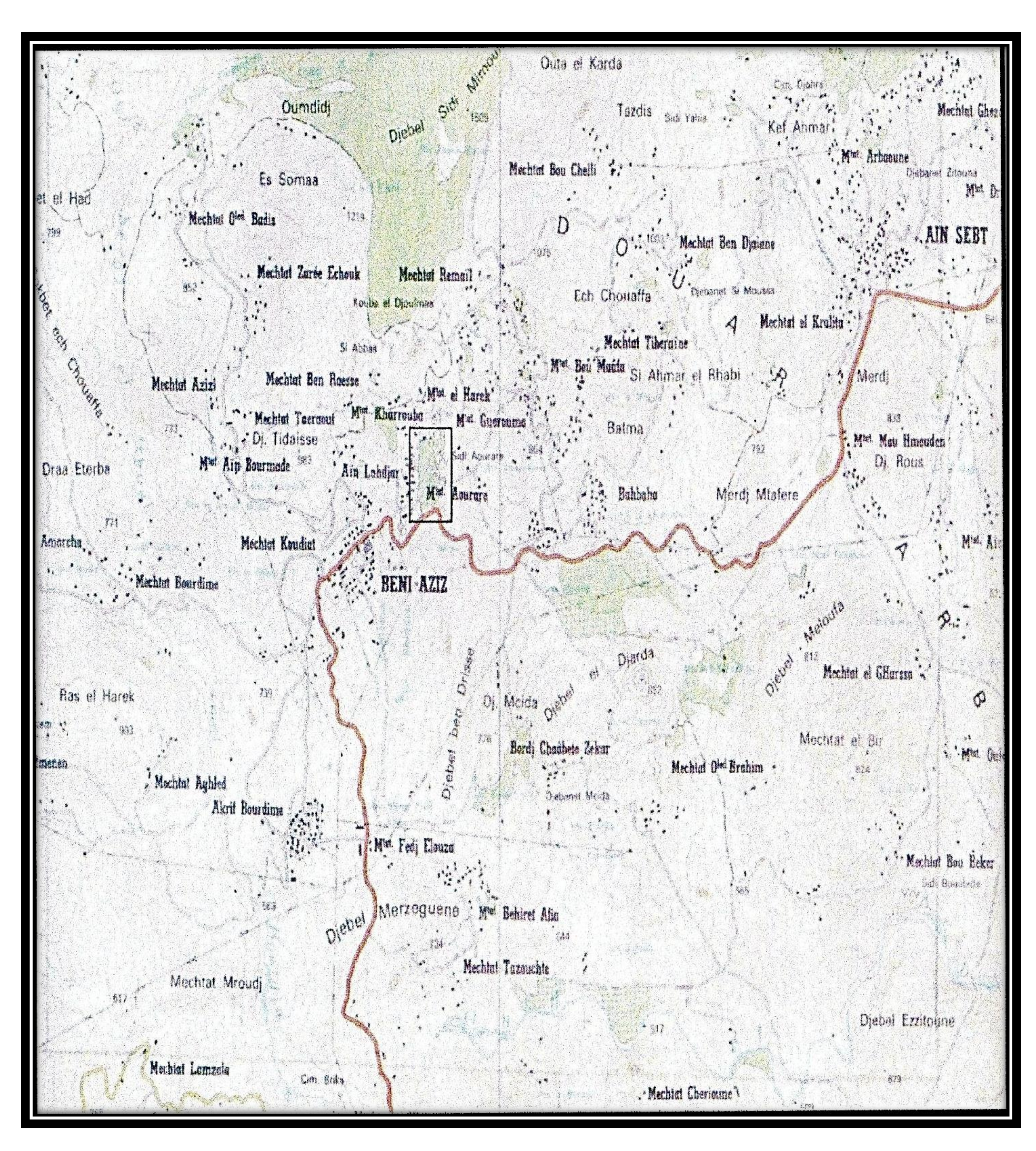
ملحق الخرائط
للفصل الثالث



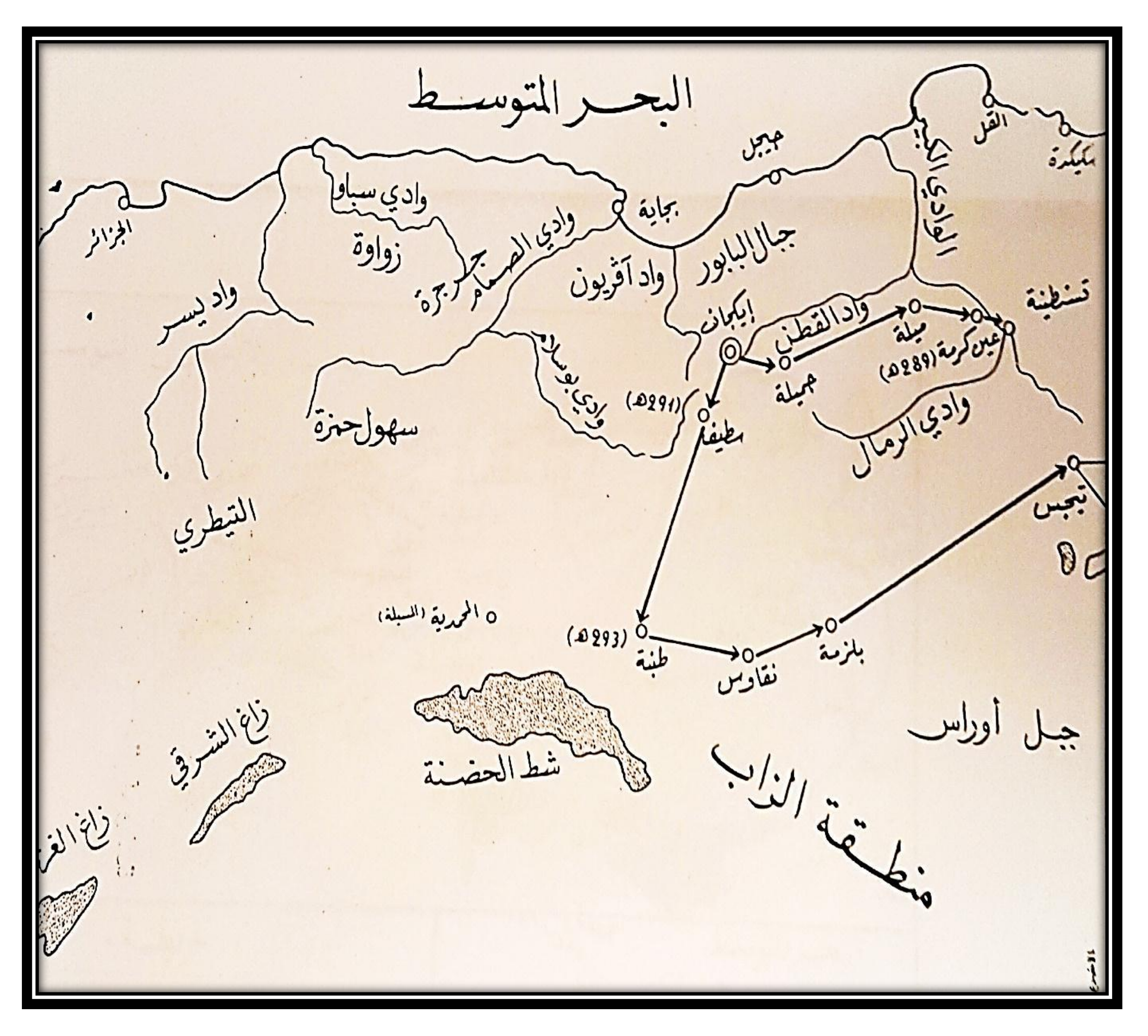
خريطة رقم 1: خريطة طبوغرافية لمنطقة بني عزيز ولاية سطيف



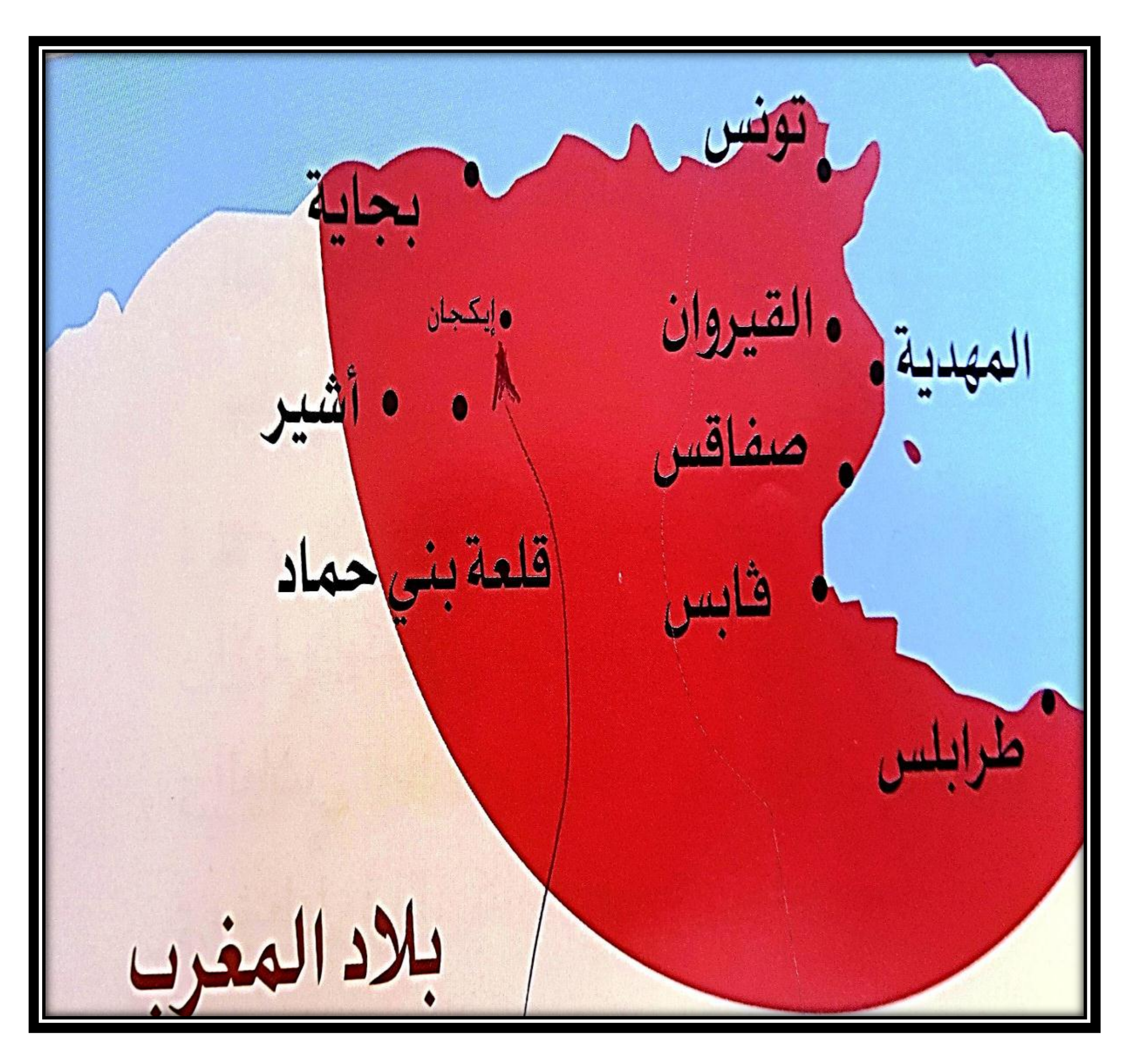
خريطة رقم 2: تبين الطريق بين إيكجان وسطيف (عن د/بن قربة)



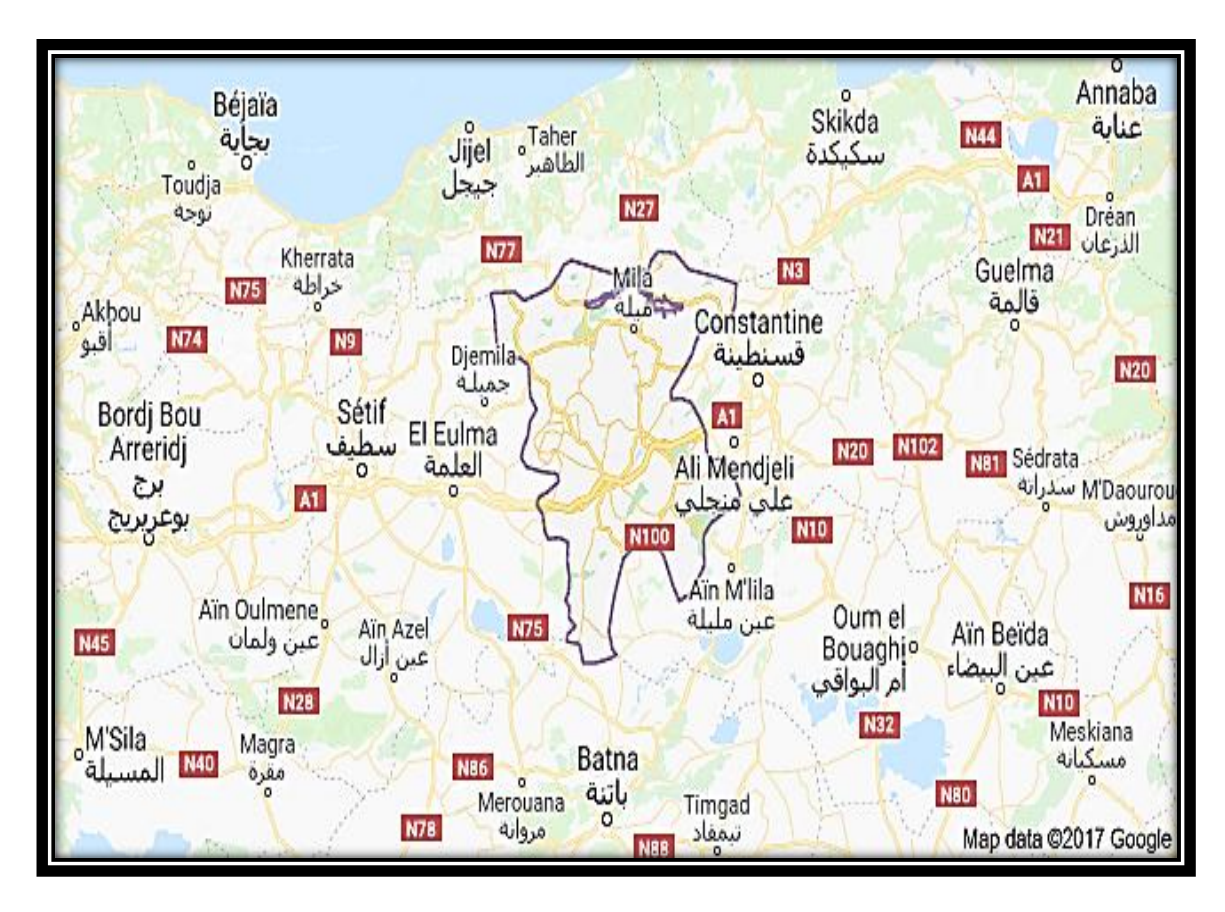
خريطة رقم 3 : خريطة طبوغرافية لموقع إيكجان.



خريطة رقم 4: موقع قلعة إيكجان (عن د/ بن قربة)



خريطة رقم 5: موقع قلعة إيكجان في بلاد المغرب الأوسط(عن. د. بن قربة)



خريطة رقم6: خريطة طبوغرافية لمدينة ميلة عن الولاية



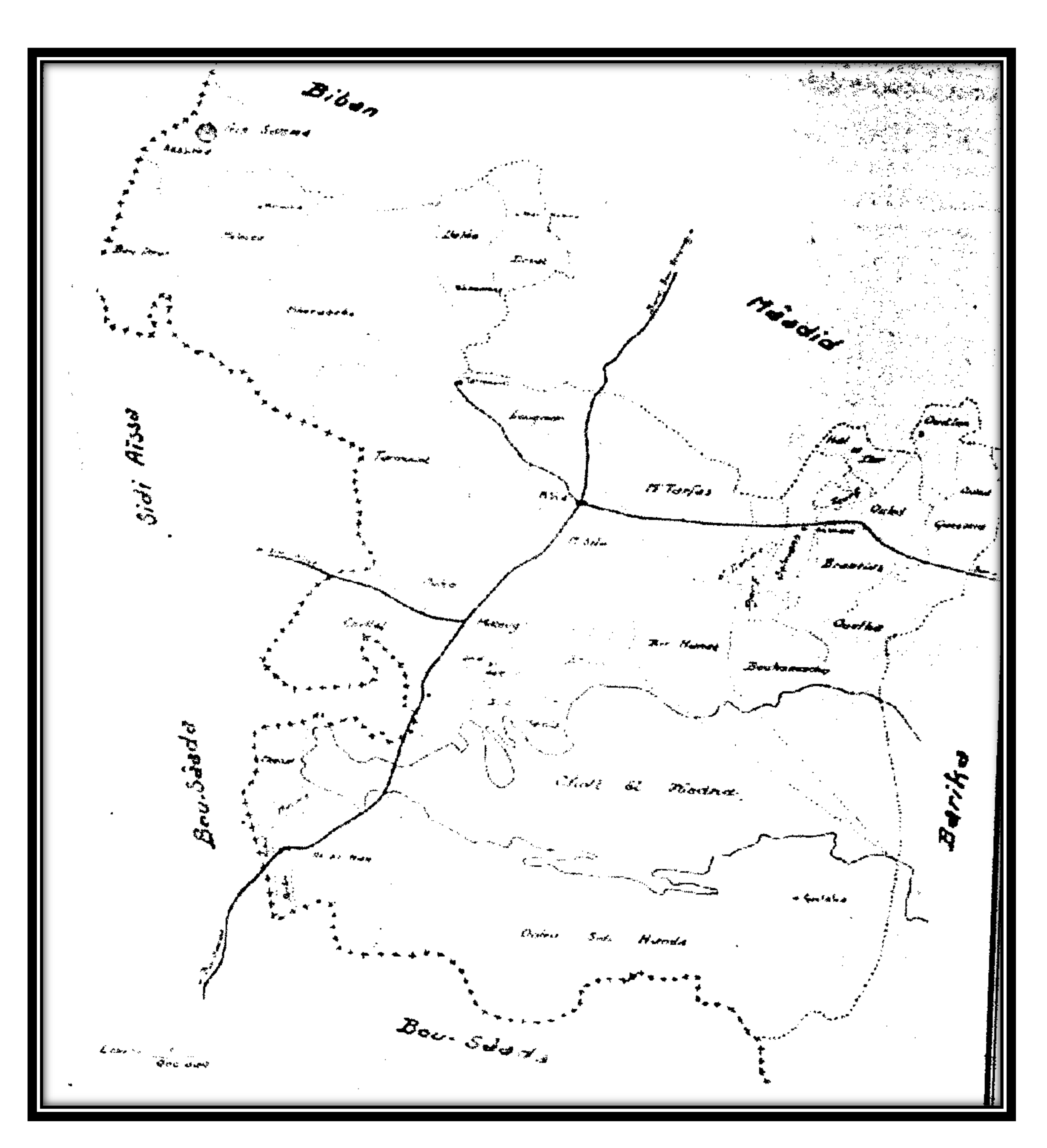
★ تازروت

الخريطة رقم 7:موقع تازروت بالنسبة لولاية ميلة

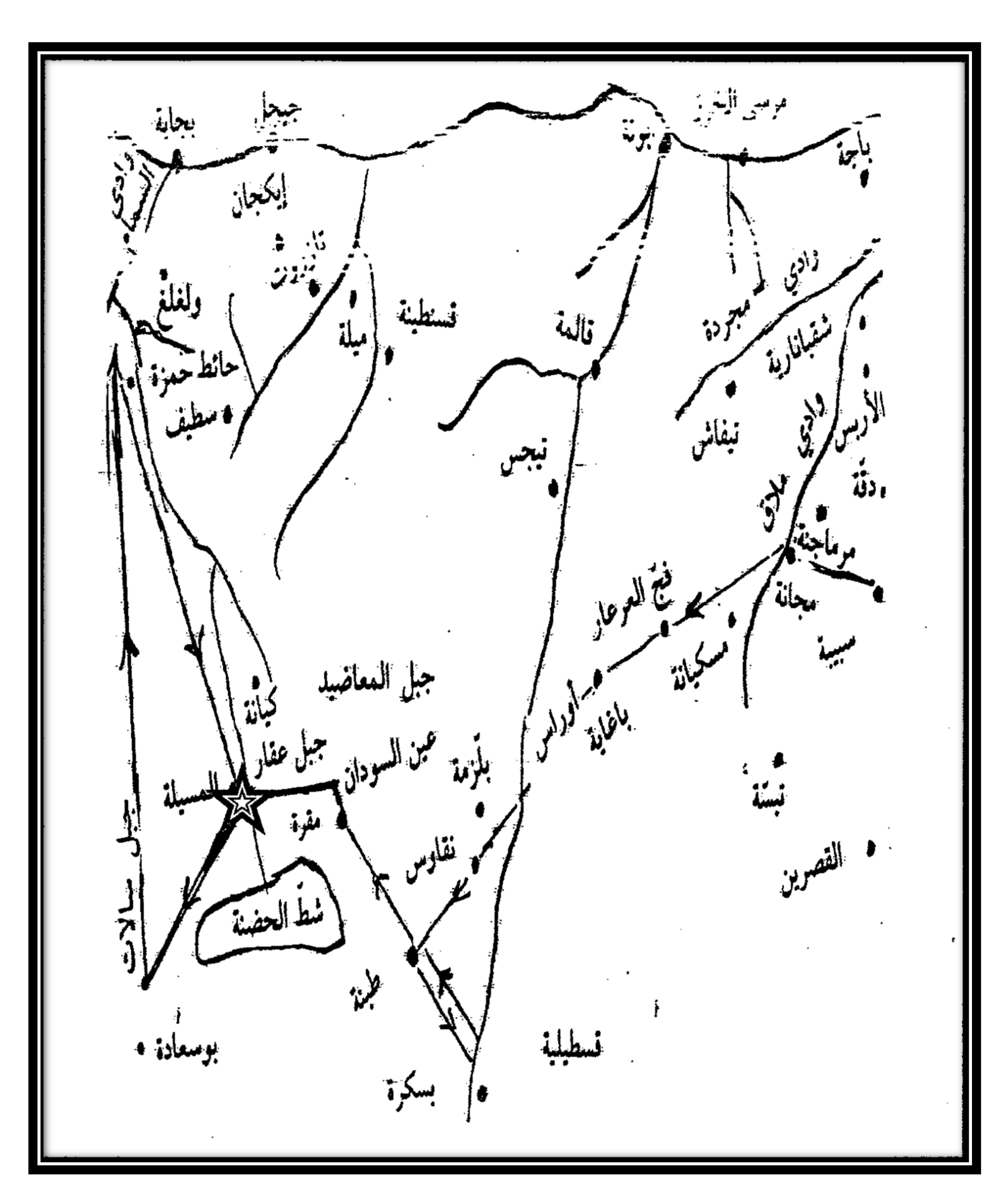


مسجد سيدي غانم

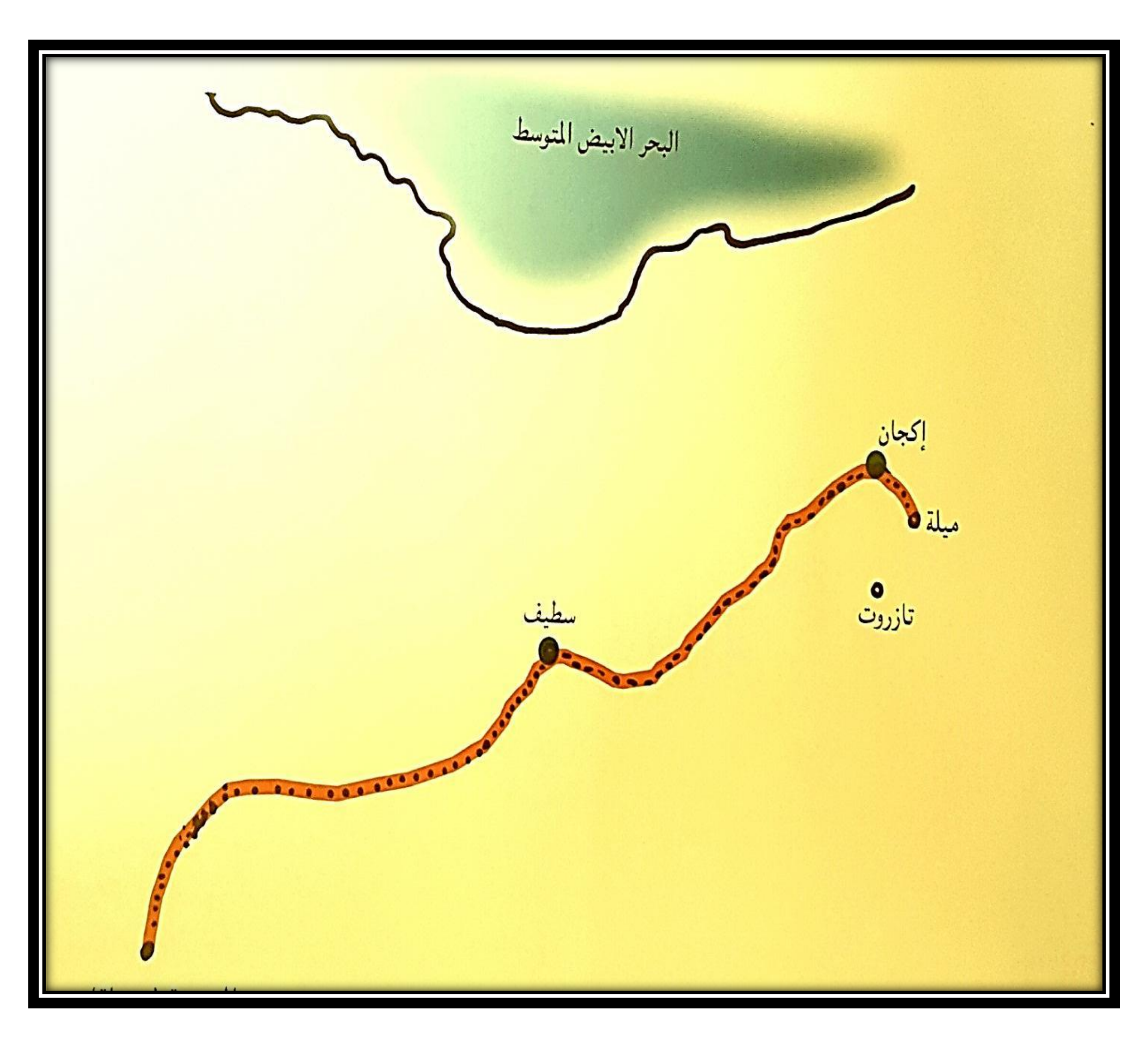
خريطة رقم 8 : قصبة مدينة ميلة عن الولاية



خريطة رقم 9 : حدود بلدية المسيلة المختلطة
(عن بلدية المسيلة)



خريطة رقم 10: موقع المحمدية ودوره في تأسيس الدولة (عن القرشي عيون الأخبار)



خريطة رقم 11:القلاع الفاطمية في المغرب الاوسط عن كتاب المراكز العمرانية الكبرى في المغرب الاوسط

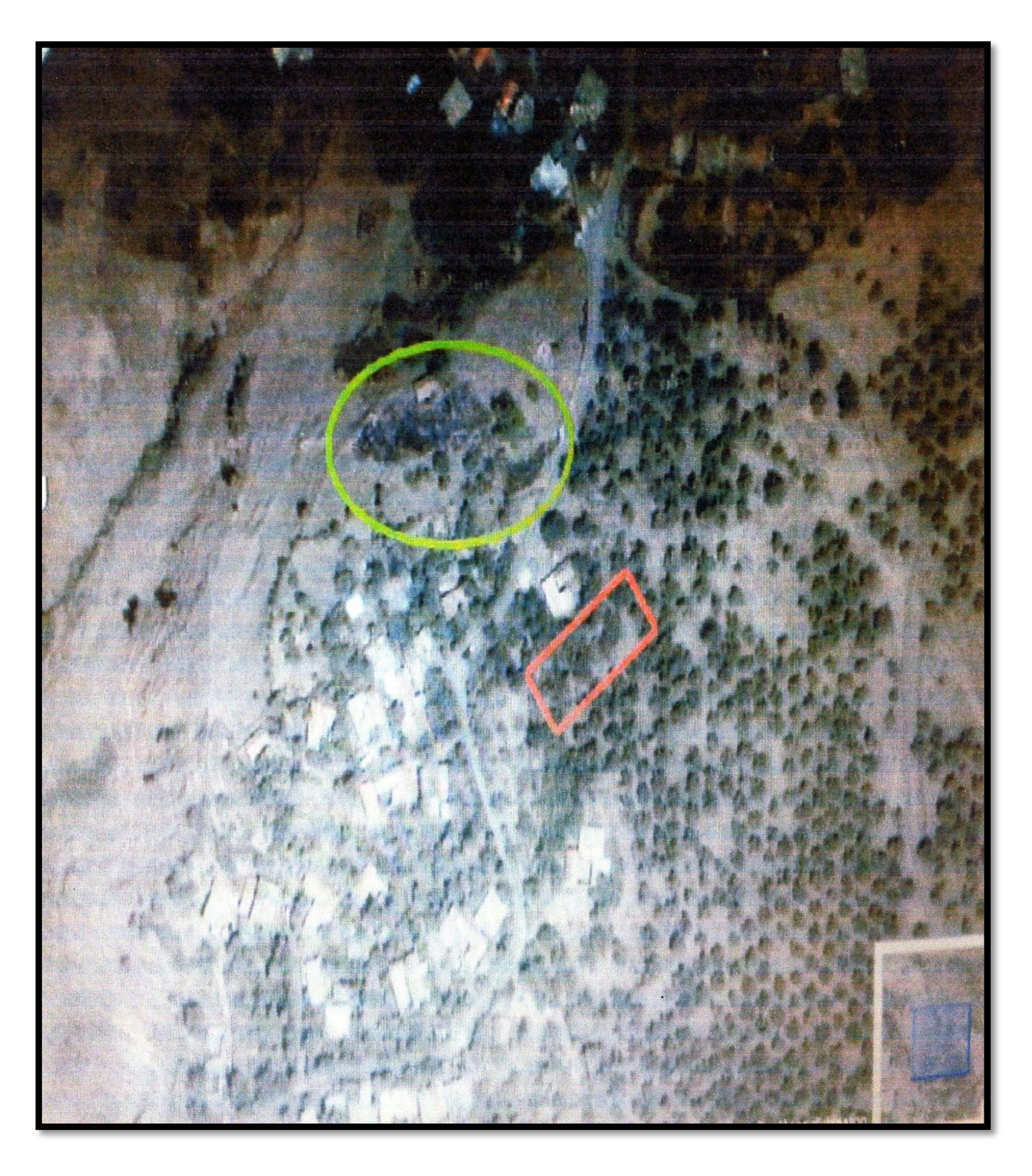
ملحق الصور
للفصل الثالث



صورة رقم 1: صورة جوية لمنطقة بني عزيز ولاية سطيف عن غوغل



صورة رقم 2: صورة جوية لقلعة إيكجان بني عزيز عن غوغل



بقايا مقبرة سيدي علي البصري

بقايا سور القلعة

صورة جوية رقم 3: قلعة إيكجان في بني عزيز عن غوغل



صورة رقم 4: صورة لمنظر عام بمنطقة إيكجان



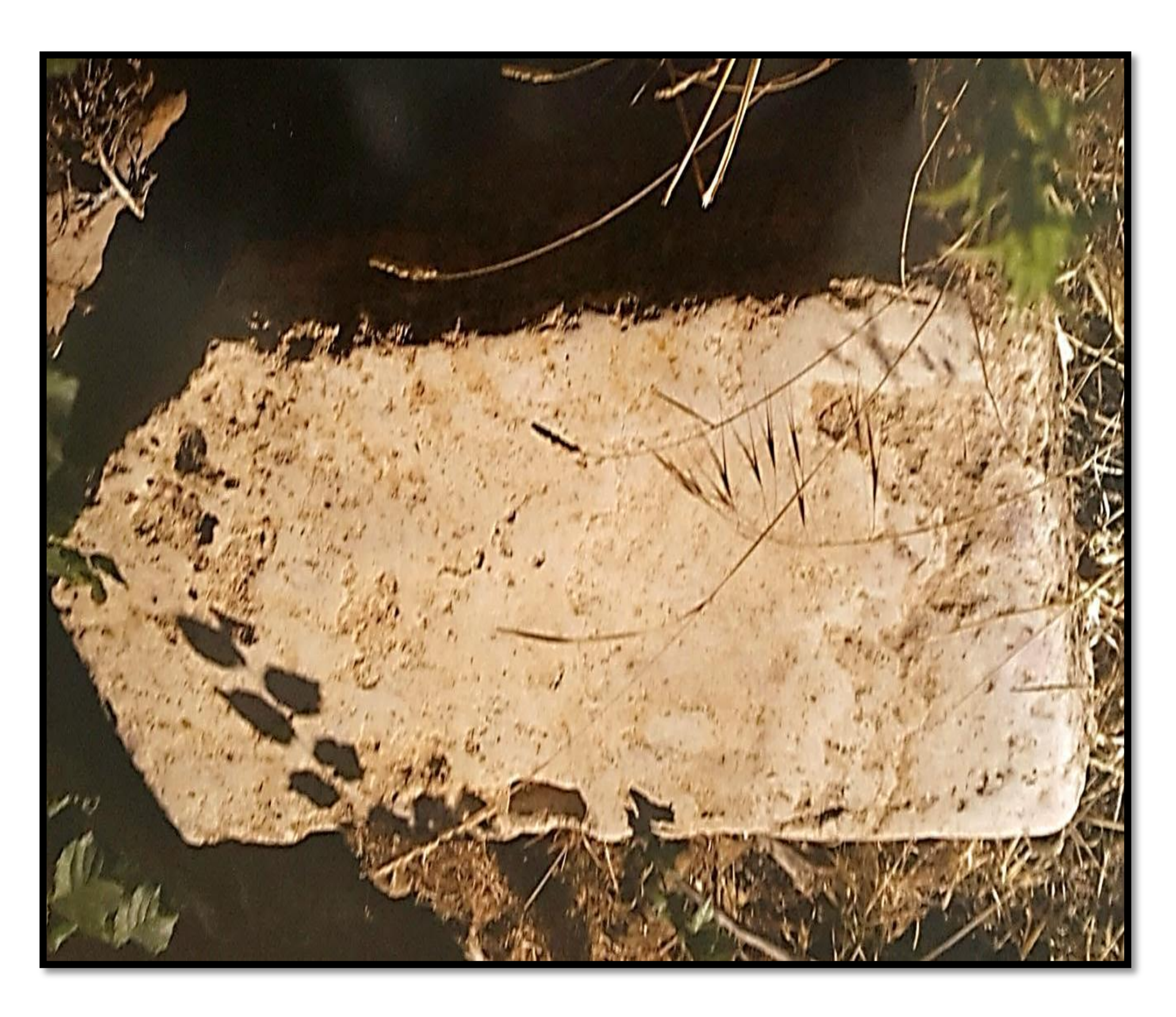
صورة رقم 5: بقايا جدار خارجي شرقي بإيكجان



صورة رقم 6: بقايا جدار القلعة بمحاذاة بساتين الزيتون بموقع إيكجان



صورة رقم 7: قلعة إيكجان بقايا سور داخلي



صورة رقم 8: نوع من الحجارة بموقع إيكجان



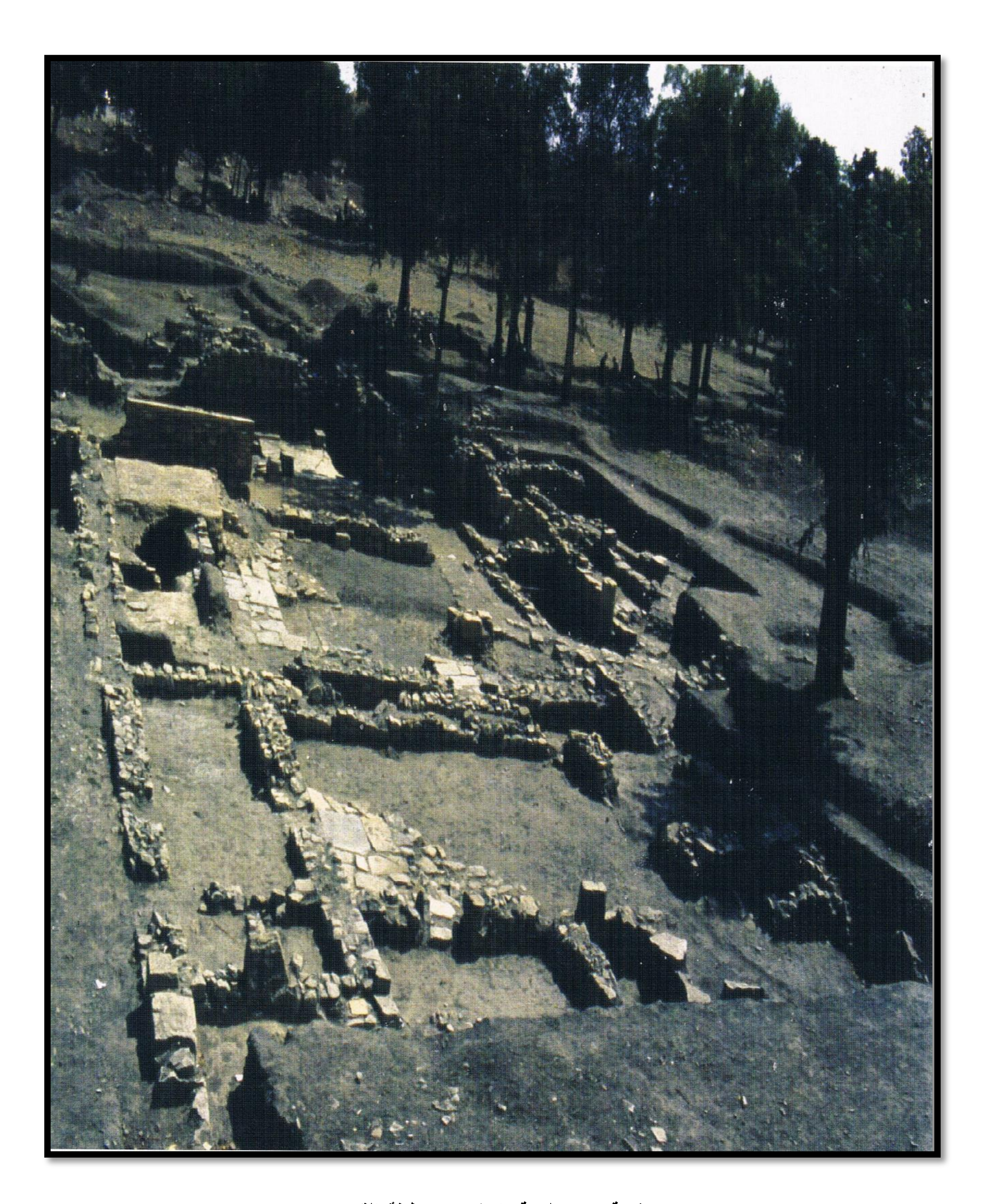
صورة رقم 9: بقايا برج المراقبة بقلعة إيكجان



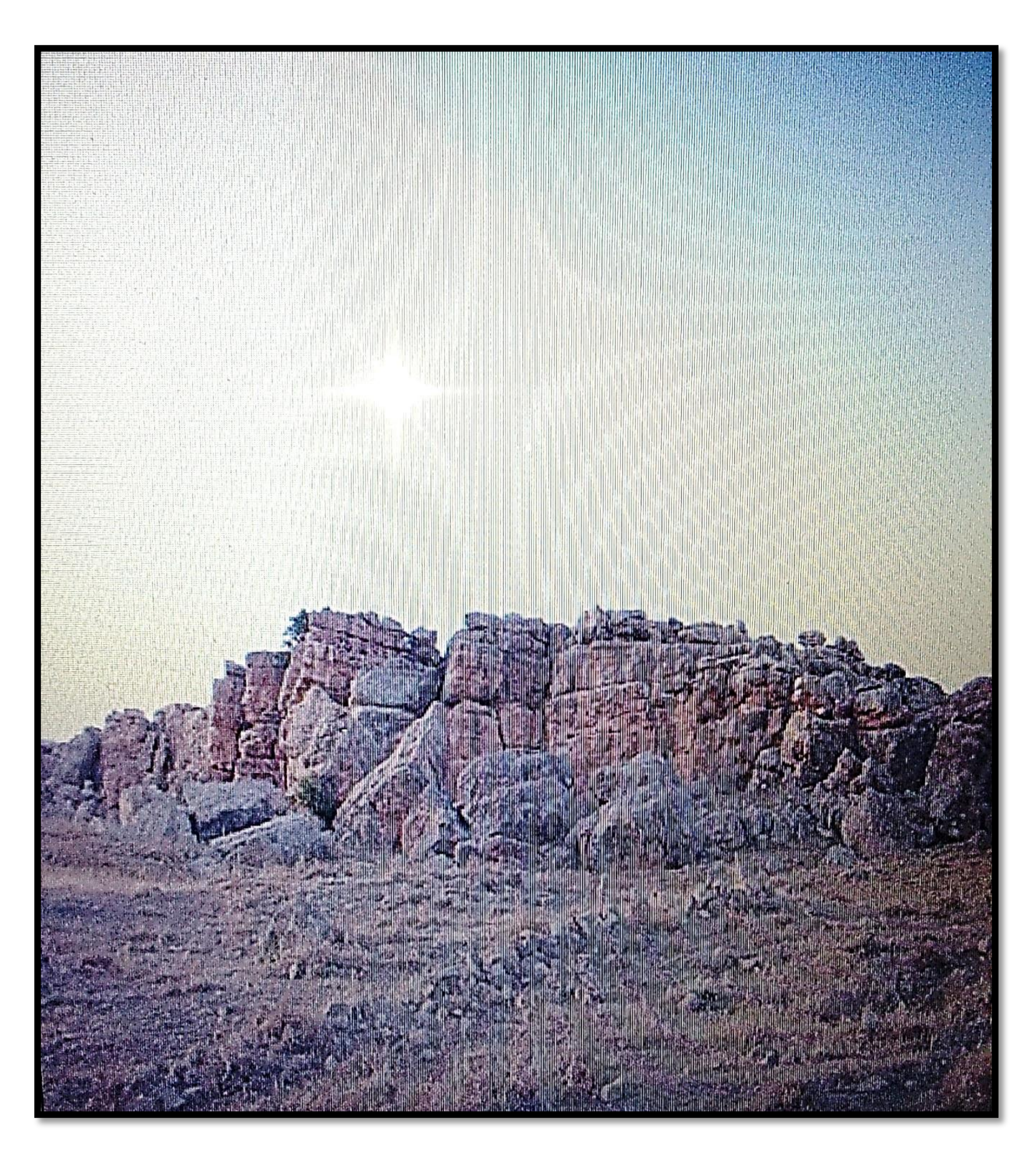
صورة رقم 10: مقبرة سيدّي علي البصري بموقع إيكجان



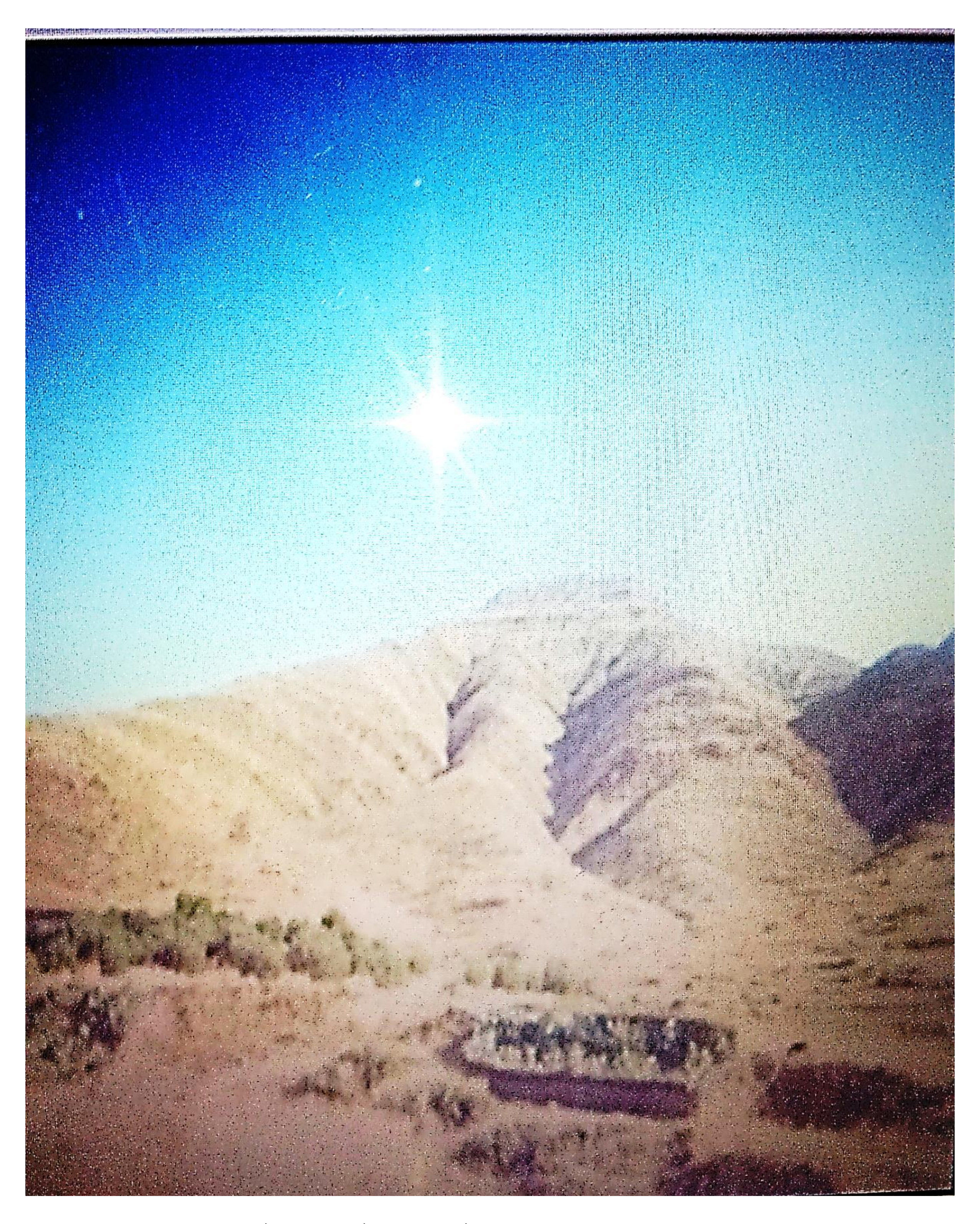
صورة رقم 11: لقى أثرية عبارة عن آنية فخارية من موقع إيكجان



صورة رقم 12: لموقع إسلامي بسطيفٌ القرن 9-10ه



صورة رقم 13: قلعة تازروت بمدينة ميلة



صورة رقم 14: موقع مدينة المحمدية ،المسيلة

الفصل الرابع

الفصل الرابع

دراسة تاريخية للمدن المنسوبة للفاطميين

في ظل الدولة الزيرية

- أشير.
- منزه بنت السلطان.
- البنية.
- جزائر بني مزغنة.

تمهيد

إن المجتمع المغربي بِعَديد قبائله، شهد تطورات كبيرة، وتغييرا جذريا على مر العصور، بدرجات متفاوتة عرفت أوجها بعد دخول الإسلام إلى المنطقة ،الذي هذّب من ذهنيتها وقوّم معتقداتها، وفي الوقت نفسه، احترم عاداتها وتقاليدها ، وأثرى موروثها وحوّلها لأول مرة في تاريخها ،من موقع دفاعي متأثر إلى موقع هجومي مؤثر .

فبعد أن كانت عرضة لهجمات الفينيقيين ، والرومان والوندال والبيزنطيين ، ها هي اليوم تتحول إلى غازية ، فقد أسهمت بقسط كبير في نشر الإسلام بالأندلس وصقلية، وجنوب غاليا، بالإضافة إلى أجزاء واسعة من السودان الغربي، فنقلت كثيرا من عاداتها إلى أوروبا، خاصة في عهد المرابطين والموّحدين ،وقدمت إسهامات ضخمة في بناء حضارتها .

جاء التقارب بين كتامة وصنهاجة، إثر الفتح الإسلامي خاصة ، بعد تبني كتامة للمذهب الإسماعيلي إلى جانب صنهاجة ، التي كان لها ولاء قديم لآل البيت[1] ، ونتج عنه قيام الحلف الكتامي الصنهاجي، الذي أظهر انسجاما واضحا، في قيادة العمليات العسكرية للخلافة الفاطمية[2] ، وأسهم لفترة طويلة في صنع شخصية المغرب الأوسط ، الذي ظل إلى غاية هذه الفترة ، محل تجاذب بين الخوارج والخلافة الإسلامية .

---

[1] ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 6 ، ص153.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي ، الإستقصا لدول المغرب الأقصا ،تحقيق جعفر الناصري وخالد الناصري ،دار البيضاء ،1954، ج 1، ص 81، من ذلك خروج كتامة وصنهاجة جنبا الى جنب في حملة جوهر الصقلي على المغرب سنة 347هـ/958موالتي حققت نجاحا كبيرا بفتح مدينة فاس .

فقد شهد مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، بروز قوة جديدة على مسرح الأحداث، ألا وهي قبيلة صنهاجة المغرب الأوسط ،التي استند إليها الفاطميين، في دحر خطر زناتة خلفا لمكناسة، التي لم تستطع أداء هذه المهمة بنجاح، أمام التحالف الزناتي الأموي .

كما ساهم التقارب الفاطمي الصنهاجي، في تغيير ملامح الحياة للقبيلة التي كانت تحياها صنهاجة، ولو بصورة نسبية، وشهد قفزة نوعية نحو حياة التحضر فاستقرت أحوال الناس، وكثرت أموالهم واستبحر عمرانهم ،وبدت مظاهر الرفاه على حياتهم .

على الرغم من أن صنهاجة المغرب الأوسط ،لم يكن لها دور كبير في قيام الخلافة الفاطمية مقارنة بقبيلة كتامة، إلا أنها سرعان ما خلقت لنفسها مكانة مرموقة داخل هذه الدولة، بفضل موقعها الاستراتيجي ووزنها الاجتماعي الكبير، زيادة على ولائها لآل البيت[1].

إلا أنه لابد من الإشارة، إلى أن انتقال صنهاجة إلى طور السلطة والدولة ، لم يتم على أساس اجتماعي قوامه انغماس الحكام في الشهوات والملذّات، وركون الرعية إلى الترف، وإنّما كان هِبَة من الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر، نظير التضحيات الجسام التي بذلوها، في سبيل هذه الخلافة وتوطيد أركانها[2].

وبقيام ثورة أبي يزيد صاحب الحمار، سطع نجم صنهاجة وبرزت كمنقذ للخلافة الفاطمية ، من هذا الخطر الداهم وزاد تألقها في المنطقة

---

[1] ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 6 ، ص 152.

[2] النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 6، دار الكتب المصرية ، 1923 ، ص 310.

بانتصاراتها المتكررة على زناتة، وكادت أن تجتثّ جذورها نهائيا بالمغرب الأوسط ، وبقضائها علي ثورة جعفر بن علي بن حمدون، الذي شق عصا الطاعة على الفاطميين ، وتحالف مع زناتة وأُمويي الأندلس ،بهذا خلت إفريقية لصنهاجة ،وأصبحت أكبر المُؤَهَلِينْ لخلافة الفاطميين على المنطقة، بعد رحيلهم إلى مصر، (خريطة رقم 1).

I. صنهاجة ومجالها الجغرافي

الزيريون ينحدرون من قبيلة صنهاجة البربرية من أصول قديمة، بمجالها الجغرافي الممتدة من زواوة شرقا ،وأرض قبيلة زناتة غربا ،ومن ساحل البحر المتوسط شمالا، إلى منطقة الحضنة والمدية جنوبا، ذات مسالك صعبة و تضاريس وعرة، يغلب عليها الطابع الجبلي ناهيك عن التلال وقلة المياه، التي تساعد على الزراعة، لهذا كان اعتمادها أكثر على مياه الامطار، وتذهب بعض المصادر التاريخية بالقول، إلى أنها كانت تعيش حياة الترحال والتنقل بين المناطق الأخرى، مثل حياة البدو الرحل[1]، وأنها تنقسم إلى فرعين جنوبي ومنه تكوّنت الدولة المرابطية، الموصوفون بالملثمين[2]، وشمالي الذي يشكل ثلث بربر المغرب، حسب ما ذهب اليه ابن خلدون[3].

كما أن قبيلة صنهاجة لم تلعب أي دور على الساحة السياسية ، إلا مع مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، إذ لم نجد لها ذكر قبل هذه الفترة ،مع مجموعة القبائل البربرية الأخرى، التي كانت لها رؤية مختلفة من الفتح الإسلامي للمغرب.

---

[1] ابن خلدون ، كتاب العبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ص 179.
[2] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج 1 ، المكتبة الأندلسية ، 1980،ص 254.
[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 179.

II. صنهاجة ونسبها حسب المؤرّخين

وفيما يتعلق بنسبهم فقد تباينت في ذكره كتب الأنساب ،واختلف فيه المؤرّخون ،فابن خلدون مثلا[1]، قسّم هذه القبيلة إلى عدة فروع منها تلكاتة (طلقتة)، ويرى أن صنهاجة تتكون من أكثر من ستين عشيرة ،من بينها الفرع الذي قام بتأسيس الدولة الزيرية [2].

إن قبيلة تلكاتة هي من ضمن القبائل، التي عمّرت المغرب الأوسط ،في حين أن قبائل أخرى كانت تقطن المناطق الصحراوية، فكان يجب التنويه بالدور البالغ الأهمية ،الذي قامت به في تشييد المدن الصنهاجية، ومن بينها مدينة أشير.

وقبيلة تلكاتة[3] أيضا لم تبرز على واجهة الأحداث، إلا في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وذلك على يد زيري بن مناد التلكاتي[4] الصنهاجي ، ت 369هـ الذي هو رأس الدولة ،وقد تبنى موقفا من العباسيين، خاصة بعدما تم إسناد المهام إليه ،من طرف آخر الخلفاء الفاطميين بأفريقية المعز لدين الله[5].

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 179.

[2] المصدر نفسه ،ص 180

3Golvin(L),Le Maghreb Central à L'époque des Zirides , Paris 1957 , P47

[4] أطلس تاريخ الدولة العباسية

[5] شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج 2 ، ترجمة محمد مزالي – البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، 1985 ، ص 87 وما بعدها .

III. النشاط الاقتصادي لصنهاجة

كان مستقر القبيلة في جغرافية شبه جافة، قليلة الغلات ،اعتمادها على مياه الامطار في الري والزراعة، وكذلك على تربية المواشي، التي تتأقلم مع المناخ[1].

وكان معظم نشاطها الاقتصادي مرتكزا على تربية المواشي، الأمر الذي جعلهم يستقرون في تجمعات بشرية صغيرة ،ولا ينتقلون إلا للضرورة القصوى، بحثا عن الغذاء للمواشي [2].

وهناك من كان منهم يعتمد على المراعي الجبلية، في فترة الصيف ،وينزلون إلى السهول الجنوبية القريبة منهم في فصل الشتاء، بحثا عن المراعي، أما وسيلتهم في قطع تلك المسالك الوعرة هي الحمير والبغال.

IV. ظهور مناد بن منقوش

بفضل قوة وحكمة زعيم قبيلة تلكاتة أو(طلقتة) وشجاعته، تمكن من توحيد فروع القبيلة الأم صنهاجة، فكان مناد بن منقوش هو أول من ظهرت زعامته بقوة، فبدأ عملية التحضير الفعلي لتنظيم صفوف قبائل صنهاجة، للدفاع عن أراضيها ضد الغارات المتكررة لقبيلة زناتة[3].

كما كانت له علاقات طيبة مع الدولة الأغلبية، وقدم لها خدمات جليلة ،واستفاد من مساعداتها المالية ،وحتى المتعلقة بميدان التسليح[4]، وهدف الأغالبة من وراء ذلك ،هو تمكينه من تأسيس منطقة واسعة خاضعة لسلطة قبيلة تلكاتة .

---

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور ،أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر ،
[2] د/مبارك بوطارن، المرجع السابق.
[3] د/مبارك بوطارن، المرجع السابق.
[4] عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج 1 ، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، 1965، ص 291.

وقد تحقق ذلك على يد الأمراء الذين جاؤوا من بعده ،وهذا ما جعل ابنه زيري بن مناد يحالف الفاطميين من بعده ، من أجل تقوية ساعده ،وقد نجح في هذا الأمر.

عمّ الاستقرار في المنطقة ،مما جعل الزيريون يشيّدون مدنا فاقت سمعتها بلاد المغرب الأوسط ،آثارها اليوم تدل على الماضي المجيد لهذه الدولة، ومن بين هذه المدن نذكر عاصمة ملكهم، ألا وهي مدينة أشير.

V. قيام الكيان الزيري

ومهما يكن الأمر، نستخلص من هذا أن زيري بن مناد ،لم يكن قائدا مغامرا ،بل داهية ذو حكمة وذكاء ،الأمر الذي مكنه من تجميع طاقات قبائل كانت متناحرة، وضمها تحت سلطته ليصل إلى مبتغاه المنشود.

استطاع هذا الرجل الفذ أن يجعل من قبيلة تلكاتة، أحد فروع صنهاجة ،إمارة يذكرها التاريخ على مر السنين ،أضف إلى ذلك أنه كان منذ نعومة أظافره، يتزعم أطفال القبيلة، حسب ما ذهب إليه النويري[1].

لقد كان قائد حرب وزعيم بني تلكاتة، فهو الذي قادهم في غزواتهم المتكررة على مواطن زناتة ،واستطاع أن يحرز النصر .

فقد كوّن زيري بن مناد جيشا ،تميز بنظامه وبطاعته العمياء له ،والذي سانده إلى جانب قبيلته ،من السيطرة على زعامات صنهاجة المختلفة، ولم يتسنى له ذلك إلا بعد مواجهات وصراعات عديدة، لم يسلم منها حتى بنو العمومة، الذين حاربهم حتى بلغ الوحدة للقبيلة ،وأحكم تنظيمها وأعدها جيدا،

[1] النويري ، المصدر السابق ،ص 310.

لجعلها دولة تضاهي في تنظيمها بقية الدول الأخرى، وينتقل هو من شيخ قبيلة ،إلى اعتلاء مرتبة الأمير أو السلطان[1] .

كما مكنته حربه مع زناتة، أن يجمع عددا كبيرا من الخيول، ويغنم كمية هائلة من الأسلحة، جعلت منه سندا للفاطميين في أحلك حكمهم، عندما تمكن صاحب الحمار يزيد بن مخلد بن كيداد، من السيطرة على كل بلاد المغرب، ولم يبق للفاطميين من ملكهم، إلا ما احتضنته أسوار المهدية[2] .

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .
[2] المصدر نفسه ، ص ،181

➢ مدينة أشير 324هـ/935م

1- التأسيس

تضاربت أراء المؤرّخين، حول تأسيس مدينة أشير ولم يجد علماء الآثار المختصون بالفترة الإسلامية جوابا مقنعا إلى يومنا هذا .

فالنصوص التاريخية التي بحوزتنا أو تلك التي تمكنا من الوصول إليها، ليست كثيرة ولا بالواضحة ،نجد البكري الذي كتب في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، يشير إلى مؤسس المدينة أنه زيري بن مناد[1] .

أما النويري المتوفى سنة 733هـ/1332م، الذي كتب في القرن الثامن الهجري/ 14ميلادي، واعتمد في كتابه على كثير من المصادر ومن ضمنها البكري ، فقد جاء في حديثه أن زيري بن مناد، بعدما تمعن في دراسة موضع المدينة ،قال لأصحابه هذا هو المكان الذي يليق بمقامكم، ثم عمد إلى بناء المدينة ، وكان ذلك عام 324هـ/935م في عهد الخليفة الفاطمي القائم بن المهدي[2].

ويبدو أنه قد اختلطت عليه الأمور فتارة يتحدث عن أشير، وتارة أخرى عن البنية ،وهو يصف نفس الموقع وكأنه يجهل وجود موقعين سكنيين ،يحمل كل منهما اسما من هذه الأسماء.

لكن ابن خلدون الذي تحدث عن الموضوع في القرن 9هـ/15م، فإنه لم يأت بالجديد عن تأسيس مدينة أشير ومؤسسها، فحذا حذو النويري، ولم

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .
[2] د/مبارك بوطارن، المرجع السابق.

يذكر أن هناك تجمعين سكنيين مختلفين، أُسِسَا جنبا إلى جنب في وقت متقارب من الزمن.

احتار علماء الآثار أمام هذه المعلومات المختلفة، لكن نص ابن الأثير الذي يكتسي أهمية كبيرة، والذي أزاح بعض الغموض حول هذا الموضوع، فقد كتب هذا الأخير في أواخر القرن 6هـ/12م، وبداية القرن 7هـ/13م، وذكر في كتابه غزوات بلكين وجاء في معرض حديثه، أن بلكين تقدم نحو أعدائه الزناتيين ، وجعلهم يحاربون ويتقهقرون إلى الخلف ثم بدأ في حصار تلمسان ، ودخلها في آخر المطاف وأعلن سكانها الخضوع فعفا عنهم وقرر نقلهم إلى مدينة أشير ، حيث أسسوا مدينة جديدة سمّوها أيضا باسم تلمسان، وقد جرت هذه الأحداث سنة 361هجرية/ 972 ميلادية[1].

وأشار أيضا في موضع آخر من كتابه ، أنه بعد انتصاره على أهل تلمسان، قادهم إلى الموضع الذي سَتُنْشأ فيه مدينة أشير، فلما راقهم لكثرة عيونه، أسس المدينة التي تحمل هذا الاسم حيث أمر أصحابه بالإقامة فيها [2].

ثم إن هذا الكلام يتعارض مع نصوص تاريخية أخرى ،التي نَسَبَتْ تأسيس المدينة إلى زيري ، ونجد ابن الأثير نفسه يتكلم عن وفاة زيري سنة 361هـ ، ونستطيع القول أن المقصود هنا ،هو بلكين بن زيري، وهذا ما يؤكد ما ذكره البكري ، مع اختلاف بين البقية في تاريخ التأسيس، الذي لا يتعدى عدة سنين.

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .

[2] د/مبارك بوطارن، المرجع السابق.

والحقيقة أن البكري تحدث عن التحصينات وليس عن التأسيس، إن مثل هذه الأمور تعرقل من مهمة الأثري، للحصول على الحقيقة التي ينشدها.

لكننا من خلال نص ابن الأثير، نستطيع التأكد من تأسيس جماعة التلمسانيين، الذين استقدمهم بلكين معه لمدينة أعطوها اسم مدينتهم الفعلية، ومثل هذه الأمور كثيرة الحدوث ، فقد وقع أكثر من مرة في تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ففي فاس أسس المهاجرون إليها من مدينة القيروان عدوة، سموها بعدوة القرويين.

كما أسس أيضا المهاجرون من الأندلس عدوة، سموها بعدوة الأندلسيين، والسؤال الذي نريد له جوابا، هل تلمسان ذلك الزمان هي المدينة المعروفة ببنية في الوقت الحاضر؟

إننا لسنا متأكدين من هذا الأمر جيدا، ومع ذلك نقول أن بلكين فَهِمَ بسرعة، قيمة موضع هذه المدينة التي أنشأها قرب العيون، وعلى سطح جبل الكاف الأخضر، للسيطرة على السهول المقابلة، فعمل على أن تصبح مدينة بنية، عاصمة للزيريين في أول عهدهم، فرُحل إليها قبيلة صنهاجة، والاعتقاد الأكثر ميلا إلى الحقيقة هو وجود مدينتين، الأولى أُنْشِأَتْ من طرف زيري، والثانية من طرف بلكين، وكلاهما تحمل نفس الاسم.

لقد استقدم زيري بن مناد النجارين، والعمال من مختلف الاختصاصات، من المسيلة وحمزة (البويرة حاليا) وطبنة، كما طلب من الخليفة الفاطمي القائم أن يمده بأمهر المهندسين، وأيضا بكميات هائلة من الحديد، والمواد الإنشائية التي كانت متوفرة.

ثم شرعوا في بناء المدينة، وبعد الانتهاء من أعمال البناء توجه زيري بن مناد إلى طبنة والمسيلة وحمزة، ليحمل منها الطبقات الفاعلة من السكان إلى عاصمته الجديدة [1] . (خريطة رقم 3).

وهكذا عُمّرت مدينة أشير، بسكان لهم تقاليد حضرية، وأصبحت من أكثر المدن تحصينا ، كما ذكرت بعض المصادر التاريخية، أن هذه المدينة لا يستطيع أحد أن يدنو منها إلا من ناحية الشرق، وهذه إشارة إلى التحصينات الطبيعية، التي تمتاز بها من الجهات الثلاث الأخرى، وأن عشرة رجال أشداء باستطاعتهم الذود عنها من هذه الناحية [2]- أي الناحية الشرقية - فالمدينة محصنة طبيعيا، وقد أنشأت على رأس جبل تحيط به فجوج عميقة في كثير من الأجزاء، إذ يمكنك الاستغناء عن السور، الذي كان يمثل الوسيلة الدفاعية الأولى، في أغلب المدن الإسلامية المغربية .(صورة رقم 1).

لقد اكتفى الزيريون بتحصين بعض النقاط الضعيفة طبيعيا، ببناء أسوار لسد هذه الثغور، والقيمة المضافة لهذا المكان احتواءه على عيون تسقي المدينة، كانت مياهها غزيرة وذات جودة.(صورة رقم2).

عاش سكان المدينة في عهد زيري بن مناد، حياة امتازت بطابع الخشونة، وكانوا لا يتعاملون بالنقود، فلم نعثر على دلائل أو إشارات في الكتب التاريخية، تؤكد تعامل أهل هذه المدينة بمختلف أنواع النقود من ذهبية وفضية.

على الأرجح كانوا يقايضون القمح بالحيوان، وإلى غير ذلك من أنواع السلع، لكن الأمير الجديد استدرك الأمر وضرب السكة، وأنشأ جيشا نظاميا يتقاضى أفراده رواتبهم بانتظام[3].

---

[1] يقول البكري في هذا الصدد : "وهي جليلة حصينة ،يذكر أنه ليس في تلك الأقطار أحصن منها ولا أبعد متناولا ومراما " المغرب ، ص 60

[2] المصدر نفسه ، ص 60 .

[3] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .

لقد انتقلت القبائل البدوية التي كانت تعيش في المنطقة، من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، والعمل في الميدان الزراعي بعد تأسيس المدينة، وما تبعه من استتباب الأمن الذي وفره النظام الجديد، وإلى السوق الرائجة التي تمثلها مدينة أشير[1].

وخلاصة القول، أن مدينة أشير جاءت كنتاج للتنظيم الذي بلغه زيري بن مناد والمتمثل في انشاء إمارة عُرفت باسمه فيما بعد، وذلك سنة324هـ/935م ونظرا إلى أن قبيلة صنهاجة التي كانت تعيش حياة نصف بدوية ،ولم تكن تعرف مضاربها حواضر المدن الكبرى ،فكان لابد من عاصمة تمثل قلب هذه الدولة الفتية، (صورة رقم 3).

كما برزت في القبيلة العتيدة زعامات كثيرة، لكنها لم تحقق أهدافها المرجوة في بناء دولة، ولم تتمكن من الخروج من النظام التقليدي القبلي إلى نظام الدولة، فالمُلْكُ يحتاج إلى قصر وإلى مدينة وإلى دار إمارة، يتولى فيها تدبير شؤون الرعية.

فاجتهد زيري بن مناد ،على أن يكون أكثر من قائد قبيلة و طمح إلى أن يؤسس مدينة محصنة ، فيها قصرا يضاهي في الفخامة قصور القيروان و المهدية [2].

إن المستكشف لموضع مدينة أشير القديمة، يلاحظ وجود عين من الماء على بعد نحو 1كلم من مركز الموضع، هذه العين قليلة الماء وتسيل في وسط مجرى عميق وضيق.

[1] وصفها صاحب كتاب الاستبصار في قوله :"وداخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر " الإستبصار في عجائب الأمصار ، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري 12م، نشر مكتبة جامعة الإسكندرية ، 1958، ص 170 .

[2] النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 6، دار الكتب المصرية ، 1923 ، ص 485.

2- التسمية :

يتفق أهل الناحية على إعطاء أسم يشير أو الأشير [1]، على الأطلال أو الخرائب الموجودة جنوب جبل الكاف الأخضر ، مقابل موقع بنية ، ويصعب التعرف عليها إلا بعد استكشاف دقيق للموضع ، توجد هذه الآثار على هضبة قليلة الانحدار إلى الجنوب، يحميها سور يمكننا معرفة حدوده، رغم الأضرار التي لحقت به من جراء العوامل الطبيعية، وامتداد يد الإنسان إليه، حيث سقطت أجزاء كثيرة منه، بما فيها أساساتها إلى الفج المقابل، واسْتُعْمِلَ من طرف السكان المحليين، لبناء منازلهم أو كحواجز تحمي بساتينهم

3- الموقع

إن مدينة أشير كما وردت في بعض المصادر التاريخية [2]، و أيضا في بعض الدراسات الحديثة [3]، فهي تستند إلى السفح الجنوبي للكاف الأخضر ،مقابلة مدينة بنية التي تبعد عنها بمسافة 2 كلم ونصف ،وهذه الأخيرة أي مدينة بنية ،تقع هي الأخرى على السفح الشمالي الغربي لجبل كاف تيسمسايل، الذي هو عبارة عن هضبة تطل على سهل وادي الهواد.

فتاريخ المدن الثلاث يرجع لا محالة إلى فترة واحدة ،والانتشار الواسع لأطلال مدينتين كبيرتين منهما ، يدل على أنهما كانتا كثيرتي السكان ، واستنادا إلى المساحة الشاسعة التي يحيط بها السور ، وانطلاقا أيضا من أطلال الأحياء السكنية الواسعة، لنتخيّل العدد الهائل من السكان الذين كانوا

[1] Marçais (G) Manuel d'Art Musulman, t1, paris 1926, p, 112.

[2] Capitaine Rodet, Les ruines d'Achir, revue Africaine ,1908,p86 .

[3] من آثار مدينة أشير: أنظر دفاتر أشير، المتحف الوطني للآثار، تقرير حفرية سنة 1993، العدد الثالث، 1994

يقطنون بها، مما جعل منها مدينة تضاهي الحواضر الإسلامية الأخرى في تلك الفترة .

والملاحظ على مدينة أشير، وجود أحياء كبيرة تقع خارج أسوار المدينة، وهذا يدل على أن الزيريين، لما وفروا الأمن والاستقرار لبلاد المغرب الأوسط، كبرت أرباض المدينة التي أصبحت مساحتها أكبر بكثير من المدينة نفسها ، وربما قد لجأ الزيريون إلى هذه الفكرة، بعد أن ضاقت المدينة الواقعة داخل الأسوار بالسكان ، فاقتضت الضرورة إلى التوسّع خارجها، وهي أراض يمكن التوسع عليها إلى أبعد الحدود ،خاصة إذا علمنا أن هذه الأرباض لم تكن محاطة بأسوار، كما جرت العادة في غالب المدن الإسلامية، وإنما الذي كان يحيط بهذه الأرباض، هو الحدائق والبساتين، التي كانت مصدر رزق لأهل المدينة .

4- المساحة

إن كل هذه التحصينات الطبيعية منها ،والتي بناها سكان المدينة، تجعل منها فضاءً يتربع على مساحة تقدر بحوالي 15هكتارا، وأن هذه المساحة الأرضية قد زرعت على مر السنين، من طرف السكان الحاليين للمنطقة ،مما جعل معالم الموضع تكاد تنطمس نهائيا[1] .

فالزائر للمنطقة وقيامه بعملية استكشاف علمية منهجية، يستطيع أن يلاحظ بعض آثار البناءات المندرسة، التي كانت داخل المدينة، وأنه سيخلص لا محالة إلى نتيجة من خلال هذه الشواهد المادية .

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .

5- التحصينات الدفاعية

إن الصخرة التي شيّدت عليها المدينة، ترتفع عن سطح الأرض بارتفاعات كبيرة، بحيث لا يستطيع أحدا تسلّقها، أضف إلى ذلك التحصين الطبيعي، في منطقة جبل إن المُتَأَمِلَ لموقع مدينة أشير، وما اشتمل عليه من تضاريس ومميزات جغرافية، سيدرك لا محالة أن زيري بن مناد لم يختر هذا المكان بسهولة، دون دراسة من مختلف الجوانب، بل إنه يكون قد اختار هذا المكان بعد تفكير طويل ،احتاج فيه إلى مشاورة من لهم الدراية بمثل هذه المواضع ،ولن نكون مخطئين إذا عممنا هذا الكلام ،على مدينة منزه بنت السلطان ، فقبيلة صنهاجة كانت تقطن منطقة جبل التيطري منذ عهد بعيد ، وأن موضع منزه بنت السلطان، لم يكن غريبا على أفرادها، كونه حصنا استراتيجيا من الدرجة الأولى، استغلته القبيلة لتودع فيه أموالها وميرتها (المؤونة)، حتى تبقى محفوظة لا تصل إليها أيادي الغزاة .

وقد أشار البكري الذي كان معاصرا لفترة ازدهار المدينة، إلى أن أشير كانت من أعظم مدن المغرب ،ويذهب إلى القول أن هذه المدينة ،لم يكن لها مثيل في المنطقة ،من ناحية التحصين وأن عشرة رجال بإمكانهم الدفاع عنها[1]، لانعدام المسالك التي تربطها ببقية العالم الخارجي، إلا المسلك الوحيد من الناحية الشرقية ،والذي يؤدي بدوره إلى عين مسعود .

ثم إن زيري لم يبتعد كثيرا عن المناطق التي تسيطر عليها قبيلته، بل أنشأ مدينته بجوارها.

[1] البكري المصدر السابق ص 60

وكما ذكرنا فقد ساعد الخليفة الفاطمي المنصور، حليفه زيري بن مناد في تحصين مدينته، التي أصبحت من أكبر مدن المغرب، تنعم بالسلم والأمان ، وفد إليها العلماء والتجار، فأصبحت تعج بهم، وارتقت إلى مصاف الحواضر الإسلامية الأخرى[1].(صورة رقم4)

وقد أشار البكري الذي كان معاصرا لفترة ازدهار المدينة، إلى أن أشير كانت من أعظم مدن المغرب ،ويذهب إلى القول أن هذه المدينة ،لم يكن لها مثيل في المنطقة ،من ناحية التحصين وأن عشرة رجال بإمكانهم الدفاع عنها[2]، لانعدام المسالك التي تربطها ببقية العالم الخارجي، إلا المسلك الوحيد من الناحية الشرقية ،والذي يؤدي بدوره إلى عين مسعود .

6- أسوار المدينة

ومن المفيد التأكد هنا أن أسوار القصر موحدة، وليس هناك تفاوت بينهما سواء منها الخارجية أو التي شكلت الوحدات المعمارية، فمادة البناء فيه هي الحجارة المعالجة لتسطيح وجهها الخارجي، حتى تكون المسافات والفواصل فيما بينهما متساوية، وكذلك ليكون مقدار الملاط مساويا لتثبيت الحجارة فيما بينها، وأيضا ليظهر البناء بمستوى مستقيم في صفوفه المتراصة، وهو ما يفسر عدم لجوء البناء إلى إضافة قطع الدبش، قصد تسوية صفوف البناء ،وقد دعم سور القصر الخارجي بدعامات مكعبة وبمسافات متساوية بينها ،لقد كان متوسط سمك الأسوار يبلغ حوالي مترين [3]، وقد اتبع في بنائها نفس الأسلوب المتبع في منزه بنت السلطان، من حيث طريقة الدفاع ، إذ اقتصر الزيريون في بناء الأسوار، وتدعيمها فقط في المناطق التي لا تتمتع

[1] الاستبصار ،ص ،170

[2] البكري المصدر السابق ص 60

[3] Berque(A) l'Algérie terre d'Art et d'Histoire, Paris, 1937, p, 121

بالتحصينات الطبيعية ، وربما هذه النقطة تتطلب منا الوقوف قليلا عندها، حتى نبين الدافع إلى اتباع هذه الطريقة.

ويُعتقد أن الزيريون قد تفطنوا إلى اتخاذ المواقع المرتفعة لإنشاء مدنهم، اتقاء شر الأعداء وتقليصا من خطرهم، تماشيا مع طبيعة حياتهم في المنطقة، التي كانت تعتمد أساسا على الغزو، مما جعلهم يختارون لمدنهم الثلاثة مواقع محصنة طبيعيا ، فإنهم أيضا لجأوا إلى هذه المواقع، حتى يكفلوا أنفسهم وسكانهم صرف الأموال الطائلة، من أجل عملية التحصين، لو أنهم شيدوا مدنهم في أراضي منبسطة ، ناهيك عن الوقت الذي قد يستغرقه البناؤون، من أجل إحاطة المدينة بأسوار عالية وسميكة، قد تتطلب سنوات من العمل الشاق . (صورة رقم 5).

لذلك اكتفى الزيريون بسد بعض الثغور، التي لا تتمتع بحصانة طبيعية بالأسوار ، وهكذا جاءت أسوار مدينة أشير عبارة عن أجزاء بسيطة، تمتد من الناحية الشمالية ،بعيدة قليلا عن صخرة جبل الكاف الأخضر ، في حين تطل المدينة على الجهتين الغربية والشرقية، على فجين طبيعيين عميقين، يتراوح انخفاضهما تحت مستوى المدينة بحوالي 25إلى 40 متر، أما من ناحية الجنوب، فإن المدينة يتقدمها مرتفع ترابي يبلغ ارتفاعه، ما بين 5 إلى 10 أمتار[1].

لقد أقام تحصينات المدينة بلكين بن يوسف بن زيري بن مناد ،سنة 367ه/977م، لكنها خُرِبَتْ سنة 440ه/1048م ،على يد يوسف بن حماد بن

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .

زيري، وترك جيشه ينهب ويحرق ويعتدي على الناس، إلا أنها عادت إلى الحياة بعد 15سنة، كما كانت عليه في أعز أيامها[1].

7- الموارد المائية

إن مدينة أشير غير بعيدة عن وادي ملاق (وادي يسر)، حيث أن مجرى هذا الوادي يمر بمنطقة الجبل الأخضر ، وسهول منطقة البرواقية، وإلى جانب هذا الوادي نجد هناك مجرى وادي آخر، هو وادي الحراش حاليا، ينطلق من نفس المنطقة ويصب في البحر المتوسط.

وفي داخل المدينة كانت تنهمر المياه، من عينين أساسيتين هما :عين سليمان وعين تيراغ.[2]

8- الطرق التجارية

إن هذه المدينة المسماة بأشير، تحتل موقعا مهما في قلب المغرب الأوسط ،وتتخذ من موضعها الكائن على جبل الكاف الأخضر، موقعا استراتيجيا، تسيطر به على منطقة الهضاب العليا، وعلى السهوب الجنوبية، كما أَهَلَهَا موقعها لتكون ملتقى أهم مسالك التجارة في العصر الوسيط، حيث أنها كانت تتوسط القوافل التجارية أنذاك، فالمدينة بحد ذاتها غير بعيدة عن جزائر بني مزغنة شمالا ،وهي أيضا من جهة الشرق قريبة من المسيلة وما جاورها من الحواضر ،والى الغرب على محورها تقريبا تيهرت إلى تلمسان، وإلى الجنوب والجنوب الغربي هناك كثير من الممرات، المؤدية إلى سجلماسة مرورا على مدينة الأغواط وعين الصفراء، الأمر الذي جعل أشير على اتصال قوي مع القوى الاقتصادية في المحاور المذكورة، كما يقوم شاهدا على

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .

[2] البكري ، المصدر السابق ،ص 60 .

رغبة الحكام في توسيع أفق علاقاتهم مع كل الحواضر، بمن فيها التي في المنطقة الشمالية ،أي خارج الحوض المتوسط.

9- أقسام المدينة

نستطيع القول أن مدينة أشير هي أول الحواضر الثقافية الزيرية، التي أصبحت فيما بعد تابعة للدولة الحمادية .

إن مجموعة البنايات التي تكوّن المدينة، تدل على أنها حصنا، أُسِسَ في الفترة التي تم فيها تأسيس مدينتي أشير وبنية، واللتان تتخذان من المنطقة نفسها موقعا لهما [1].

فهي عبارة عن ثلاث تجمعات سكنية منها :منزه بنت السلطان، أشير ، والبنية ، مواقعها الأثرية أثبتت أنها كانت في يوم ما مدن لها شأنها ويحسب لها حسابها في المغرب الأوسط ،(خريطة رقم 2)

10- مخطط المدينة

إن المدينة كان لها مخططا منتظما لم يوضع هكذا اعتباطا، وإنما خضع إلى دراسة مطوّلة، قبل البدء في عملية إنشاء هذه المدينة، والدليل على ذلك وضعية الكتل البنائية، وكيفية انسجامها، هذا من جهة ومن جهة أخرى، موقع المنبعين اللذين يزوّدان المدينة بالماء الشروب ، حيث جاء موقعهما في الناحية الشمالية للمدينة، في مكان مرتفع عنها مقابل جبل كاف الأخضر، يبرهن على مهارة المعماري الزيري، ذلك أن هذه الجهة تتميز بانعدام البناء فيها، حيث لم يعثر فيها إلا على بقايا من حجارة الدبش، والقرميد والآجر وليف وبقايا الفخار(لوحة رقم 6).

[1] ذكرها البكري أشير

هذا فيما يخص المنشآت التي بداخل السور، أما خارج الأسوار فيلاحظ هناك الكثير من الخرائب المتواجدة في أراضي الحرث، يمكن أن يرجع إنشاؤها إلى بداية العهد الزيري، أي معاصرة للمدينة ،(صورة رقم 7)

11- مخطط القصر.

يقوم على مساحة مستطيلة (72م x40م) مبني بطريقة التناظر، متكوّن من قسمين متماثلين تماما، في الشكل والمساحة وعدد الوحدات المعمارية القائمة على الحامل والمحمول وعلى الانكسارات في ممراته التي تحد وتكسر المدى البصري والتيار الهوائي معا. (صورة رقم8و9)

يتكوّن القصر معماريا من جناحين متماثلين تماما ويمكن وصف مخطط القصر بمدخله المبني على محور الغرفة الكبيرة هي غرفة التشريفات ويمتاز بمدخل متقدم بارز عن جدار أو محيط القصر، هناك إوانين للحراس ،تليها غرفتان مستطيلتان ،خلفهما غرفتان ، إحداهما بباب واسع وأخرى بباب ضيق ،تؤديان إلى رواق معمد بأعمدة ضخمة ،مرتكزة بدعامة مستديرة كبيرة ذات حلقات متراكبة بين بارزة وغائرة ،على نمط التراجع أو ما يعرف بالضمور والانتفاخ .متوّجة بتيجان كبيرة مناسبة لقطر الأعمدة وقواعدها فالتيجان تميل إلى النمط الكورنثي ذات زخارف بأوراق فصية محورة وهناك تاج منها نحت على بدنه بأشكال شبيهة بالمقرنصات .(صورة رقم10)

وهناك رواق يطل على وسط القصر الواسع يتصل بغرفة التشريفات، على طول باحة القصر إذ ينتهي طرفاها بإقامة غرفتين مفتوحتين على الباحة.

أما الترتيب المعماري لأحد جناحي القصر فقد قسم إلى قسمين أولهما يتضمن وحدات معمارية ممثلة في غرف عديدة مركبة على صفين صف من الغرف الأمامية متصلة بالباحة السماوية للقصر اثنتان متصلتان ببعضهما ومتشابهتان في الشكل والحجم واسعتان في الوسط منتهيتان بإيوانين على طرفيهما بينما الجزء المحاذي لهما يتضمن غرفة شبه مستطيلة بدون ايوان وبجانبها وحدة مربعة وجدت بأرضيتها قنوات من الفخار متصلة من الخارج من جهة وواصلة الى باحة القصر عبر قناة بنائية عريضة نسبيا مما يؤكد ان الغرفة كانت صهريجا للمياه خاصة وان أرضية الغرفة ذات ملاط متبوع بطبقة ناعمة منعا لرشح الماء ومن المفيد الإشارة أن مداخل الوحدات المذكورة مواجهة للباحة أو من المرور عليها كالغرفة الصغيرة.

خلف الغرفة السابقة أنشئت أربع غرف على الجوانب بينما ترك الوسط منها كممر يوصل الى باحتين بينهما غرفتان مدابرتان وفي مواجهة كل باحة،على جانب كل واحدة منهما غرفة صغيرة مدخلها من الباحة طبعا.

يتوسط الغرفتين رواق على جانبه بابان يتصلان دائما بالباحة وفي مقابل الباحتين، وحدتان مختلفتا الحجم فالوحدة الشمالية الصغيرة يربطها بغرفة أخرى صغيرة ممر، التي هي بمثابة حوض مائي، كانت المياه تأتيه من الينابيع في اتجاه الباحات الأربع لوجود القنوات والسواقي، بينما في الجزء الجنوبي أنشئت غرفة مستطيلة بكامل عناصرها المعمارية ،من الإيوان المحوري على الباحة إلى الإيوانين الجانبيين لها، ومع ذلك تلاحظ الغرفة الصغيرة المعتبرة كحوض توصل المياه الى الباحة المواجهة لها (شكل رقم4).

فكل هذه الغرف الكثيرة، والأروقة بأعمدة ضخمة ،وبه أيضا ساحات واسعة، ورغم أن البقايا الأثرية ، تدل على أن المدينة توجد على بضع مئات من الأقدام شرقي السور، وأن هذه الأخيرة تتمحور حول أطلال قصر زيري، فإن مخطط هذا القصر يظهر مدى اهتمام الزيريين بالمنشآت المائية ،فهناك قنوات ممدودة وهناك بيوت ماء وحمامات خاصة، وكل هذه المنشآت تدل على استعمال كميات هائلة من المياه في الحياة اليومية، ونعتقد اعتقادا جازما ،أن أمراء بني زيري قد استعملوا العيون الكثيرة الموجودة في الكاف الأخضر، لتلبية حاجاتهم من المياه ،كما هو الشأن في قلعة بني حماد .

فالحمّاديون بنوا في القلعة قصورا فخمة، منها قصر البحر الذي زوّدوه بحوض مائي ضخم ،كانت تقام فيه السباقات المائية.

ومن المفيد التأكد هنا ،أن أسوار القصر موّحدة، وليس هناك تفاوت بينهما ،سواء منها الخارجية، أو التي شكلت الوحدات المعمارية، فمادة البناء فيه هي الحجارة المعالجة، لتسطيح وجهها الخارجي، حتى تكون المسافات والفواصل فيما بينهما متساوية، وكذلك ليكون مقدار الملاط مساويا لتثبيت الحجارة فيما بينها، وأيضا ليظهر البناء بمستوى مستقيم في صفوفه المتراصة، وهو ما يفسر عدم لجوء البناء إلى إضافة قطع الدبش، قصد تسوية صفوف البناء، وقد دعم سور القصر الخارجي، بدعامات مكعبة متساوية قليلا وبمسافات متساوية بينها.

12- العناصر المعمارية

لم يحتو قصر أشير، على كثير من وسائل الدعم، لوحداته المعمارية، إلا في الرواق المشرف على الباحة الكبيرة للقصر، وتلك الوسائل التدعيمية مركبة بعناصر متعددة الأشكال، قاعدة مكعبة على شكل قرمة فوقها بسطة مربعة (وسادة)، متراجعة فحلقة مستديرة سميكة، ارتكز عليها عمود ضخم، يصل طوله إلى أكثر من مترين، ويتشكل الرواق من تسعة أعمدة موزعة فيما بينها، على مسافات متساوية مقدرة بمتر ونصف، ويدل حجمها الكبير والثخين، على كبر القصر وسعته أيضا، وعلوّه المبالغ فيه، وتُوّجت الأعمدة بتيجان غير موحدة، وإن كان معظمها ذات زخارف مروحية، مجردة مثناة إلى الأمام، تغطي بعضها القرون المدببة، وتيجان أخرى ذات زخارف حبالية، في شكل مثلث بواسطة عرنوس مخروطي، شكل ببدن مسطح بينما نُحتت قرون مدببة في الأركان. (صورة رقم11)

غير أن أهم تاج يمكن التوقف عنده طويلا، الذي نحتت على رقبته أشكال المقرنصات، أجمع جلّ الباحثين في تاريخ الفن الإسلامي، بأنها ترجع إلى القرن الثاني عشر، وأن موطنها المشرق الإسلامي، ولكن الصانع الزيري، اهتدى إلى تشكيله في القرن العاشر، ثم تواصل ظهوره فيما بعد بقليل، بقلعة بني حماد مع بداية القرن الحادي عشر[1] .

وأهم ما يشد الانتباه في قصر أشير، بل وفي محيطه ذلك الزخم الكبير، من الخزف الدقيق الصنع والمشبع بأنواع الزخارف الفنية، التي طبعت تلك القطع المتناثرة، وهي كلها ذات طابع فاطمي، حسبما تواصل صنعه في

[1] كتامة والحضارة الفاطمية ، وزارة الثقافة.

القاهرة بعد تنقلهم إليها' وهناك بروز بعض الملامح الفنية، لعناصر العمارة بالمغرب الأوسط، أصبحت هي المتداولة في كثير من البلدان المشرقية.

➢ منزه بنت السلطان

1- الموقع

فأطلال المدينة الأولى أو الحصن المسمى، منزه بنت السلطان[1]، يقع على الجزء الأعلى من قمة صخرية ومستوية، على جبل الكاف الأخضر الشرقي، وتحديدا في منازل قبيلة أولاد علان زكري .

تحيط بها فجوج عميقة، لا أحد يستطيع عبورها، ولم يبق إلا بعض النقاط القليلة ،التي يمكن من خلالها الدخول للموضع ، هذه الأخيرة فقط ،هي التي قام الزيريون بتحصينها، في حين أبقوا على التحصينات الطبيعية، بالنسبة للأجزاء الأخرى من المدينة ،(صورة رقم 13).

وتمتد مدينة منزه بنت السلطان من الجنوب إلى الشمال، في موضع يمتاز بقلة انحداره من الناحية الشرقية ، يبلغ ارتفاعه على مستوى سطح البحر حوالي 1300م وأن هذا الموقع في الحقيقة مواز لقمة جبل الكاف الأخضر، وهو منفصل عن الكتلة الأساسية لهذا الجبل، ويقع في مستوى منخفض عن قمة الجبل بحوالي 150م.

هذا الموضع الحصين طبيعيا، محدود بفجوج عميقة ،كما سبق وأشرت إلى ذلك، من النواحي الشمالية والغربية والشرقية، وهذه الفجوج تقل عمقا من الناحية الجنوبية، مما يجعله موقعا يصعب الوصول إليه بسرعة ، غير أنه من ناحية التحصين ،يعتبر موقعا استراتيجيا ودفاعيا، إلا أنه من ناحية المراقبة ،يعتبر أقل مكانة ،حيث تقف قمة جبل الكاف الأخضر حاجزا أمامه

[1] (Marçais (G) ,Achir,(Recherches d'Archéologie Musulmane),in Revue Africaine ,1922,n°310.

على بعد 200م، ولا يستطيع الناظر أن يبلغ مدى بصره أبعد من هذه النقطة، كون أن قمة هذا الجبل ،ترتفع على مستوى موقع منزه بنت السلطان بحوالي 150م.

2- المساحة

إن مساحة الموقع تتراوح أبعادها، ما بين 276م طولا و25م عرضا، وهذه الأطوال هي في الحقيقة، أبعاد الصخرة التي اتخذت موقعها لهذه المدينة.

3- أسوار المدينة

إلا أن الزيريين زوّدوا مدينتهم هذه بأسوار ضخمة، لكننا لا نستطيع اليوم معرفة علوّها على أرضية المدينة الداخلية، بسبب اندثارها، في حين يمكننا أن نقدر سمكها بحوالي 2م .

أساسات الأسوار وضعت على الصخرة المدرجة، بطريقة تجعلها متينة ،فاستخدم في بنائها دعامات تشبه حرفT ،تزيدها متانة ودعما لها، حتى تجنبها السقوط والانهيار نحو الخارج ، وأن هذا السور الذي هو في وقتنا الحاضر، لم يبق منه قائما إلا بعض معالمه ، فإن بعض الكتابات أشارت، إلى أنه كانت أجزائه قائمة في بداية القرن العشرين.

4- البرج

في أعلى قمة الموضع كان هناك برج نصف دائري، مكون من غرفة كانت تستعمل كمأوى للجند ، وكان هذا البرج يستعمل أيضا، كنقطة مراقبة المناطق الشمالية لتحصينات المدينة ، أما الجهة الغربية فكان بها أيضا برج آخر، وظيفته التحكم في المسلك الوحيد، المؤدي إلى الحصن الرئيسي .

وإذا ما حاولنا دراسة المباني التي تتكون منها المدينة ،والتي ما زال بعض أجزائها قائما إلى اليوم ، نقول أن البنايات الداخلية للمدينة الحصن، تتكون من برج نصف دائري ،يقع في أقصى نقطة من الجهة الشمالية للحصن ، ومن مجموعة بناية مركزية، تستند إلى صخرة كبيرة من خزان المياه ، يقع في الجهة الجنوبية للصخرة.

أما عن الأسلوب المتبع في البناء ، فقد استعملت فيه الطريقة البنائية العادية والبسيطة في الوقت نفسه ، وهنا يجدر بنا الوقوف على تفاصيل هذه المجموعات البنائية، وذلك للمزيد من التوضيح .

5- الخزان

فالخزان مربع الشكل، أضلاعه تبلغ عشرة أمتار من الطول، أما عمقه فيصل إلى متر ونصف المتر من العمق، وإن سعته من المياه تبلغ 150م^3.

6- مخطط المبنى الرئيسي

أما مجموعة البناء المركزية فتتكون من عمارتين، يفصل بينهما صحن داخلي ، وأن كل بناء من هذه البناءات مستطيل الشكل ،طوله 15م وعرضه 6م ، وكل بناء مستطيل يقسمه سور داخلي، بطريقة يجعل منه مستطيلين، والكتلة البنائية ككل تكوّن أربع حجرات، اثنتين تقعان شمال الصحن الداخلي، و اثنتين جنوبه ،إن هذه المساحة المبنية يمكن لها أن تأوي حوالي أربعين رجلا ، أما الصحن الداخلي فمن الممكن جدا أن يكون مكانا للتجمع فيه ، أضف إلى ذلك أن الحصن الشمالي يمكن أن يأوي أكثر من عشرة رجال .

الأمر الذي يجعلنا نُقَدِر عدد الجند في هذا المجمع الدفاعي بحوالي 50 رجلا ، ويمكن أن يرتفع هذا العدد في مناسبات أخرى ، أي في أيام الثورات والحروب ، حيث يمكن لمجموعة من الرجال والنساء والأطفال وبعض مواشيهم، أن تجد في هذا المكان مأوى يحميها من هجمات العدو، خاصة إذا علمنا أن هذا الحصن كان منيعا ، وأن هذه المنشأة البنائية والدفاعية في آن واحد، لم تكن مزودة إلا بباب واحد، يربطها بما جاورها من التجمعات السكانية ، ولم يعثر له على أبواب أخرى، ولا على أنفاق تحت الأرض، تربط هذه المدينة منزه بنت السلطان بما يجاورها، وذلك سيرا على نمط بعض المدن الإسلامية الأخرى[1].

وكان هذا الحصن يأخذ ماءه من عين تسمى عين بن عزوز، تقع على بعد 200م من الجهة الجنوبية الشرقية ، وتتخذ من فج عميق مواز لقمة الصخرة منزه بنت السلطان موقعا لها ، وقد كانت لا تزال قائمة إلى بدايات القرن العشرين، حسب بعض الدراسات الحديثة [2]، شاهدة على الماضي التليد لهذا الحصن العتيد، رغم أنها كانت في تلك الأثناء قليلة المياه[3] .

إن مدينة منزه بنت السلطان، كانت حصنا يسهل الدفاع عنه ، إلا أنه كان ضيقا من حيث المساحة ، بحيث لا يستطيع أن يأوي العدد الكبير من المدافعين ، علما أنه كان أيضا محدودا جدا، من حيث امداده بالمياه الصالحة للشرب، بما يكفي وحاجة الأعداد الهائلة من المدافعين ، وهذا ما يجعل الدفاع عنه في حالة الحصار، عملية صعبة للغاية ، وربما هذه المشاكل ناجمة عن كونه أول مدينة بناها الزيريون، قبل بنية وأشير، مما يوحي لنا بالبدايات

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .
[2] Capitaine Rodet ,Les ruines d’Achir ,in revue Africaine ,1908,p,89 .
[3] د/مبارك بوطارن، المرجع السابق.

الأولى لاستقرارهم ، إذ ربما كان الأمر لا يتطلب مساحات كبيرة لاستقرارهم، مما يفسر قلة عددهم في أول عهد دولتهم[1].

أما عن المسلك الذي يصلها بمدينة أشير، والذي يربطها أيضا بمدينة بنية، فكان ينطلق من أشير متتبعا الحافة الصخرية من القاعدة العليا للكاف الأخضر، حتى يصل إلى كاف السمير، ثم يقطع عنق فج السمير، ثم يمر عبر خط من القمم الجبلية ،ثم ينحدر على السفح الشمالي للكاف الأخضر، لينعطف بعد ذلك إلى جنوب الصخرة ،التي تستند عليها مدينة منزه بنت السلطان، ليصل غربا إلى المدرج الذي يصعد به إلى الحصن .

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .

➢ البنية

1- الموقع

تقع مدينة بنية في موضع يتربع على السفوح الشمالية الغربية لكاف تيسمسايل ، قبالة مدينة أشير ،حيث لا يفصل بينهما إلا مسافة 2,5 كلم .

إنها في جنوب أشير وعلى مسافة قصيرة من المدينة، ووسط سهل صغير، توجد القمة المسماة تيسمسايل ،موضع مدينة بنية ، حيث يلاحظ وجود بقايا آثار عدد من العيون، التي كانت تسقي سكان المدينة فيما مضى [1]،وهي ما زالت مستعملة إلى الآن ،وأن بعضها ما زال يحمل أسماء قديمة ورد ذكرها عند البكرى[2] .

يعد موضع مدينة بنية موضعا استراتيجيا ، فهو مكون من هضبة ، يمكن من خلالها التحكم في المنطقة ومراقبتها ، ذلك أنه يطل على ثلاثة اتجاهات هي الغرب ،والشمال ،والشرق ، أما من ناحية الجنوب فينتهي بحصن ، يتوج قمة الجبل الصخرية لكاف تيسمسايل . مما يجعل منه موضعا دفاعيا بامتياز. (صورة رقم 14).

2- المساحة

وأما أحياء المدينة فتتربع على مساحة إجمالية تقدر ب35 هكتار ، وهي تنقسم إلى قسمين يختلفان من حيث المظهر العمراني ،(صورة رقم16).

---

[1] د/مبارك بوطارن، مدينة أشير النشأة والتطور، أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر .
[2] ابن خلدون ،المصدر السابق ج 6، ص،181.

3- السور

أما سورها فيمتد إلى قاعدة صخرية ،وهو سور عريض سمكه كسمك سور مدينتي أشير ومنزه بنت السلطان، أي حوالي مترين ، وكان ذا علو مناسب ،إذ قدرناه من خلال الأكوام الحجرية المتساقطة ، وقد رُوعِيَ في بنائه إتباع خطوط الانكسار المشكلة للهضبة، التي أُنْشِأَتْ عليها هذه المدينة (صورة رقم17).

4- مخطط البنية

فمخطط الجهة العلوية، والمحددة بأكوام من التربة المتواجدة، ما بين باب الماء وعين بنية يتميز بالانتظام، وقد كان يقطنه علّية القوم من القادة والجند، أما الجهة السفلية من المدينة، وهي التي تتميز بكثرة الاتساع مقارنة بالجهة العلوية، فهي مبنية على شكل مدرج، وأغلب بناياتها مبنية على أرضيات منحدرة ، (خريطة رقم 5).

أخيرا يمكن القول أنه مهما قيل عن مدينة أشير، فإننا لا نستطيع أن نعطيها حقها، في غياب النصوص التاريخية و الدلائل المادية.

خلاصة

ومهما يكن الأمر، فإن أشير التي أنشأها زيري بن مناد سنة 324هـ ،كمركز حربي لمقاومة قبيلة زناتة، التي امتنعت عن طاعة الفاطميين، والتي كانت تشكل خطرا عليهم، سرعان ما أصبحت حاضرة إسلامية قوية، بفضل حنكة أميرها ،الذي جلب إليها البنائين والحرفيين المهرة من المدن القريبة منها، كالمسيلة وطبنة، فتفننوا في تخطيطها، فوصفها المؤرّخون بأجمل الأوصاف ،ونعتوها بأحسن النعوت.

نظرا لعراقتها وأصولها التاريخية، وذكر آثارها في العديد من المؤلفات، جاء ذكر تنقل سكان أمصار أخرى، إلى مدينة أشير لتعميرها في كتاب "العبر " لابن خلدون، كما اشتهرت بفقهاءها وعلمائها، الذين من بينهم أبو عمران الأشيري، والحديث عن مكانة أشير، تجرنا للحديث عن العلامة ابن خلدون، الذي اختار إحدى قلاعها للإقامة فيها، والتفرغ للتأليف، كما نزل بها المهدي ابن تومرت، أثناء عودته من ملالة إلى المغرب، وكذا ابن حوقل والإدريسي...وبقيت مدينة أشير قبلة العلماء والفقهاء عبر العصور.

- **مدينة الجزائر بني مزغنة 339هـ.**

تولى بلكين خلافة المعز لدين الله بإفريقية ، سنة 362هـ قال ابن خلدون :"واستقدمه السلطان لولاية إفريقية بعد سنة إحدى وستين ثم نهض السلطان الى القاهرة ، واستخلفه وقد لقبه بسيف الدولة، وعرّب اسمه بيوسف وكنّاه ابا الفتوحات ،وكانت كلها ألقابا في موضعها اختار بلكين الإقامة في آشير عاصمة والده وعشيرته ، بدلا من القيروان التي عيّن فيها كاتبه الخاص عاملا[1].

1- التأسيس:

هو بلكين بن زيري بن مناد، بن منقوش البلكاني الصنهاجي، من أقوى القبائل البربرية وأشهرها، كان موطنها بعد الفتح، يشمل معظم تلول الجزائر، بين جبال الأوراس ومدينة تنس .

بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، ويرجح أن الجزائر فتحت بين سنتي 88-90هـ على عهد ولاية موسى بن نصير ، لم يجد بها المسلمون إلا أطلالا ماثلة ،لما مرّ عليها من فتن ودمار، في العهدين الوندالي والبيزنطي .

ولما قامت الدولة الفاطمية، في أواخر القرن الثالث الهجري ،وهي معروف عليها أنها دولة معمارية ، فقد فكروا في تأسيس مدن جديدة أو تجديد القديمة ، فكان زيري بن مناد عاملهم على الجهة الغربية ، وهو متأثر بالعامل المعماري ، المؤسس لمدينة أشير، في أوائل القرن الرابع الهجري[2] .

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ المدن الثلاث ، ص 244.
[2] عبد الرحمن الجيلالي ، نفس المصدر، ص 212.

يقول ابن خلدون في كتاب العبر، ثم اختط ابنه بلكين بأمره[1] (أي بأمر أبيه زيري بن مناد الصنهاجي، المتوفي في رمضان سنة 360 هـ) وعلى عهده مدينة الجزائر، المنتسبة لبني مزغنة بساحل البحر، فأذن لولده وولي عهده بلكين بن زيري، بتأسيس مدينة الجزائر في سنة 339هـ.

2- التسمية :

الجزائر العاصمة (باللهجة المحلية: دْزَايرْ) (باللغة الأمازيغية: لزاير تامنايت((Lezzayer Tamanaɣt، هي عاصمة الجمهورية الجزائرية وأكبر مُدنها من حيث عدد السكان ، ومن مُسمّياتها الحالية البهجة و المحروسة والجزائر البيضاء، وذلك لبياض ولمعان عماراتها ومبانيها والتي يُخيّل للناظر أنها ترتفع عن سطح البحر، وفي مذكرة صغيرة حول أصل تسمية الجزائر كتب ألبرت فرحات اسم «الجزائر» بالفرنسية (Alger) والذي يُنطق "ألجي" مشتق من الكتالانية (Alguère) وهو بدوره مشتق من «الجزائر» (جزائر بني مزغنة)، وهو الاسم الذي أطلقه عليها بولوغين ابن زيري ،مؤسس الدولة الزيرية عند بنائها ،وذلك على أنقاض المدينة الرومانية القديمة، التي كانت تحمل اسم إكوزيوم (Icosium)، ويشير الاسم إلى الجزر التي كانت قُبالة ميناء الجزائر في تلك الحُقبة والتي تم دمجها فيما بعد بالرصيف الحالي للميناء، أما بداية ظهور اسم "جزائر بني مزغنة" ، في النصوص الجغرافية والتاريخية، في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10 م)، عندما كتب عنها الرحالة التاجر الشيعي، ابن حوقل النصيبي (ت بعد 977/367م) ، في كتابه الجغرافي الوصفي الموسوم بـ" صورة الأرض" وجزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف البحر أيضا، وفيها أسواق كثيرة، ولها عيون على البحر طيبة

---

[1] ابن خلدون ،العبر ، ج 6 ، ص 154.

وشربهم منها، ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثرة، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال، ولهم من العسل ما يجهز عنهم والسمن والتين ما يجهز ويجلب إلى القيروان وغيرها، ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها فإذا نزل بهم عدو لجئوا إليها فكانوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه[1]".

نُسبت إلى قبيلة بربرية، هي قبيلة مزغنة الصنهاجية، فسميت جزائر بني مزغنة . وهو نفس الاسم الذي أطلقه عليها بولوغين ابن زيري، مؤسس الدولة الزيرية عند بنائها كما سبق وأشرت.

بدأت الحركة المعمارية في المدينة توازيا مع تاريخ التأسيس ،على يد المؤسّس نفسه ،بلكين بن زيري سنة 339هـ .

3- مُخَطَط العمران :

وقد مرت مدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي بأنواع مختلفة من التخطيطات، منها التخطيط الشطرنجي، الذي يرجع الى العهد الروماني ،وميزة شوارعه وانهجه المستقيمة [2]، والمتبعة في اتجاهاتها لخطوط التسوية ، مثل شارع الكاردو وشارع الديكيمانوس ، ويظهر أن الشارع الرئيسي كاردو، كان ينطبق في امتداده من الشمال الى الجنوب ، على شارع باب عزون ليخرج في باب الوادي ، بالقرب من حديقة سيدي عبد الرحمن الحالية ، (خريطة رقم6).

والمتتبع لخط هذا السور، يلاحظ انه كان لا يسير في استقامة واحدة ، بل كان عبارة عن خط منكسر، يشبه أضلاع مثلث رأسه عند نقطة التقاء نهج

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992، ص. ص. 77-78.
[2] مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830،درتسة في جغرافية المدن.علي عبد القادر حليمي،رئيس قسم الجغرافيا بجامعة الجزائر.،ص50

بلمي ونهج انيبال ، وهما النهجان اللذان حلا محل السورالصنهاجي ،بعد أن هدم الأتراك سور بلكين، لتوسيع المدينة إلى هذه الجهات العلوية .(صورة رقم 18).

ويظهر أن أهم أنهج نشأت في العهد الصنهاجي هي الأنهج المتقطعة ، مثل نهج الباب الجديد ونهج القصبة حاليا، اللذان تولدا عن سبل بسيطة ، كانتا تمثلان المدخلين الرئيسيين للمدينة من الجهات العلوية[1].

ويبدو أن المنازل كانت في بداية الأمر متباعدة عن بعضها، تتخللها أو تفصل بينها مزارع وحدائق، لتموين سكان المدينة بالخضر والفواكه، وتضمن لهم الأرزاق أثناء الحصار.

4- بناء القصبة

لقد اختار بلكين لبناء قصبته، موضعا يتشابه إلى حد بعيد ، والموضع الذي انتقاه الأمير الصنهاجي، زيري بن مناد في القرن العاشر للميلاد لبناء مدينة أشير ، ذلك أن البربر في بناءهم للمدن، كانوا ينتقون الروابي التي تتوفر بها المياه للشرب، وتكثر بها العيون الجارية، وتشرف على منطقة واسعة، لاستكشاف العدو من بعيد والاستعداد له قبل الوصول(خريطة رقم 7).

وكانوا يراعون في تخطيطاتهم للمدن، أن تكون العيون داخل أسوار المدينة ،حتى إذا داهمهم العدو أو حاصرهم ، لا يمكنه أن يقطع عنهم مياه الشرب ، ويستحسن أن تكون العيون في الجهات العلوية من المدينة ، حتى يسهل عن طريق الجاذبية، بناء سواقي لتموين السكان ،وادخال المياه إلى المنازل ، ولهذا اختار زيري لبناء مدينة أشير، في جبل تنبجس من أعاليه عيون

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ المدن الثلاث ،ص 79.

غزيرة المياه، مثل عين سليمان وعين تلة تيراخ . (صورة رقم19 لقصبة الجزائر خلال الفترة الاستعمارية).

وكذلك فعل بلكين ،في تجديده وتوسيعه لجزائر بني مزغنة، فاختار موضعا تتوفر به مواد البناء ،ومياه الشرب ، قريبا من البحر على ربوة مشمسة ، يمكن الإشراف منها على مساحة واسعة من البر والبحر.

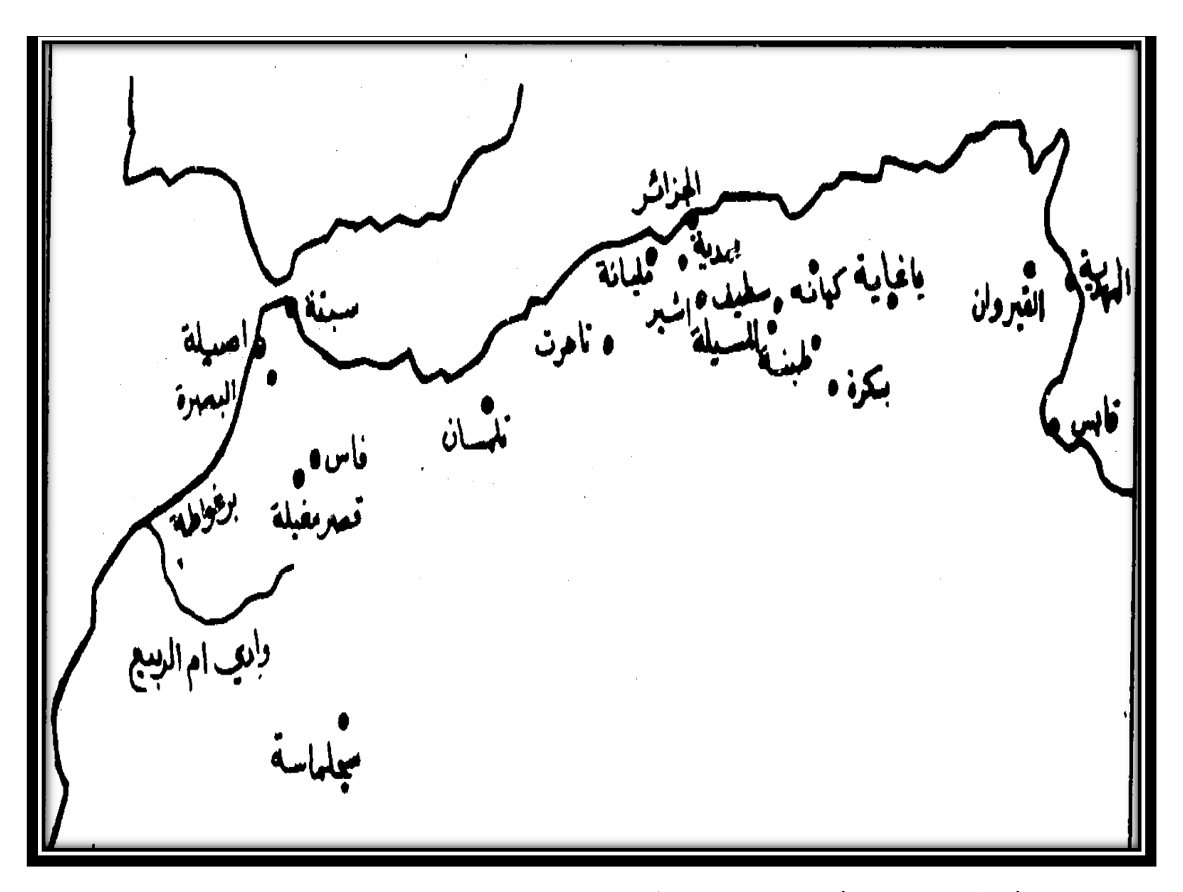
ونلاحظ أيضا أن الصنهاجيين ،اختاروا عين المزوّقة عند التقاء نهج بالمي وهانيبال والغزالة حدا غربيا، لمد أسوار القصبة ولأداء تلك الوظائف السابقة ، إذ تنبجس هذه العين على خط ارتفاع 70م تقريبا، وبالتالي يمكن إدخال المياه منها عن طريق الجاذبية إلى المنازل الواقعة في أسفل العين [1].

لا شك أن عين المزوّقة كانت تقع داخل أسوار المدينة، مثلها في ذلك مثل بقية العيون ، التي كانت تموّن سكان القصبة وحي البحرية، مثل عين العطش ،وعين العلج ،وعين السلطان ،والعين الجديدة ،وكانت مياه هذه العيون تكفي لسد حاجات السكان قبل اكتظاظهم، ثم حُفِرَتْ الآبار في ساحات المنازل ،عندما زاد عدد السكان ،وهذا يُظهر أن الاختيارات الصنهاجية كانت موفّقة ، في توسيع مدينة الجزائر.

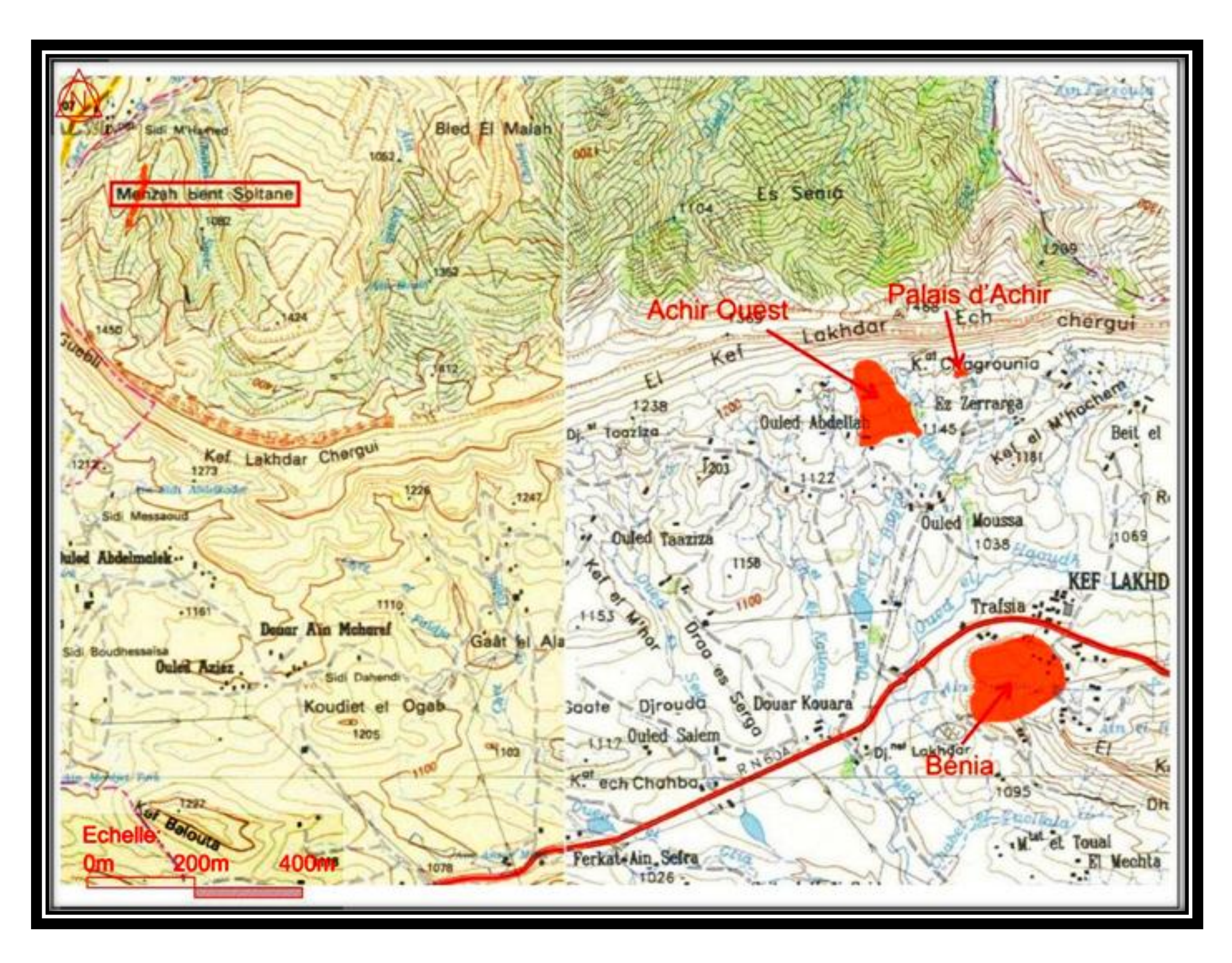
ويقال أن بلكين قام ببناء الحصن ،الذي كان قد بناه الرومان في نفس المكان ، وبنفس المواد التي قد بُنِيَ بها، ومن ثم بدأ عدد السكان في تزايد تدريجي، مما أدى إلى ازدياد البناء ،الذي راح يحتل الحدائق باضطراد.

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ المدن الثلاث ، ص 80

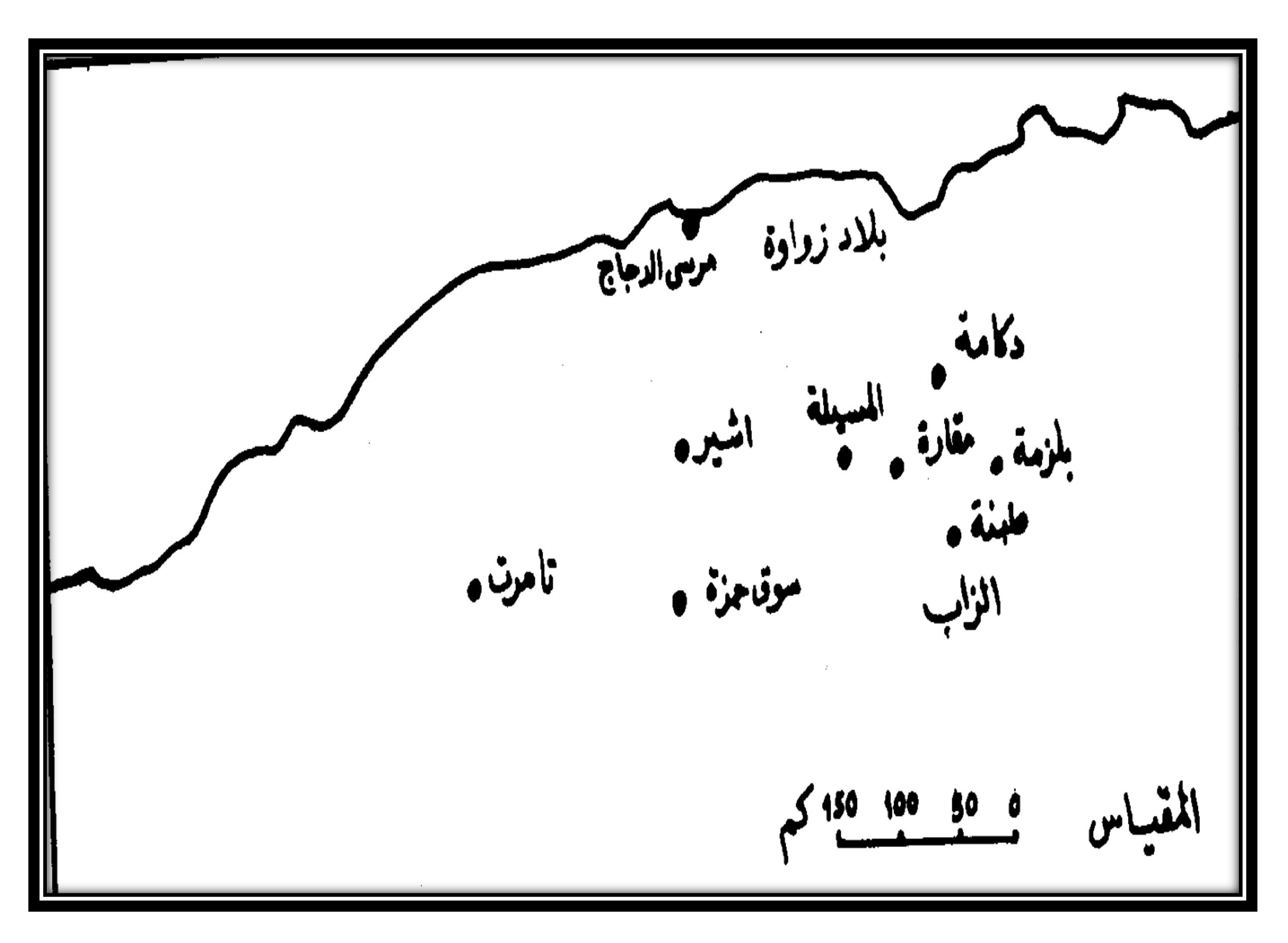
ملحق الخرائط
للفصل الرابع



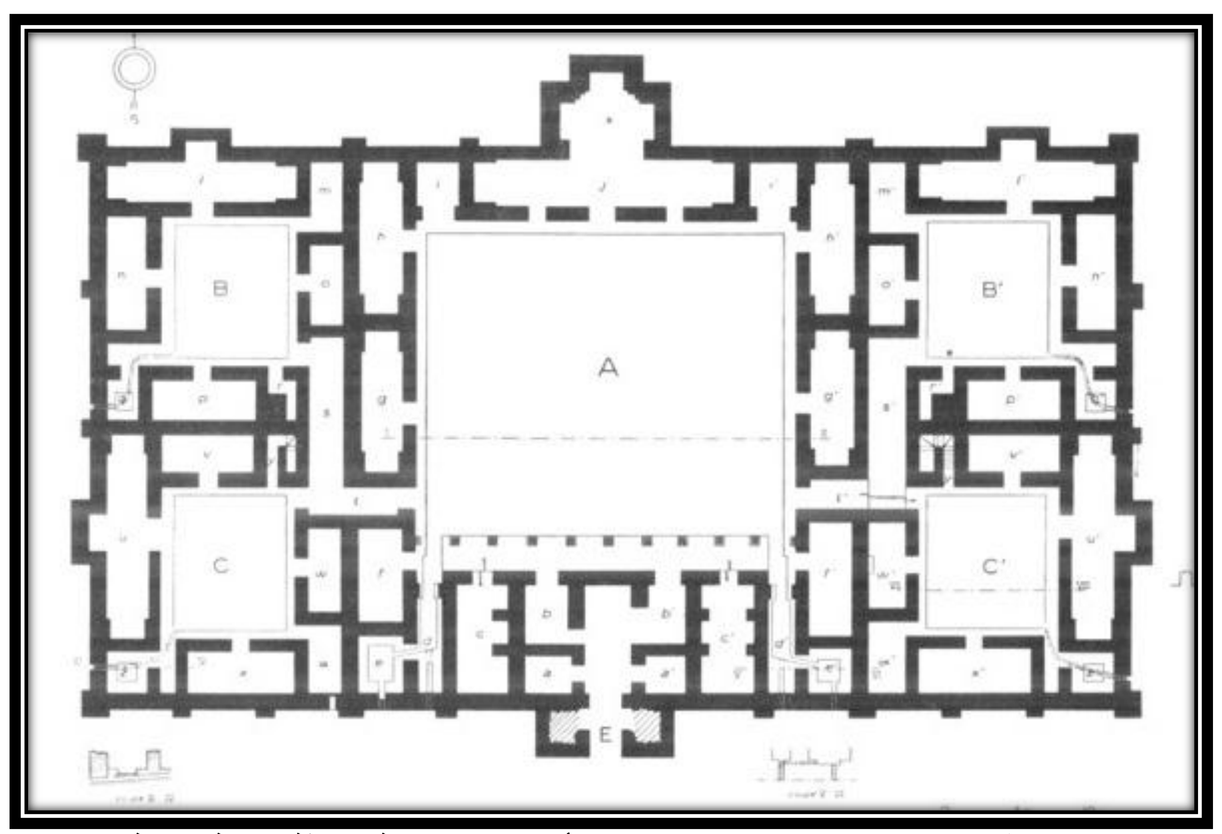
خريطة رقم 1:خريطة تمثل المغرب في عهد بلكين بن زيري ومن بينها المدن الثلاث
عن رشيد بورويبة



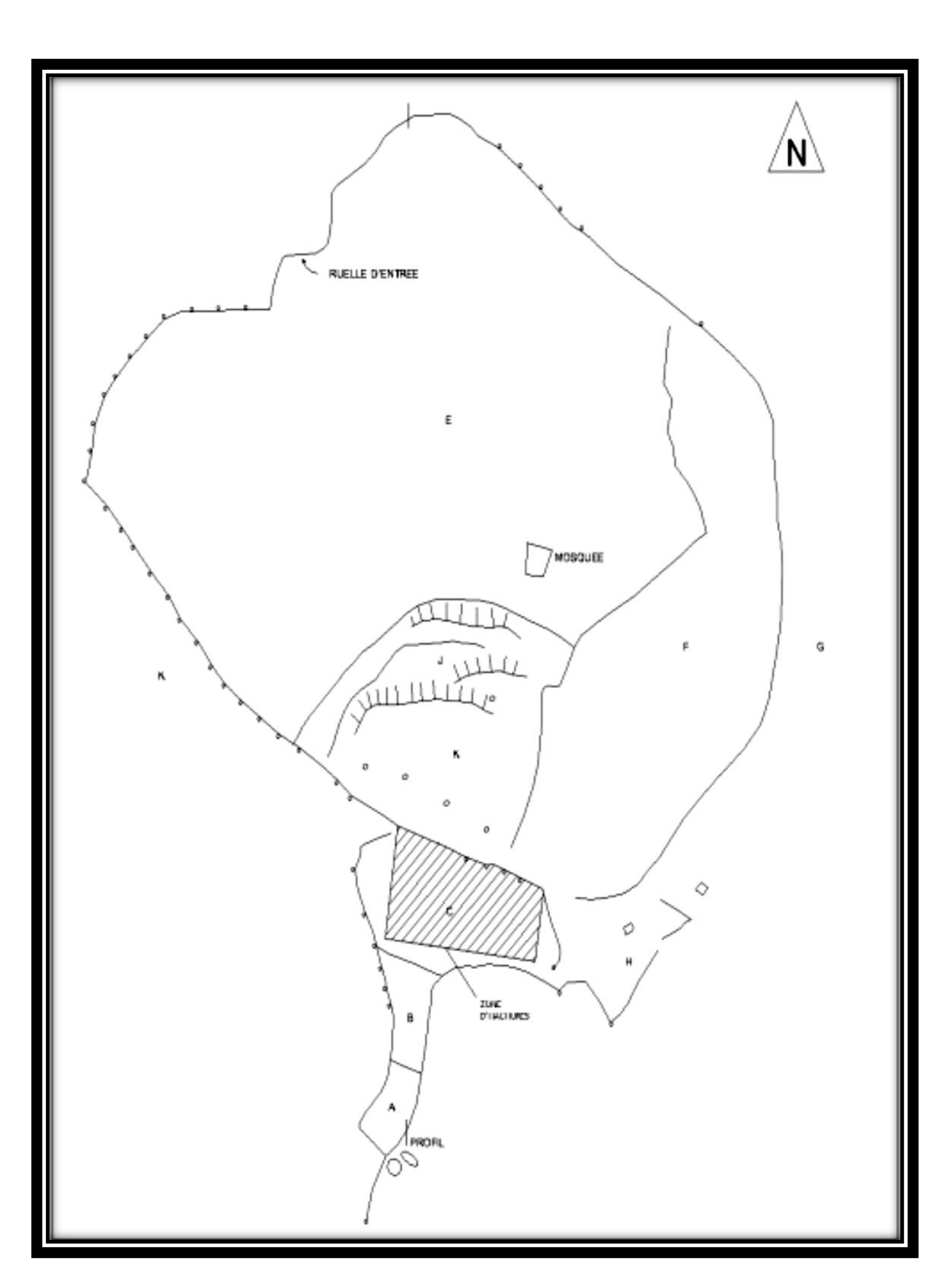
خريطة رقم 2: المواقع الأثرية لمدينة أشير عن مديرية الثقافة لولاية المدية



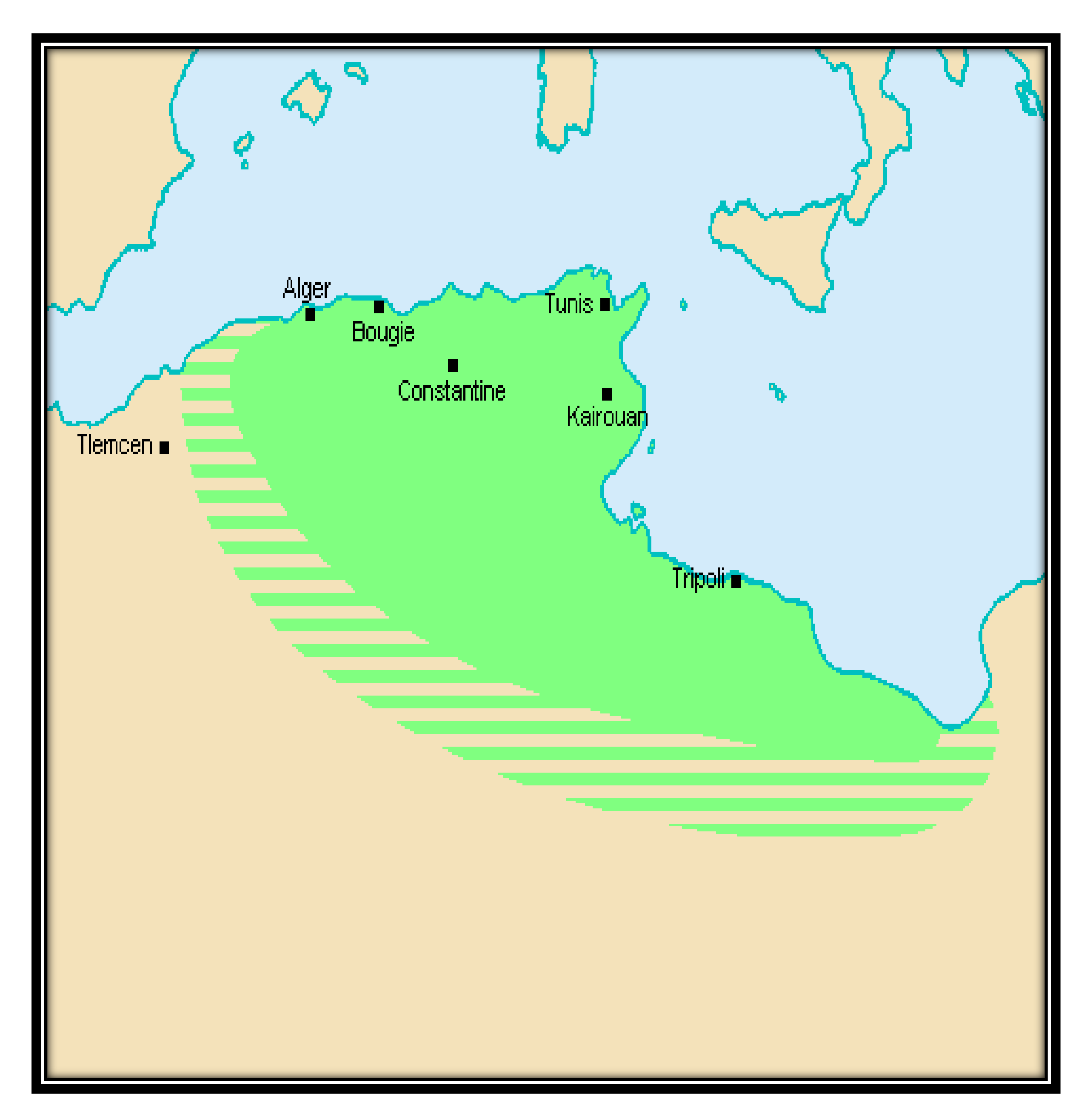
خريطة رقم 3 : التأثير الصنهاجي في المدن الفاطمية



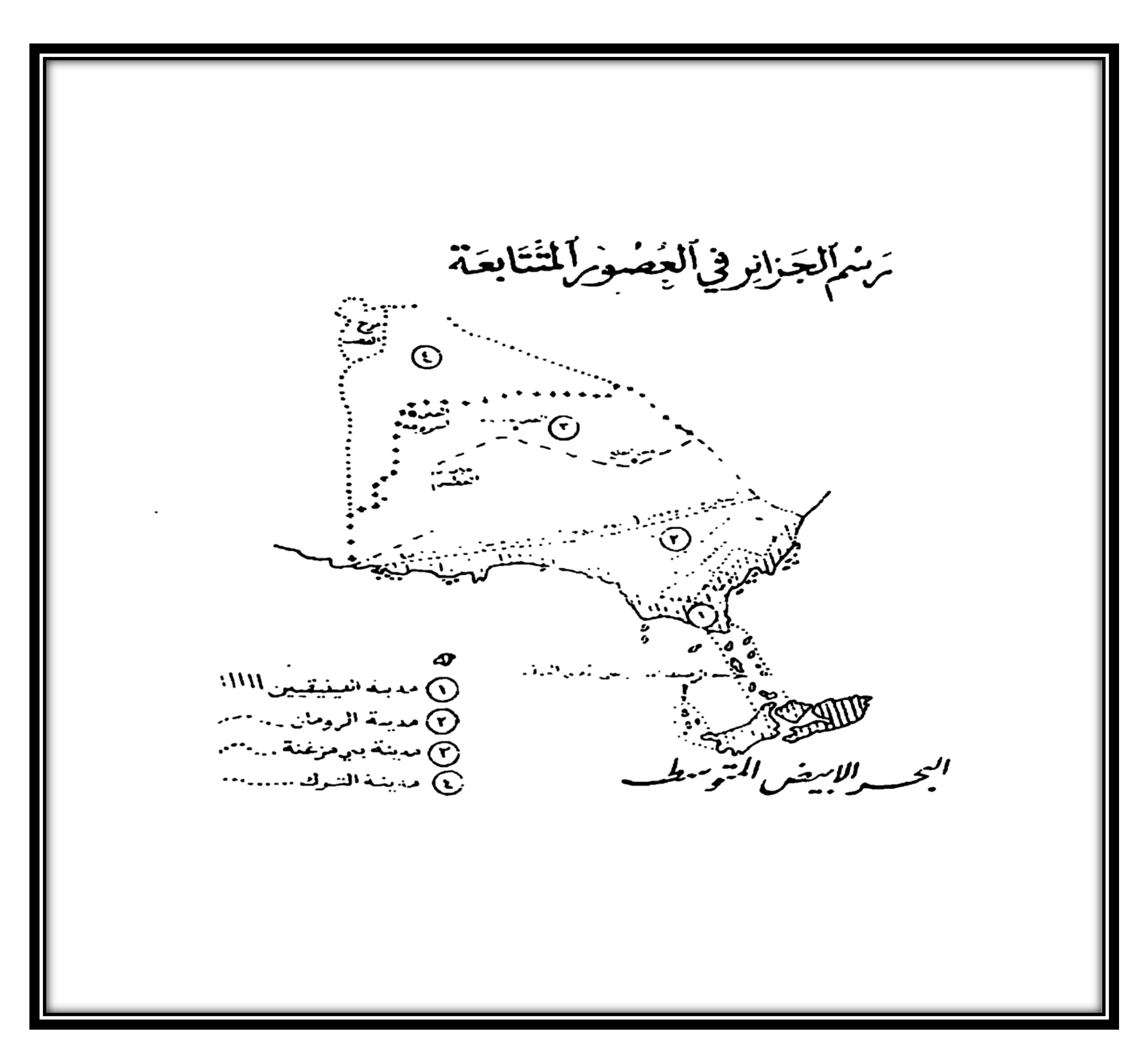
شكل رقم 4: مخطط لقصر الزيري بن مناد بأشير عن مديرية الثقافة لولاية المدية



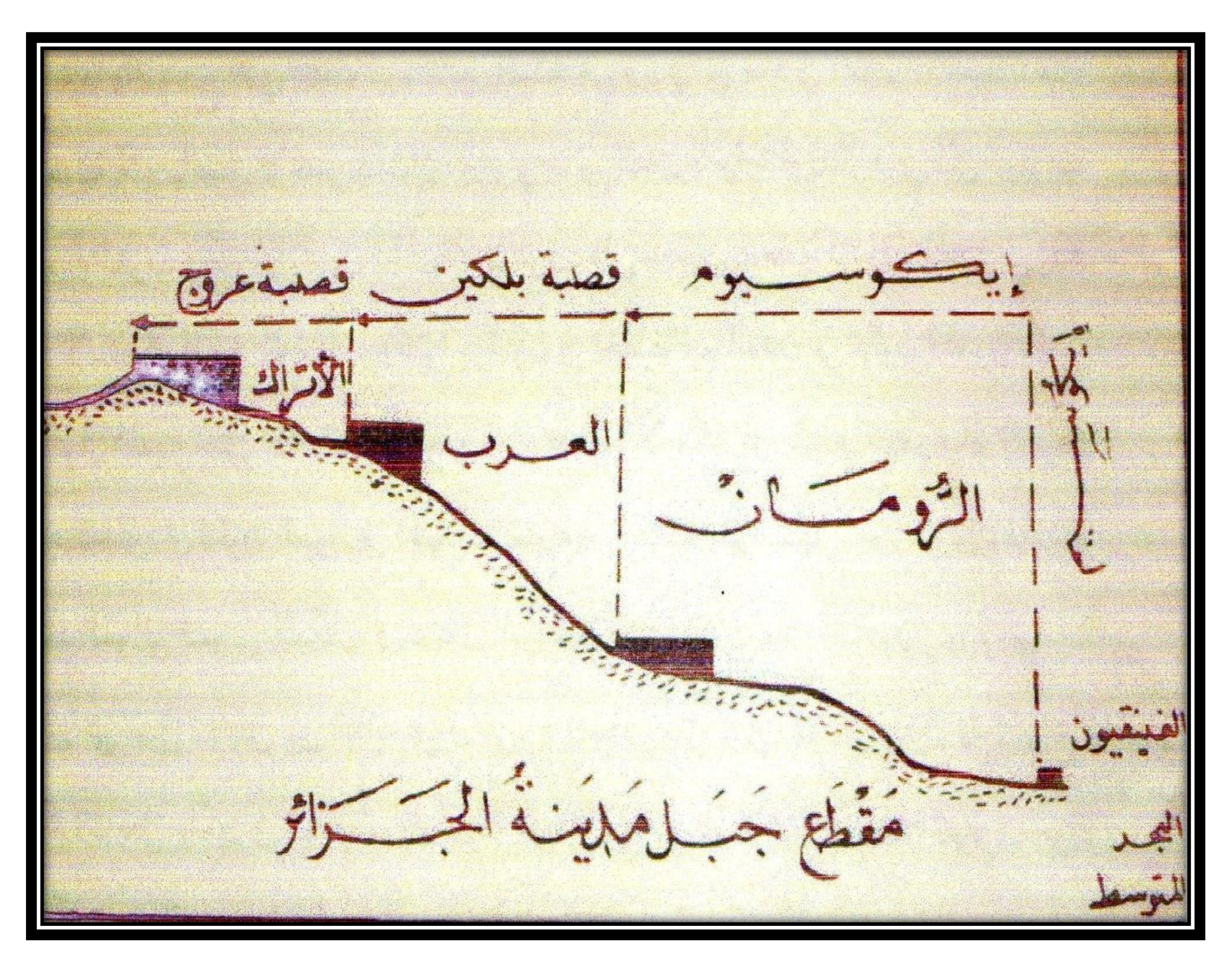
خريطة رقم 5: مخطط لمدينة البنية بأشير
عن مديرية الثقافة لولاية المدية



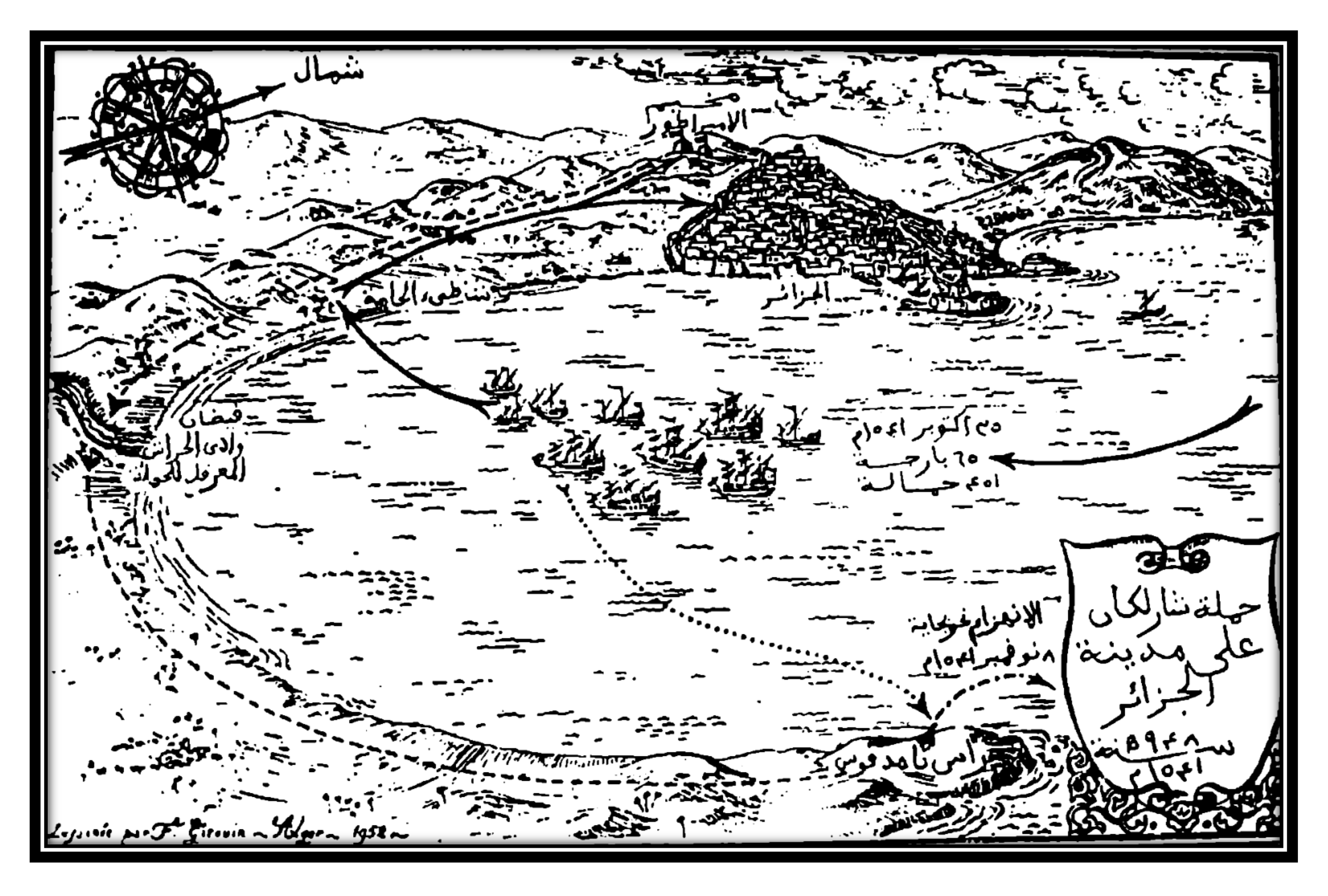
خريطة رقم 6: توضح أقصى الحدود التي بلغتها الدولة الزيرية سنة 1000م عن الأط



خريطة رقم 7:مدينة الجزائر عبر التاريخ عن عبد الرحمن الجيلالي



خريطة رقم 8:قصبة الجزائر عبر التاريخ عن علي عبد القادر حليمي (دراسة في جغرافية المدن)



خريطة رقم 9:مدينة الجزائر أثناء حملة شارلكان (عن عبد الرحمن الجيلالي).

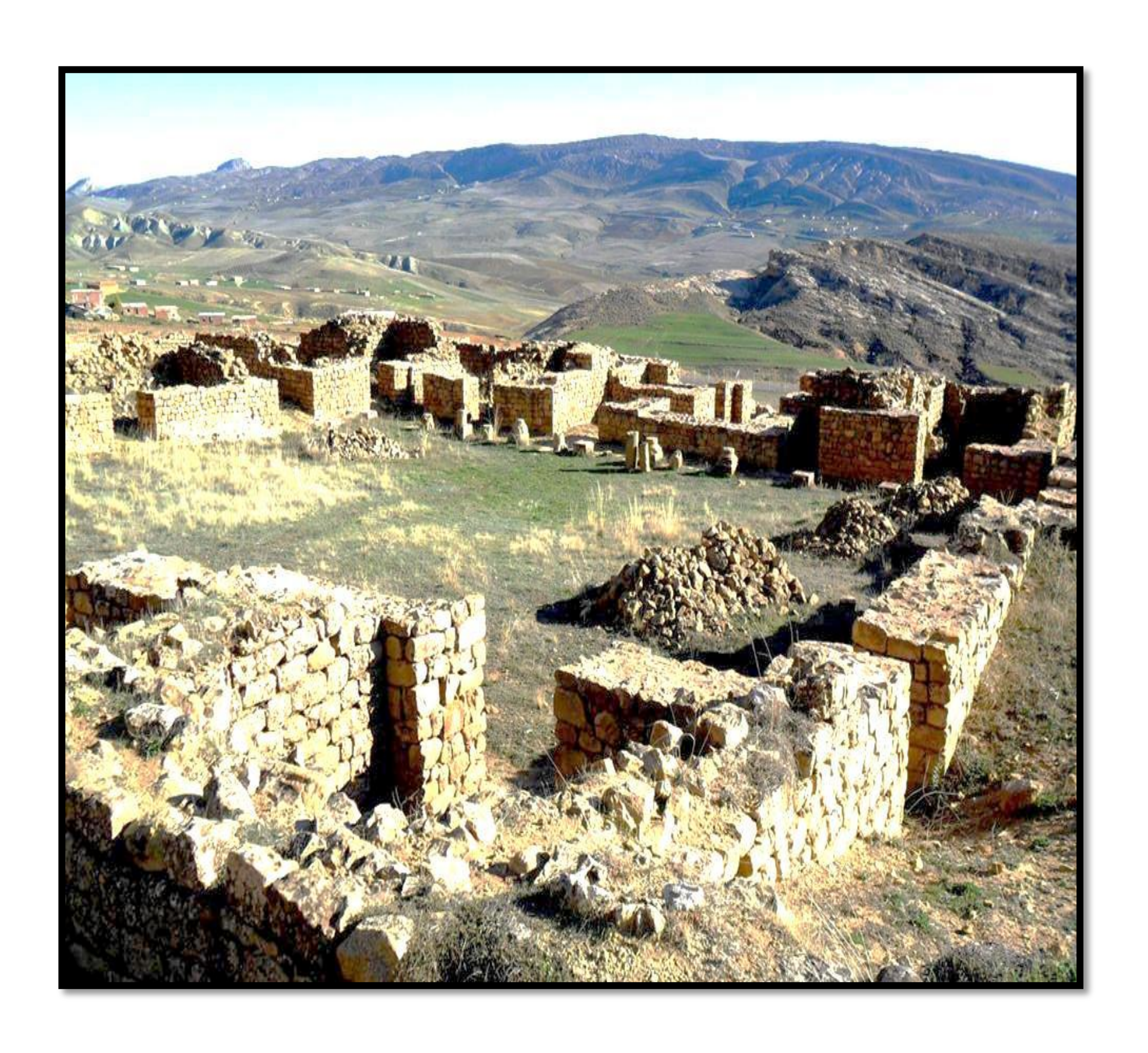
ملحق الصور
للفصل الرابع



صورة رقم 1:الكاف لخضر موقع مدينة أشير الأثرية



صورة رقم 2 : منظر عام لمدينة أشير



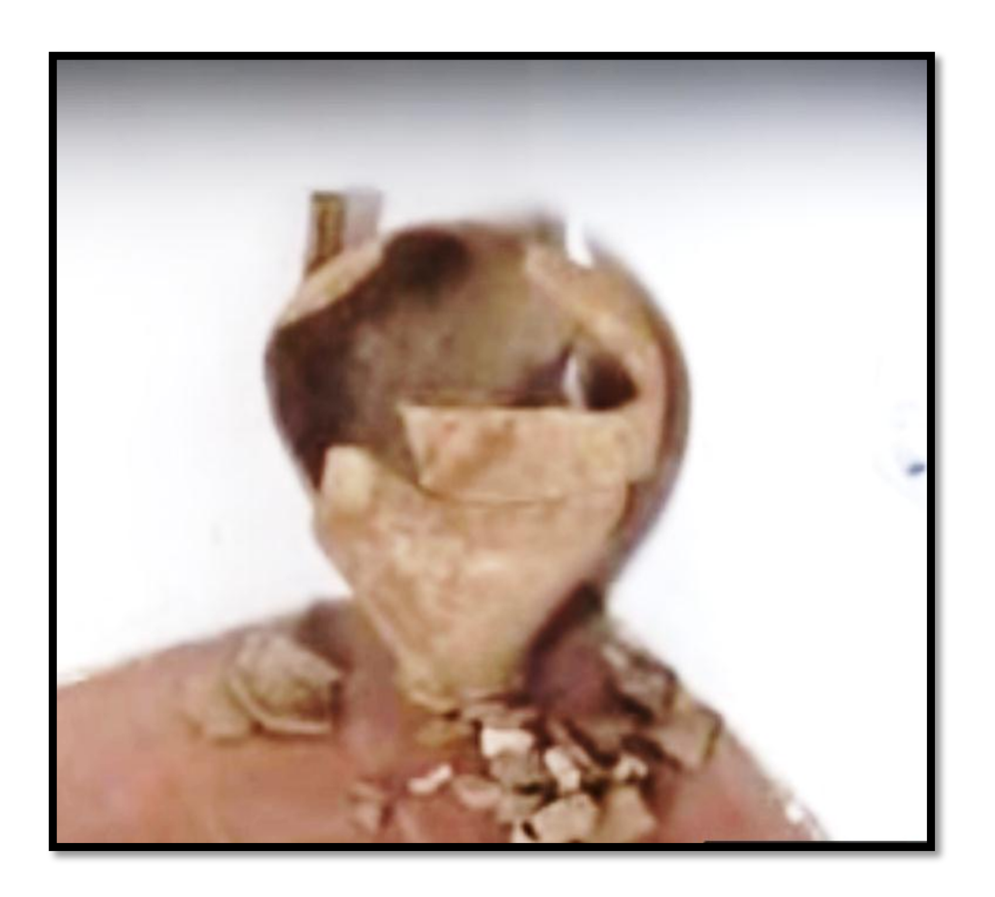
صورة رقم 3: المدينة الأثرية أشير



صورة رقم 4:أشير العاصمة الزيرية القرن العاشر ميلادي



صورة رقم 5: الأسوار الدفاعية الزيرية بأشير





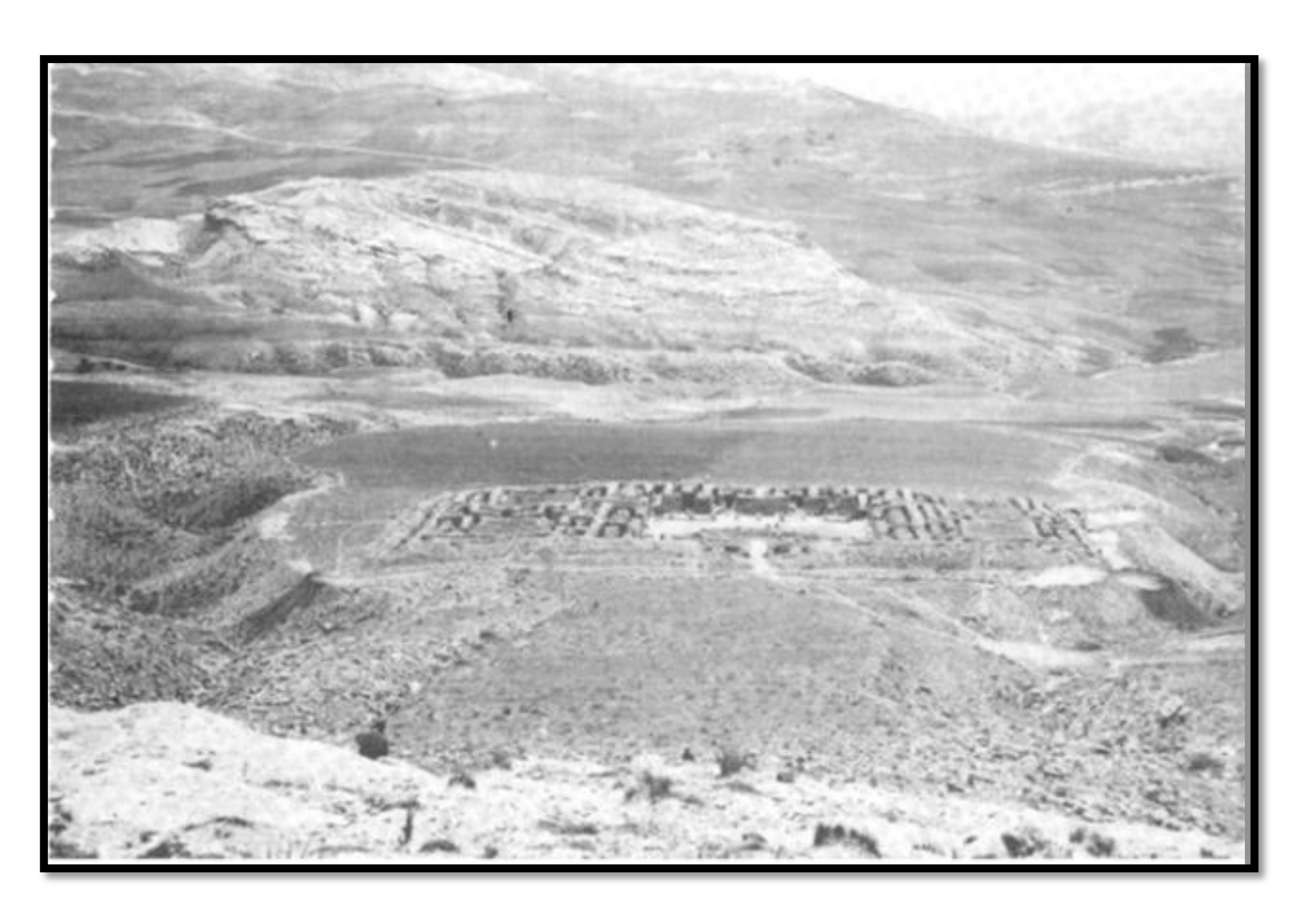
لوحة رقم 6: عبارة عن آنية فخارية، ونوع من الحجارة مزخرفة بآيات قرآنية



صورة رقم 7: لأشير الغربي، بقايا الجدار الشمالي الغربي



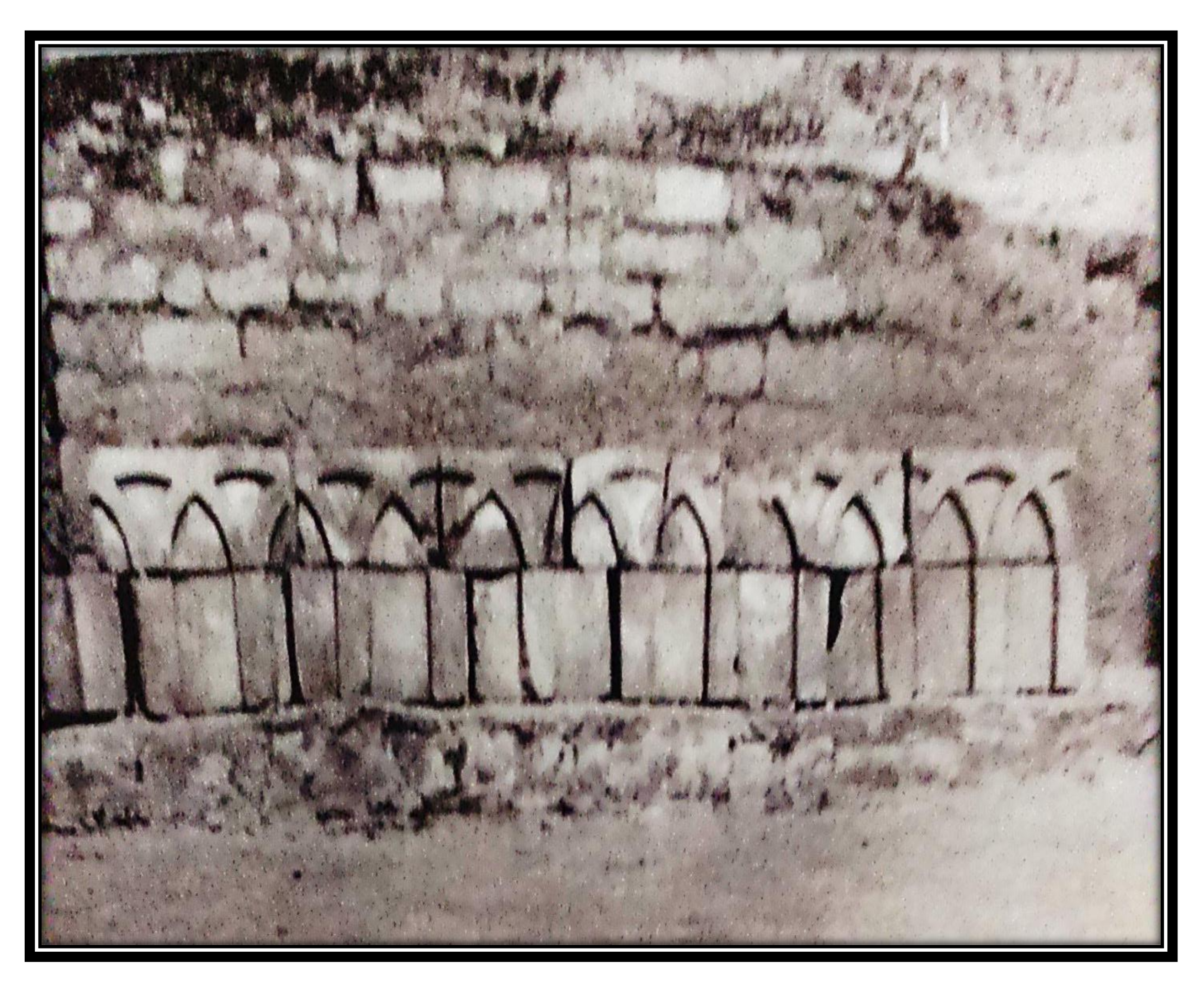
صورة رقم 8: صورة جوية لقصر زيري بأشير



صورة رقم 9: صورة قديمة بالأبيض والأسود لقصر زيري بأشير



صورة رقم 10 : الواجهة الأمامية لقصر الزيري بمدينة أشير



صورة رقم 11: تيجان بزخرفة نباتية مجردة، عن كتامة والحضارة الفاطمية



صورة رقم 12 : منظر عام لقصر زيري بأشير



صورة رقم 13: الحصن منزه بنت السلطان بأشير



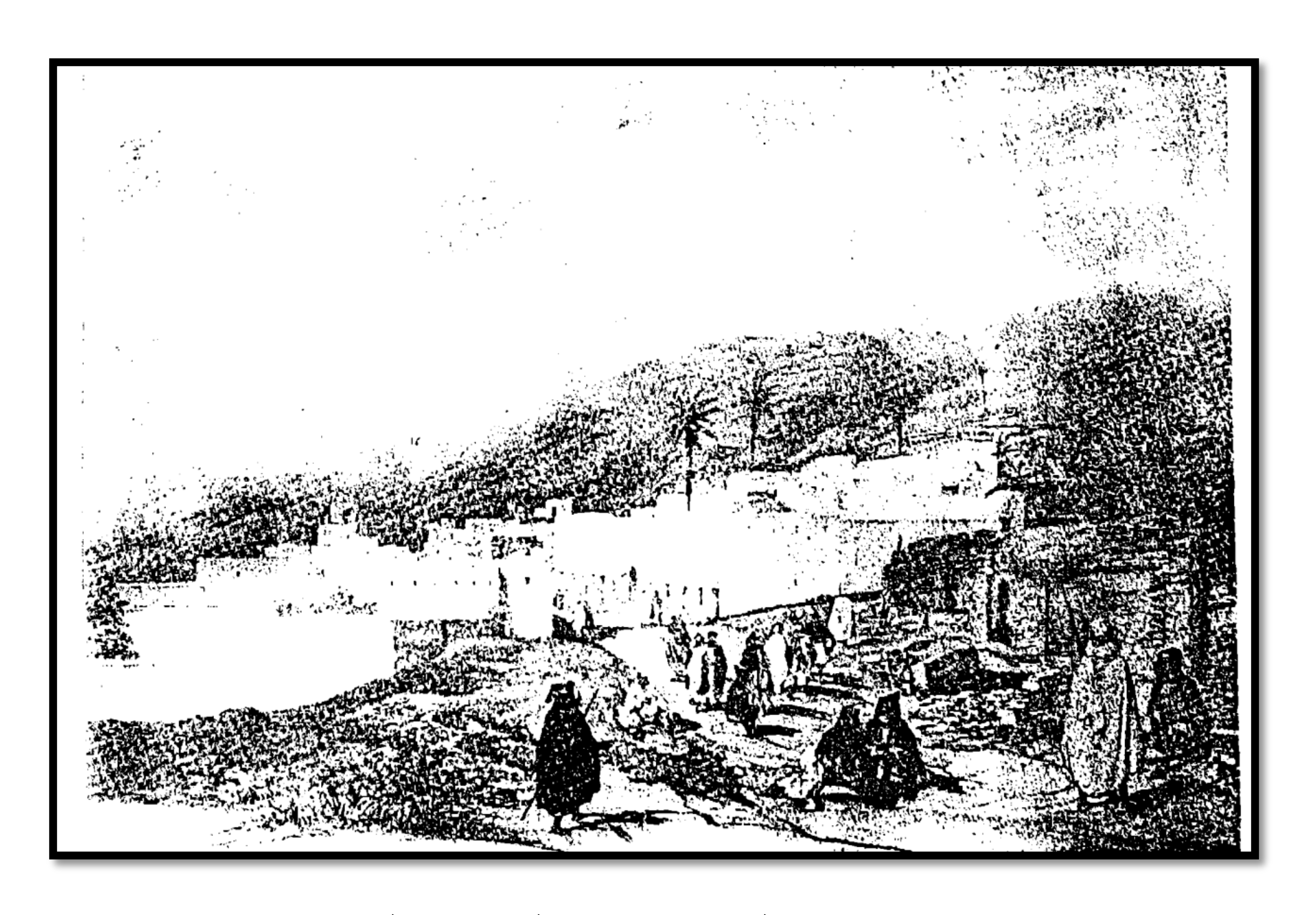
صورة رقم 14: صورة جوية لمنطقة البنية بأشير



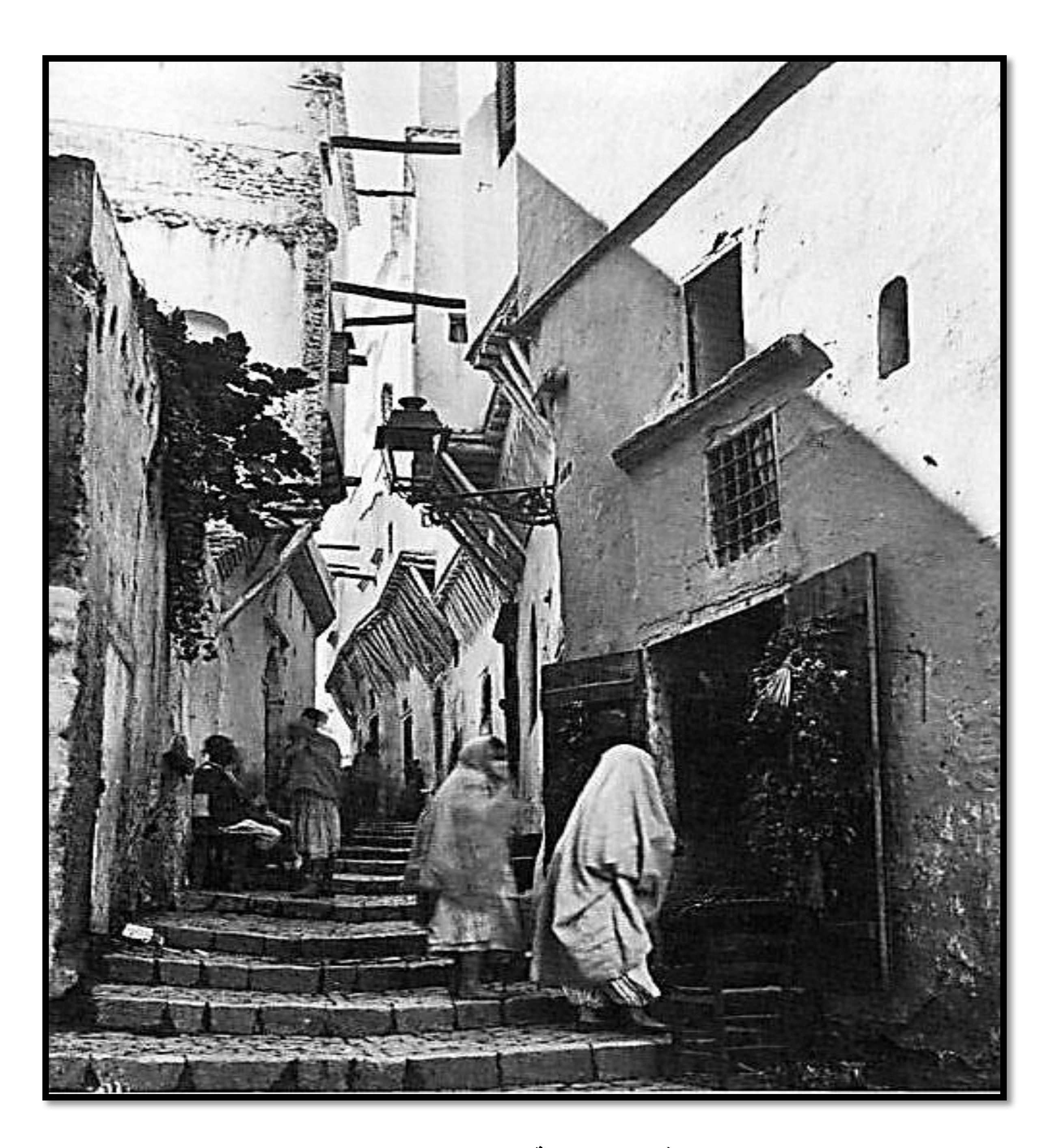
صورة رقم 15 : منظر عام لمدينة البنية بأشير



صورة رقم 16: سور الحماية لمدينة البنية بأشير .



صورة رقم 17 : مدينة الجزائر قبل الحقبة الاستعمارية



صورة رقم 18: لقصبة الجزائر عام 1900

الخاتمة

نتائج البحث:

من خلال مراحل هذا البحث المتواضع ، وبعد تمحيص كل فصل على حدى ،جاءت النتائج عبارة عن أجوبة لكل التساؤلات المطروحة آلفا، والمتضمنة نظرة شاملة عن الدولة الفاطمية بكل جوانبها .

فنجد مثلا في الفصل الأول أن القاضي النعمان ،كان أحد رموز هذه الدولة، وعنصرا فاعلا في دعم أساس ملكها، لما كان عليه من صفات الشخصية الفذة ، والخصال النبيلة، فزاد من حب الناس له ، ناهيك عن علمه الوافر ، والتحكيم بالحجة والبيان ،شخصية من الطراز الأول، ساهمت بقدر وفير في إرساء دعائم الدعوة الإسماعيلية، ومن وراءها الدولة الفاطمية الفتية في أوج عطاءها.

رغم الفترة القصيرة للدولة الفاطمية في المغرب الأوسط، إلا أنّها شهدت إنجازات عمرانية وفنية، اتضحت جلّيا من خلال المواقع الأثرية، كقلعتي إيكجان ، وتازروت ، وكذا مدينة المحمدية، إضافة إلى أشير عاصمة الدولة الزيرية التي أُنْشِأَتْ في ظل الخلافة الفاطمية .

إن كل المصادر تحدثت في هذا المجال، كما تؤكد أن الفضل في قيام الدولة الفاطمية، يعود أصلا إلى قبيلة كتامة ، فهي حجر الزاوية في نشأة هذه الدولة ، لأن كتامة ذات بأس وقوة، وبنو سكتان أهل وفاء وقتال ، وشجاعة وسجال ، من التعصّب القبلي صنعوا مجدا، وحملوه إلى خارج الأوطان .

تعتبر المواقع التي شملها الوجود الفاطمي في المغرب الأوسط، ذات صفة استراتيجية، استوفت الشروط الضرورية، لتأسيس المدن من مرتفعات

وهضاب، و فجوج وجبال للتحصين الطبيعي ، فضلا عن الوديان وضرورة وجود المياه ،كما كان تأسيس أو بناء قلعتي إيكجان وتازروت (296 – 298هـ/908-910م) ،وهما يعتبران قلعتان أو حصنان ، وكان هذا في أيام الدعوة الإسماعيلية، أما بناء المحمدية (المسيلة) فكان في الدولة الفاطمية.

لم يكن العمران الفاطمي ذا صبغة عسكرية فقط ، بل كان عبارة عن بناء ذا طابع اقتصادي، اجتماعي، وتجاري، بالأخص الطرق الرئيسية الهامة، التي كانت تقطع هذه المدن ،ومن هنا نؤكد أيضا، أن قادة الدولة الفاطمية كانوا ذوو خبرة ،في تخطيط العمائر ، ونقلوها لمن خلفهم من الزيريين ، كما أنهم خلّدوا بصماتهم شاهدة للعيان .

ويبدو أن الفاطميين في بادئ الأمر، أسسوا قلاعا وحصونا لتكون سدا منيعا في وجه الأعداد ،وتكون أيضا قاعدة خلفية لهم عند الضرورة ، وبعد أن اشتد عودهم ، وقويت شوكتهم ،بدأوا في إنشاء المدن والحواضر، ومنها مدينة المحمدية (المسيلة) ،فلا يخفى على أحد أن أبوعبد الله المهدي تحرك باتجاه البحر، ليجد منفذا منه يطل من خلاله على المشرق والأندلس، وعينه في المغرب الإسلامي كله .

إن الصناعة والتطوّر بلغ مداه أيام الدولة الفاطمية ، وتجلى ذلك في الزخارف الفخارية والخزفية ، ناهيك عن المسكوكات والصنوج، مما يدل على تطوّر الدولة وقوتها .

هو كذلك التاريخ....موت وولادة.... نُشُوءٌ وانهيار..بداية ونهاية

قائمة المصادر والمراجع

1.المصادر

_ **سورة آل عمران**: 33، 34

_ **سورة التوبة** : اية 11 .

_**القاضي النعمان :** ابو حنيفة النعمان بن منصور بن احمد بن حيون (ت 363هـ/973 م) ، شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، تحقيق . محمد حسين الجلالي ، (بيروت ، منشورات الاعلامي ، 2006) ج 1

_**القاضي النعمان**: المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي وأخرون ، (تونس ، المطبعة الحيدرية ، 1978)

_**القاضي النعمان**: المغربي، الهمة في اتباع آداب اتباع الائمة ، تحقيق :محمد كامل حسين

_**القاضي النعمان :** تأويل الدعائم ، تحقيق : عارف عامر (دار الاضواء ، 1995)

_**القاضي النعمان :** الاقتصار ، تحقيق عارف تامر ، خمس رسائل اسماعيلية ، (سوريا ، منشورات دار الانصاف ، 1956)

_**القاضي النعمان :** الأرجوزة المختارة للقاضي النعمان / تحقيق وتعليق إسماعيل قربان حسين بوناوالا مونتريال كندا (معهد الدراسات الاسلامية , 1970م)

_**القاضي النعمان :** أساس التأويل ، تحقيق : عارف تامر ، (بيروت ، دار الثقافة ، 1956) .

_**القاضي النعمان** : المناقب والمثالب ، تحقيق : ماجد بن احمد عطية ، (بيروت منشورات الأعلمي للطباعة .2002 م) .

_**القاضي النعمان :** ابو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت363هـ/973 م) ، رسالة افتتاح الدعوة ، رسالة في ظهور الدولة العبيدية ، تحقيق : وداد القاضي ، (بيروت ، دار الثقافة ، 1970) .

_**أبو يوسف محمد الكندي** (ت350هـ/961 م) ، كتاب الولاة والقضاة ، تحقيق : فست كوست ، (بيروت ، مطبعة الاباء اليسوعيين ،1908)

_**ابن خلكان** : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ/1282 م) ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان وهو أشهر كتب التراجم العربية، ومن أحسنها ضبطا وإحكاما. تقديم عبد الرحمن المرعشي (بيروت ، دار احياء التراث العربي) ج 3

_**ابو الفضل احمد بن علي ابن حجر العسقلاني :** (ت852هـ/1448م) رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق : حامد عبد المجيد وأخرون ، (القاهرة ،المطبعة الاميرية)، ج 2

_ **ياقوت الحموي:** شهاب الدين ابو عبدا لله، معجم البلدان ، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990) ج 4

_**الداعي إدريس عماد الدين بن الحسن القرشي** :تـ 872هـ/1467م،عيون الأخبار وفنون الآثار فيما روي عن الائمة والاطهار،ج6

_ **ابن الأثير:** محمد بن محمد بن عبد الكريم، بن عبد الواحد الشيباني ،: هو ،المتوفى سنة 630هـ/1238م ، الكامل في التاريخ .

_ **المقريزي:** تقي الدين أحمد بن علي ، المتوفي سنة 845هـ /1441م، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء.

_ **ابن عذارى المراكشي:** أبو العباس أحمد سنة 712هـ/1312م ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .

_**ابن خلدون :** أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ، المتوفى سنة 808هـ/1406م، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ؛ تحقيق: خليل شحادة وسُهيل زكّار (تاريخ ابن خلدون)، الجزء الرَّابع (الطبعة الثانية). بيروت - لُبنان: دار الفكر.

_ **اليعقوبي:** هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المتوفى سنة 284هـ/897م ، كتاب البلدان ؛ تحقيق مُحمَّد أمين الضنَّاوي (1422هـ - 2002م)،(الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار الكُتب العلميَّة.

_**ابن حوقل:** أبي القاسم محمد النصيبي ، المتوفى سنة 368هـ /978م ، كتاب صورة الأرض .

_ **البكري:** أبي عبيد الله ، المتوفي سنة 487هـ /1094م ، المسالك والممالك.

_ **الأنطاكي**: يحيى بن سعيد بن يحيى؛ تحقيق: عُمر عبد السَّلام تدمُريّ (1990). تاريخ الأنطاكي، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا (الطبعة الأولى). طرابلس - لُبنان: جروس برس.

_**ابن أبي زيد القيرواني :**هو عبد الله أبو محمد بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، ولد بالقيروان بتونس سنة 310 هـ الموافق ل922م، وهو من أعلام المذهب المالكي. وقد لُقِّب بـ "مالك الأصغر"، وكان إمام المالكية في

وقته، وأشهر مصنفاته كتاب الرسالة، وتوفي سنة 386 هـ الموافق ل996م، وعمره 76 سنة

_**النويري** : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 6، دار الكتب المصرية ، 1923.

_**محمد بن علي ،ابن شهر أشوب** : (ت 588هـ / 1193 م) معالم العلماء ، (النجف المطبعة الحيدرية ،)1961.

_**ابن العماد الحنبلي** : شذرات الذهب (القاهرة : دار احياء) ، ج 3

_**اسماعيل باشا البغدادي** :هدية العارفين ، ج 2

_**الصفدي** : الوافي بالوفيات ، ج 22

_**الذهبي** : سير اعلام النبلاء ، ج 1

_**القلقشندي** : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة ، ج 1

_**الإدريسي:** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ص 244-247.

_**عبد النبي الكاظمي:** تكملة الرجال، تحقيق: السيد صادق بحر العلوم (النجف، 1925)، ج2

_**ابن أبي الربيع شهاب الدين** :(ت272ه/885-886)،سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق عارف أحمد عبد الغني ،دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بدمشق 1996م.

_**ابن الأزرق أبو عبد الله الأندلسي:** (ت 896ه/1491م) ،بدائع السلك في طبائع الملك ، دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس 1977م ، ج 2

_**السيد بحر العلوم** :الفوائد الرجالية ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، (طهران مكتبة الصادق ، 1313 هـ) ، ج 4.

_**عبد الرحمن الجيلالي** : تاريخ الجزائر العام ،ج 1 ، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، 1965

عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ المدن الثلاث.

_**ابن تعزي بردي :** جمال الدين ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية)

_**الكاتب مراكشي** من كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ،القرن السادس الهجري 12 ، نشر مكتبة جامعة الإسكندرية ، 1958.

_**الكرماني**: راحة العقل

_**الحميري**: الروض المعطار

_**عبد الواحد المراكشي** : كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب

_**ابن حماد** :أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق د/التهامي نقرة ،دار الصحوة القاهرة

_**البلاذري** : فتوح البلدان

_**ابن ابي الدينار**: المؤنس.

_**ابن منظور ابن فضل** : لسان العرب بيروت 1968

_ **السبحاني جعفر**: موسوعة طبقات الفقهاء ، (قم ، مطبعة الاعتماد ، 1997

_ **شارل أندري جوليان** : تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج 2 ، ترجمة محمد مزالي ،البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، 1985 .

2.المراجع

_ **من آثار مدينة أشير:** أنظر دفاتر أشير، المتحف الوطني للآثار، تقرير حفرية سنة 1993، العدد الثالث، 1994

_**إبراهيم حركات** :تاريخ المغرب

_**ابن عبد الحكم** : فتح مصر و المغرب

_**أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي** : الإستقصا لدول المغرب الأقصا ،تحقيق جعفر الناصري وخالد الناصري ،دار البيضاء ،1954،ج 1،.

_**أحمد عسة:** المعجزة المغربية.

_**الأيوبي هيثم** : الموسوعة العسكرية، ط2 ،دار الفارس ،بيروت 1990،ج4

_**الباشا حسن** : موسوعة العمارة والاثار الاسلامية اوراق شرقية للطباعة لبنان 1999 ،ج2

_**الحسن ابن محمد بن الوزان:** الفاسي الزناتي المعروف (ليو إفريقي)،وصف إفريقيا ترجمة عبد الرحمان حميدة ،ومراجعة عبد الواحد ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ،1399هـ

_**الحسن السائح**: الحضارة المغربية عبر التاريخ.

_**الدشراوي فرحات**: ترجمة: حمَّادي السَّاحليّ (1994)، الخلافة الفاطميَّة بالمغرب 296-365هـ / 909-975م (الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار الغرب الإسلامي.

_**الطالبي محمد** : الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ،184ه-296ه /800م-909م ،نقلها إلى العربية المنجي الصيادي وحمادي الساحلي ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1995 م .

_**ثامر عارف**: المعز لدين الله الفاطمي.

_**حساني مختار**: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية،ج1 ،دار الهدى الجزائر 2011.

_**حسن ابراهيم حسن وأخرون** : المعز لدين الله ، (القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية ، 1963)

_**حسن إبراهيم حسن**: تاريخ الدولة الفاطميَّة في المغرب، ومصر، وسورية، وبلاد العرب (الطبعة الرَّابعة). القاهرة - مصر: مكتبة النهضة المصريَّة. (1981)

_**حسن الأمين**: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج 8، ص466.

_**حسين ، محمد كامل** : أدب مصر الفاطمية ، (القاهرة ، دار النهضة ، 1970

_**الأمين حسين** :مستدركات أعيان الشيعة بيروت دار التعارف 1997، ج 2

_**حسين مؤنس**:معالم تاريخ المغرب والأندلس

_**د. محمود إسماعيل عبد الرزاق**: الخوارج في بلاد المغرب

_**د/عقاب محمد الطيب وآخرون** : تقرير خبرة حول الموقع الأثري للفترة الإسلامية بدائرة بني عزيز جامعة الجزائر

_**د/مبارك بوطارن**: مدينة أشير النشأة والتطور ،أستاذ محاضر المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة- الجزائر ،

_**رزق محمد عاصم** : معجم مصطلحات العمارة والفنون مكتبة مدبولي القاهرة 2000 ،ج4

_**سعد زغلول عبد الحميد**: تاريخ المغرب العربي ج 1

_**صالح يوسف بن قربة** : تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد ط 1 منشورات الحضارة الجزائر 2009

_**عبد الجواد توفيق** : معجم العمارة وإنشاء المباني، القاهرة ،1985

_**عزوق عبد الكريم وآخرون**: المراكز العمرانية الكبرى في المغرب الأوسط ، مركز الفنون والثقافة ،قصر رياس البحر الجزائر،2007 .

_**عقاب محمد الطيب** : الاواني الفخارية الاسلامية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984

_**علي عبد القادر حليمي**: رئيس قسم الجغرافيا بجامعة الجزائر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830،درتسة في جغرافية المدن

_**كتامة والحضارة الفاطمية** ، وزارة الثقافة بالجزائر.

_**لقبال موسى** :دور كتامة في تاريخ الحضارة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري /11ميلادي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1979 ج 2

_**مجاني بونة** : النظم الإدارية

_**مجاني بونة** : من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي

_**مُحمَّد سُهيل** :(1431هـ - 2010م). تاريخ الدولة الأُمويَّة (الطبعة السابعة). بيروت - لُبنان: دار النفائس.

_**محمد علي دبوز:** تاريخ المغرب الكبير ، ج2.

_**مُصطفى، شاكر**: (1993). موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، الجُزء الأوَّل (الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار العلم للملايين.

_**نوار سامي محمد** : الكامل في مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية ط1 دار الوفاء مصر 2002 ، 1999م

عبد الستار (عثمان محمد) :المدينة الإسلامية سلسلة كتاب الثقافة الكويت 1988

3.الرحلات:

_ **ابن بطوطة** : رحلة تحفة النظار ،ج 4.

4.الرسائل والمذكرات

_**بن نعمان إسماعيل**: مدينة دلس دراسة معمارية وأثرية ، 10-13هـ/16-19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار، إشراف بلحميسي مولاي ،جامعة الجزائر1997/1996م.

_**جودت عبد الكريم يوسف** :الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هـ/9-10 م

_**الطويل الطاهر**: التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية قسنطينة ،2008/2007 م

5.أرشيف

_**أرشيف الدائرة الأثرية** ، ولاية سطيف ـ البرج ـالمسيلة ، التعريف بمدينة إيكجان الإسلامية

6.الملتقيات

_**يوسف نجم الدين** : الائمة الفاطميين ، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية ، الدور الثاني ، المهدية ، (تونس : وزارة الشؤون الثقافة ، 1977 م) ج 6

_**قرمان عبد القادر** : مدينة المسيلة النشأة والتطور في العهد الاسلامي ضمن الملتقى الوطني الاول حول تاريخ واعلام المسيلة من 27-29افريل دار الثقافة المسيلة 2009م

_**الهوارية بالطيب** : المسيلة المحمدية ضمن الملتقى الوطني الاول حول تاريخ واعلام المسيلة من 27-29افريل دار الثقافة المسيلة 2009م

_**دبيس مصطفى** :الفن الاسلامي بالمغرب في عهد الفاطميين ضمن ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية المهدية 12-15اوت 1975م وزارة الشؤون الثقافية تونس 1977م

7.الأشرطة الوثائقية أو الصور

_**شريط وثائقي**: للجزيرة الوثائقية (بدايات ونهايات الدولة الفاطمية).

_ **د/ أحمد الحلواني**: أستاذ التاريخ الإسلامي في سوريا والجزائر، من خلال الجزيرة الوثائقية.

_**د/ناجي جلول**: أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة منوبة من خلال الجزيرة الوثائقية.

_**د/سهيل زكار**: نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب ،من خلال الجزيرة الوثائقية.

_ **د/ غزوان ياغي** : متخصص في الآثار الإسلامية ،من خلال الجزيرة الوثائقية.

_ **د/سند عبد الفتاح**: أستاذ التاريخ الإسلامي، بجامعة عين شمس، من خلال الجزيرة الوثائقية.

8.مصادر ومراجع باللغة الأجنبية:

_Archive Département de Constantine ;rapport Administrateur ,1937 .

_Golvin(L),Le Maghreb Central à L'époque des Zirides , Paris 1957

_L eclerc L : une inscription du kaf –Tazrout,Receil des notices et mémoires de la société Archéologique de la province de la Constantine 1864

_Gautier (E.F) :le passé de l'Afrique du nord ;les siècles obscures ,Paris Payot 1942 .

_Marçais (G) Manuel d'Art Musulman, t1, paris 1926,

_Encyclopédie de l'islam nouvelle édition **leden E .j .Brill** ,Paris1991,T1

_Capitaine Rodet ,Les ruines d'Achir ,in revue Africaine ,1908.

_ **_Berque(A**) l'Algérie terre d'Art et d'Histoire, Paris, 1937

_Beeston ,A.F.L : Himyarite Monothéisme 1984

_Marçais (G) ,Achir,(Recherches d'Archéologie Musulmane),in Revue Africaine ,1922,n°310

Ibn Khaldoun, Histoire des Berbères

الفهارس

فهرس الخرائط

فهرس الخرائط

الفصل الثاني

رقم الخريطة	عنوانها	الصفحة
1	الدولة الإخشيدية في مصر والدولة الفاطمية في المغرب عن الأطلس	30
2	الإمبراطورية الفاطمية في أقصى اتساعها (عن الأطلس).	33
3	أهم البلدان المغربية المذكورة في الافتتاح عن القاضي النعمان	107
4	إفريقية والمغرب الأوسط (ضمن دولة الأغالبة) حيث وجد المذهب الإسماعيلي موطأ قدم بين قبائل البربر	108
5	دويلات المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الفاطمية عن الأطلس	109
6	دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وتوسعها في المغرب الأوسط	110
7	تضاريس إقليم الزاب (عن الخريطة الطبوغرافية لولاية بسكرة)	111
8	أهم القبائل البربرية والعربية في بلاد كتامة وإفريقية عن فرحات الدشراوي	112
9	توزيع قبائل البربر في بلاد المغرب عن ابن خلدون	113
10	أهم قبائل فرع البرانس (عن الدشراوي)	114
11	إمارات المغرب الإسلامي	115
12	بلاد كتامة عن فرحات الدشراوي	116
13	الدولة الفاطمية بالمغرب عن الآقصى	117
14	الدولة الأغلبية وإمارات المشرق والمغرب الإسلامي	118
15	تحركات الجيش الفاطمي في المغرب الأوسط (عن شايب كريم الأطلس التاريخي)	119
16	من بلاد كتامة إلى إفريقية عن الدشراوي	120
17	التوسع الإسماعيلي في إفريقية حتى سقوط رقادة عن فرحات الدشراوي	121
18	الخلافة الفاطمية بإفريقية والمغرب (عن فرحات الدشراوي)	122
19	من بلاد كتامة إلى سجلماسة	123
20	الدولة الفاطمية توسعها وانحسارها (عن الأطلس)	124

فهرس الخرائط

الفصل الثالث

رقم الخريطة	عنوانها	الصفحة
1	خريطة طبوغرافية لمنطقة بني عزيز ولاية سطيف.	160
2	خريطة تبين الطريق بين إيكجان وسطيف	161
3	خريطة طبوغرافية لموقع إيكجان.	162
4	موقع قلعة إيكجان	163
5	موقع قلعة إيكجان في بلاد المغرب الأوسط	164
6	خريطة طبوغرافية لمدينة ميلة.	165
7	موقع تازروت بالنسبة لولاية ميلة.	166
8	قصبة مدينة ميلة عن الولاية.	167
9	حدود بلدية المسيلة المختلطة (عن بلدية المسيلة).	168
10	موقع المحمدية ودوره في تأسيس الدولة (عن القرشي عيون الأخبار).	169
11	القلاع الفاطمية في المغرب الأوسط عن كتاب المراكز العمرانية الكبرى في المغرب الأوسط.	170

فهرس الخرائط

الفصل الرابع

رقم الخريطة	عنوانها	الصفحة
1	خريطة تمثل المغرب في عهد بلكين بن زيري ومن بينها المدن الثلاث عن رشيد بورويبة.	225
2	المواقع الأثرية لمدينة أشير عن مديرية الثقافة لولاية المدية	226
3	التأثير الصنهاجي في المدن الفاطمية .	227
4	(شكل رقم أربعة) مخطط لقصر الزيري بن مناد بأشير.	228
5	مخطط لمدينة البنية بأشير.	229
6	أقصى الحدود التي بلغتها الدولة الزيرية سنة 1000م.	230
7	مدينة الجزائر عبر التاريخ عن عبد الرحمن الجيلالي.	231
8	قصبة الجزائر عبر التاريخ عن علي عبد القادر حليمي (دراسة في جغرافية المدن).	232
9	مدينة الجزائر أثناء حملة شارلكان (عن عبد الرحمن الجيلالي).	233

فهرس الصور

فهرس الصور

الفصل الثالث

رقم الصورة	عنوانها	الصفحة
1	صورة جوية لمنطقة بني عزيز ولاية سطيف.	172
2	صورة جوية لقلعة إيكجان بني عزيز.	173
3	صورة جوية لقلعة إيكجان في بني عزيز.	174
4	منظر عام بمنطقة إيكجان .	175
5	بقايا جدار خارجي شرقي بإيكجان .	176
6	بقايا جدار القلعة بمحاذاة بساتين الزيتون بموقع إيكجان.	177
7	قلعة إيكجان بقايا سور داخلي .	178
8	نوع من الحجارة بموقع إيكجان .	179
9	بقايا برج المراقبة بقلعة إيكجان	180
10	مقبرة سيدّي علي البصري بموقع إيكجان .	181
11	لقى أثرية عبارة عن آنية فخارية من موقع إيكجان .	182
12	موقع إسلامي بسطيفٌ القرن 9-10هـ .	183
13	قلعة تازروت بمدينة ميلة .	184
14	موقع مدينة المحمدية ،المسيلة .	185

فهرس الصور

الفصل الرابع

رقم الصورة	عنوانها	الصفحة
1	الكاف لخضر موقع مدينة أشير الأثرية	235
2	منظر عام لمدينة أشير	236
3	المدينة الأثرية أشير	237
4	أشير العاصمة الزيرية القرن العاشر ميلادي	238
5	الأسوار الدفاعية الزيرية بأشير	239
6	لوحة عبارة عن آنية فخارية، ونوع من الحجارة مزخرفة بآيات قرآنية	240
7	أشير الغربي ،بقايا الجدار الشمالي الغربي	241
8	صورة جوية لقصر زيري بأشير	242
9	صورة قديمة بالأبيض والأسود لقصر زيري بأشير	243
10	الواجهة الأمامية لقصر الزيري بمدينة أشير	244
11	تيجان بزخرفة نباتية مجردة عن كتامة والحضارة الفاطمية	245
12	منظر عام لقصر زيري بأشير	246
13	المدينة الحصن منزه بنت السلطان بأشير	247
14	صورة جوية لمنطقة البنية بأشير	248
15	منظر عام لمدينة البنية بأشير	249
16	سور الحماية بمدينة البنية بأشير	250
17	مدينة الجزائر قبل الحقبة الاستعمارية	251
18	قصبة الجزائر عام 1900	252

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام	الصفحة
أبا الأحول	147
ابا الفتوحات	219
إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلبي	88
ابن أبي زكريا	67
ابن أبي زيد القيرواني	259. 40
ابن الأثير	258. 197. 196. 66.ذ
ابن الخطيب	66
ابن العماد الحنبلي	260. 65
ابن الفياض	39
ابن الكلبي	39
ابن حوقل النصيبي	220
ابن خلكان	258. 65. 48. 47. 45. 44
ابن عذاري	79. 66
ابن هشام	53
أبو العباس ابن إبراهيم الأغلبي	89
أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زيدان الكوفي	67
أبو حبيب	104
أبو حنيفة النعمان	258. 257. 43. 8
أبو سفيان الحسن بن القاسم	91
أبو عبد الله الأغلبي	89
أبو عبد الله الشيعي	145. 143. 127. 91. 25.د.ت
أبو عمران الأشيري	218
أبو مضر زيادة الله الثالث	97
أبو يوسف مكنون بن ضبارة الأجاني	104. 96

أبي يزيد بن مخلد بن كيداد صاحب الحمار	194. 189. 151. 100. 46
أحمد بن سوادة	105
أحمد بن عبد الله القداح	91
الإدريسي	260. 218. 134
آدم غليه السلام	53
أزهر بن سالم بن غلبون	105
أسد بن الفرات	40
آل ابراهيم	33
آل البيت	188. 102. 94. 93. 53
آل عمران	257. 53
الإمام المنصور	46
الإمام المهدي	98. 42. 27
الإمام جعفر الصادق	91. 63. 52
الإمام سحنون	40
الإمام علي	52. 51
الأنبياء	53. 51
أولاد علان زكري	
إيفانوف	65. 53
بر بن قيس بن عيلان	82
بلكين بن زيري بن مناد	219
بلكين بن يوسف بن زيري بن مناد	204
بن أبي عافية	100
بن جرير الطبري	82
بني أسد بن خزيمة	104
جعفر بن علي بن حمدون	190
جعفر بن فلاح الكتامي	130
جوهر الصقلي	130. 46
حُرَيْثْ الجميلي	92

جعفر بن عسلوجة	104
الحسن بن هارون الغشمي	143
الحسن والحسين عليهما سلام الله	98
سيدي مسعود الإدريسي الحسني القجالي	134
الداعي إدريس	258. 65. 49. 48
الذهبي	260. 48. 47. 43
الزبيدي	149
زيري بن مناد	204- 202. 199- 197. 195. 193. 191 222. 220. 219. 217.
سابق المطماطي	82
سالم بن غلبون	105
سام	82
السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول (ص)	130. 98
سيف الدولة	219
الطبيب ابن الجزار	40
عبد الرحمن ابن خلدون	40
عبد الرحمن الجيلالي	261. 153. 150
عبد الرحمن الناصر لدين الله أمير الأندلس	100
عبد الله الثاني	147
عبد الله بن سعد بن أبي السرح	219
عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني	91
علي بن حمدون بن سماك بن مسعود الجذامي ابن الأندلسي	149

بن قتيبة	82. 57
الفتح بن يحي	104
فرحات الدشراوي	66
الكاهنة	86
الكرماني	53
كسيلة	86
كنعان بن حام	82
محمد بن خزر الزناتي	89
رسول الله صلى الله عليه وسلم	69
محمد كامل حسين	42
المسبحي	48. 43
المسعودي	82
المعز لدين الله	61. 57. 56. 52. 51. 49. 47. 46. 31 263. 219. 130.
مغازي الواقدي	53
المقريزي	258. 144. 66
مناد بن منقوش	192. 105
المنصور بالله	63. 62
المهدي ابن تومرت	218
موسى بن العباس بن عبد الصمد	104
موسى بن عياش	96
موسى بن مكارم	92
موسى بن نصير	219
موسى لقبال	140. 65
نوح عليه السلام	82
النويري	260. 195. 193. 146. 144. 66
هارون الطبني	105
بني هاشم	54- 52

وداد القاضي	258. 66
الوراق	82
ياقوت الحموي	258
اليعقوبي	259. 88. 10

فهرس القبائل

فهرس القبائل	الصفحة
أوربة	84
اوريغة أو ريغة	85
أولاد علان زكري	280.275.213
البتر	280.84.83.82
البرانس	301.280.273.115.84.82
البربر	ذ.81 -85 .90 -92 .103 .109 .114 .122 -124 .260 .273 .280
بني برزال	280.149
بني سكتان	ت.280.135.94.25
بني مزغنة	ث.ص.80 .188 .206 .221-223 .225 .280 .285 .305
تلكاتة	192.191
جيملة	147
زناتة	217.194.193.192.190.189.148.83
زنداج	148
زواوة	190.143.133.87.85.83
صدراتة	148
صنهاجة	202 .199 .197 .193 -188 .105 .85 .84
عجيسة	85.84
غشمان	146.144.143
قبائل سوس	82
كتامة	ت.ح.د.ذ.ز.24 .25 .40 .67 -69 .84 .85 .91 -96 .102 .105 .127 .129 .130 .132 134 .143-146 .188 .189 .254 .264
لمتونة	79
لمطة	84
لهيصة	143
لواتة	83
لوزة	143

لوطاية	143
مديونة	83
مزاتة	148.144
مزيلة	149
مسالة	143.104
مصمودة	85.84
مطغرة	83
مطماطة	148.83
مكناسة	189
ملوسة	143.96
نفزة	83
نفوسة	83
هسكورة	84
هوارة	150.148

فهرس البلدان
والأماكن

فهرس البلدان والأماكن	الصفحة
الأربس	97
آزمور	77
الأزهر	ح.130.129.127.31
إسبانيا الإسلامية	78
الإسكندرية	261.79.73.28
أشير	ث.ص.80 .191 .193 .195 .196 .198 -202 .204 -206 .215 -219 .222 .262
آغادير	77
إفريقية	219.191.190.112.108.105.100.99.98.97.96 .90.84.83.80.79.75.74.68.63.46.44.29
إقليم إفريقية	74
إقليم الحضنة	76
إقليم الزاب	75
إقليم السوس	77
إقليم السيق	75
إقليم الهقار	76
إقليم برقة	83.74
إقليم تاهرت	75
إقليم تلمسان	76.75
إقليم طرابلس	74
إقليم فزان	74
الأندلس	ذ.28 .44 .53 .79 .84 .89 .100 .139 .149 .188 .190 .197 .259
أوروبا	188.84
إيكجان	ث.خ.د.س.ش. 26 .27 .93 .96. 99 .126 .129 .131 .132 .133 .136 .140 .141 .147
باب الأمور	156. 153
الباب الجديد	222

باب القاسمية	156. 153
باب الماء	217
باب الوادي	221
باب سلم	43
باب عزون	221
باتنة	89
برقة	87. 80. 79. 74
البرواقية	205
بريكة	150. 103
بسكرة	149. 89. 87
البصرة	152. 141. 51
بغداد	102
بلاد الزاب	94. 87
بلاد السوس	87
بلاد العرب	79
بلاد فارس	81
بلدية عين الملوك	143
قجال	134. 133
بلزمة	157. 104. 102. 96. 88
بني عزيز	134. 133. 131. 128. 93.ش
البنية	217. 216. 206. 195
بوسعادة	150
البويرة	197
بيروت	66.د
تازا	83
تازروت	255. 254. 146. 143. 130. 126. 94.ث.د.ض
تاهرت	152. 148. 99. 90. 82. 80. 75
تاورغا	74
تدلس	86. 85
تلمسان	205. 197. 196. 80. 76. 75

تنس	219
توزر	87
تونس	د.74 .78 .79 .87 .103 .127 .130
جامع قجال	134
جبل الكاف الأخضر	197 .200 .204. 205 .211
جزائر بني مزغنة	ث.ص.80 .187 .205 .219 .220 .221 .223
جزر البليار	78
جيجل	85 .129
حديقة سيدي عبد الرحمن	221
قلعة باغاية	157
حمزة(البويرة)	197 .198
دائرة تاجنانت	143
دمشق	127 .260
الدولة الرستمية	80 .82
الدولة الزيرية	80 .191 .220 .221
دولة بني عبد الواد	80
رباط الفتح	77
رقادة	27 .45 .60 .67 .70 .97 .99 .103
زاوية بن حمادوش	134
سبيبة	92
سجلماسة	26 .27 .70 .99 .205
سرت	74
سردينيا	78
سطيف	ث.ش.88 .93 .96 .104 .128 .129 .131 .134 .144 .154
سكيكدة	87

السلمية	98. 89. 32. 25
سهل متيجة	75
السودان	188. 80. 79. 78. 73
سوسة	97. 45
سيدي عيسى	150
شارع الديكيمانوس	221
شارع الكاردو	221
شارع باب عزون	221
الشام	127 105. 32. 25.ج
شط الجريد	88. 76
شعبة الفرائس	133
الشلف	74
صبرة	74. 46
صقلية	188. 78. 29
طبنة	198. 197 157. 153. 150. 104. 103. 96. 87 217.
طرابلس	99. 91. 87. 83. 74. 63. 61. 46
طنجة	91. 87. 80. 79
ظهر الواحات	79
العراق	90. 26
العلمة	129
فاس	197 152. 81. 76
فرجيوة	134. 92
الفسطاط	152. 46
فلسطين	127
القاهرة	219. 211. 130. 129. 127. 46. 31.ح
قسنطينة	154. 150. 143. 129. 103. 97. 92. 88. 87 265.
القصبة	223. 222

قصر البحر	209
قلعة باغاية	157
قلعة بلزمة	157
قلعة بني حماد	210. 209
قلعة طبنة	157
القيروان	88. 81. 79. 64. 61. 48. 45. 43. 39. 27. 25 199. 197. 158. 152. 150. 148. 97. 96. 259. 221. 219.
الكوفة	152. 91. 90
لبدة	80
مجانة	97. 92
المحمدية	254. 158-153. 151. 150. 149. 148.ث.ر 266. 255.
المدية	190
مدينة العرائش	76
مدينة باغاية	105
مدينة بيت المقدس	103
مدينة تارودانت	77
مدينة سلا	76
مراكش	77
مرسى الخزر	85
مرماجنة	92. 91
المسيلة	153. 150. 149. 130. 127. 104. 80.ث.ر.ص 255. 217. 205. 181. 197. 154.
مصر	54. 53. 49. 47. 46. 42. 38. 32- 29.ث.ش.ص 155. 130. 129. 93. 90. 81. 78. 74. 64. 190. 186.
المعاضيد	150
مقبرة سيدي علي البصري	141

مكة	68. 32
مكناس	76
مليانة	74
منزه بنت السلطان	202
المنصورية	100 64. 63. 61. 46
المهدية	154. 148. 130. 127. 98. 79. 64. 46. 28. 27 199. 194. 158. 155.
ميلة	143. 132. 129. 104. 96. 95. 94. 87.ص.ث
وهران	75. 74
اليمن	127. 90. 67. 32. 26
اليونان	78.ب

الفهرس العام للموضوعات

❖ البسملة :..2
❖ شكر وتقدير:..3
❖ اهداء:..5-4
قائمة المختصرات:...7-6
مقدمة:..أ- ص
مدخل عام:..33-22
تمهيد:..24
1. نجاح التحالف الشيعي الكتامي:....................................25
2. بناء أول عاصمة فاطمية ألا وهي المهدية:..............................27
3. التخطيط باتجاه المشرق:...29
4. الإنتقال إلى مصر:..30
الفصل الأول: القاضي النعمان وآثاره الفكرية والعملية:..................70-34
تمهيد:..... 36
I. القاضي النعمان الشخصية العادية........... 47-39
1- اسمه وكنيته ونسبه:...39
2 – مولده:..40
3- صفاته:...43
4- أسرته :...43
6- مذهبه:...44
7- إقامته:...45
8- رحلاته:...46
9- وفاته:..46
II. القاضي النعمان وآثاره الفكرية : ....:...............60-48
• مؤلفات النعمان الفقهية :..50
1-تأويل الدعائم :..50
2-كتاب دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام :..........................50

3الرسالة المذهبية:...51
4-الأرجوزة المختارة:..51
5-أساس التأويل:..51
6-كتاب الاقتصار:...51
- المؤلفات التاريخية...52
1-شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار :...............................52
2-المجالس والمسايرات :...52
3- المناقب والمثالب:..52
4-كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة:....................................54
5-رسالة افتتاح الدعوة:...55
- مؤلفات أخرى متنوعة:.....................................59-56
III. القاضي النعمان وآثاره العملية......................................64-60
1- وظائفه:...60
أ- أمين مكتبة:...60
ب - إمام خطيب ومرشد:...61
ج- نقل أخبار الحضرة:..61
د- خطة الخبر:..62
هـ - الوراقة:...62
و- القضاء:..63
✓ رسالة افتتاح الدعوة موضوع البحث:........................65
✓ أهم ما جاء في رسالة افتتاح الدعوة :.........................66
الفصل الثاني: الإطار الجغرافي والتاريخي:...........................105-71
I. الإطار الجغرافي العام:..73
1-التسمية:...78
2-أقسام بلاد المغرب الإسلامي:..79
أ- المغرب الأدنى:..79

ب - المغرب الأوسط:... 80
ج- المغرب الأقصى:..80
3- أصل السكان:...81
4-أقسام البربر:...83
أ- البتر:...83
ب – البرانس:..84
3-الإقليم الجغرافي الكتامي:...85
I. الإطار التاريخي العام:...87
1-المغرب الإسلامي في ظل حكم الأغالبة:.......................87
2-أهم أحداث المغرب الأوسط قبل قيام الدولة الفاطمية:.......................88
3-ظهور الدعوة الإسماعيلية في المغرب:.......................89
4-مراحل الدعوة الإسماعيلية:.......................................91
5-الهجرة إلى تازروت:...94
6-فتح المدن:...96
7-قيام الدولة الفاطمية:..97
خلاصة:...103
- ملحق الخرائط للفصل الثاني:.............................124-106
الفصل الثالث :العمارة الفاطمية في المغرب الأوسط:................158-125
- تمهيد:...127
1- إيكجان مهد الحضارة الفاطمية:...............................128
2- من إيكجان إلى القاهرة:..129
3 - إنجازات فاطمية:...130

➢ **قلعة إيكجان :** 131
1-الموقع الجغرافي:.. 131
2-أصل التسمية:.. 133
3-إيكجان القاعدة العسكرية للدولة الفاطمية::.................................. 135
4 - السور:.. 136
1) طريقة البناء:.. 138
2) مواد البناء:.. 138
أ- الحجارة:.. 138
ب - الملاط :.. 139
5 - البرج :.. 139
6 - بقايا أثرية:.. 140
7 - المقبرة:.. 141
8 - اللقى الفخارية:.. 141
➢ **دار الهجرة تازروت:**.. 143
1-الموقع الجغرافي:.. 143
2-التسمية:.. 144
3-عمران مدينة تازروت:.. 144
أ-القصر:.. 145
ب -إنشاء الدور والسكنات:.. 145
ج – السور:.. 146

➢ **مدينة المحمدية**:...148
1- الموقع الجغرافي:...148
2-التسمية:...149
➢ **المسيلة**:...149
1-الموقع الجغرافي:...150
2-تاريخ التأسيس:...150
3-مخطط المدينة:...151
4-عمارة المدينة:...154
أولا العمارة الدينية :...154
أ- المسجد:...154
ب- دار الإمارة:...155
ج - الحمامات:...156
ثانيا العمارة العسكرية:...156
أ – السور:...156
ب- البرج:...157
ج- المخازن:...157
خلاصة:...158
- ملحق الخرائط للفصل الثالث:.................................170-159
- ملحق الصور للفصل الثالث:.................................185-171

الفصل الرابع:..223-186
دراسة تاريخية للمدن المنسوبة للفاطميين في ظل الدولة الزيرية:.........186
تمهيد:..188
I. صنهاجة ومجالها الجغرافي:...191
II. صنهاجة ونسبها حسب المؤرخين......................................191
III. النشاط الاقتصادي لصنهاجة:...192
IV. ظهور مناد بن منقوش:...192
V. قيام الكيان الزيري...193
➢ **مدينة أشير:**...195
1- التاسيس:...195
2- -التسمية:..200
3- -الموقع:...200
4- -المساحة:..201
5- التحصينات الدفاعية:...202
6- أسوار المدينة:...203
7- الموارد المائية:...208
8- الطرق التجارية:..208
9- أقسام المدينة:..206
10 - مخطط المدينة:..206
11- مخطط القصر:...207
12 – العناصر الزخرفية:..210
➢ **منزه بنت السلطان:**..211
1- الموقع:..211
2-المساحة:...212
3-أسوار المدينة :..212

4-البرج:..212
5-الخزان:..213
6-مخطط المبنى الرئيسي:.......................................213
➢ **البنية**:..216
1-الموقع:..216
2- المساحة:..216
3- السور:..217
4-مخطط المدينة:...217
خلاصة:...217
➢ **مدينة الجزائر بني مزغنة**:...................................219
1-التأسيس:..219
2-التسمية:...220
3-مخطط العمران:..221
4-بناء القصبة:...222
▪ ملحق الخرائط للفصل الرابع:.................................233-224
▪ ملحق الصور للفصل الرابع:...................................252-234
الخاتمة:..253
قائمة المصادر والمراجع:....................................256
- **الفهارس**:...269
- فهرس الخرائط:...270
- فهرس الصور:...274
- فهرس الأعلام:..277
- فهرس القبائل:..283
- فهرس البلدان والأماكن:.......................................286
- الفهرس العام للموضوعات:.....................................293